

سلسلة تفسير القرآن الكريم (١١)

التفسير المنهجي

مِنْ سُورَةِ الكَهْفِ - نِهايَةِ سُورَةِ الأَنْبِياءِ

تأليف

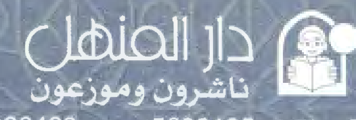
الأستاذ الدكتور أحمد شكري

إشراف

الأستاذ عمر خليل يوسف

المراجعة العلمية

الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر



هاتف: 5698308 - فاكس: 5639185 ص.ب 926428 - عمان 11190 الأردن

http:\www.dmanhal.com

الطبعة الأولى

2005

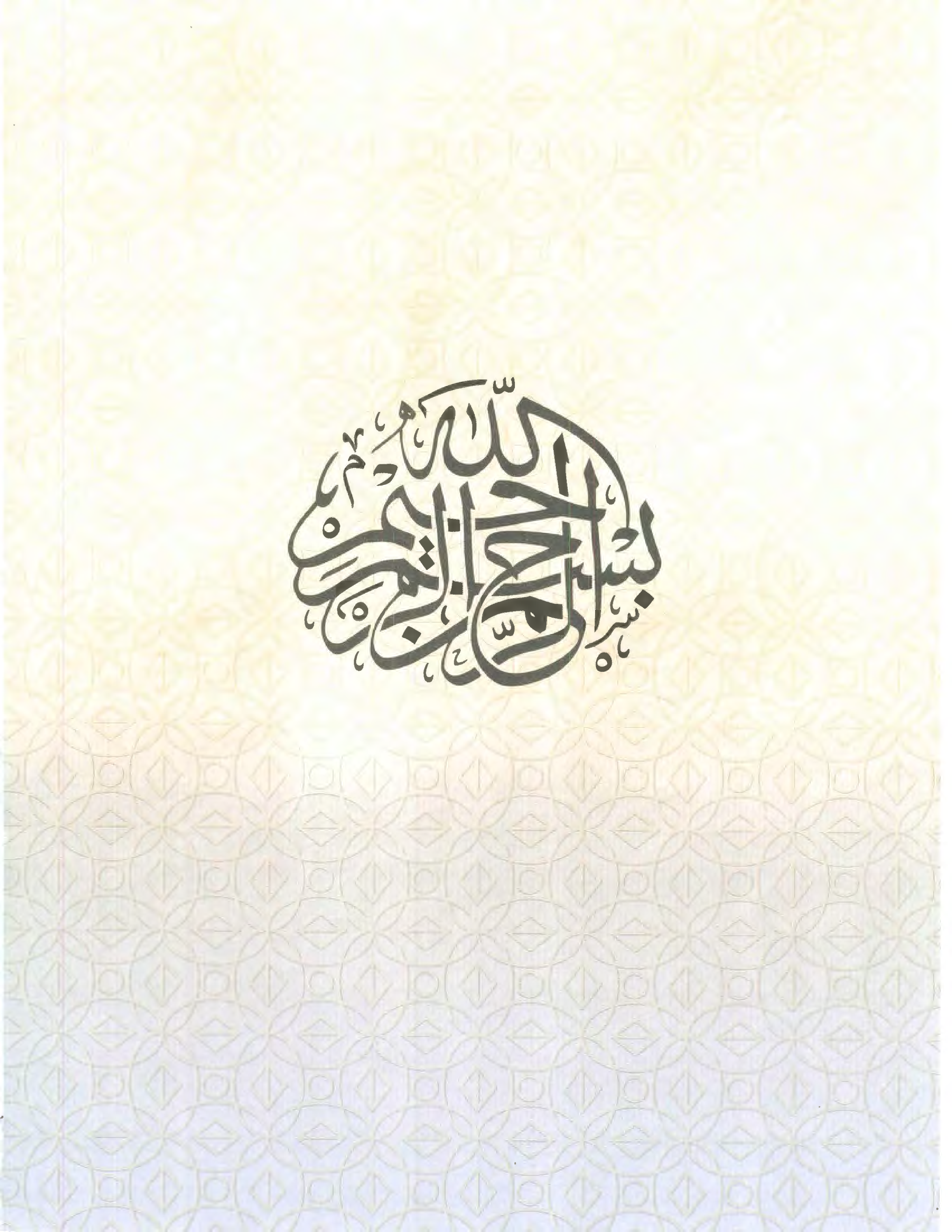
رقم الإجازة : 2080 / 8 / 2005

رقم الإيداع : 2091 / 8 / 2005

التصنيف الدولي : 9957-08-431-3

مؤلّفو السلسلة

- الأستاذ الدكتور فضل عباس
- الدكتور أحمد نوفل
- الدكتور صلاح الخالدي
- الأستاذ الدكتور أحمد شكري
- الدكتور جمال أبو حسّان


بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ، وَالصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ خاتمِ الأَنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وعلى آلهِ وصَحْبهِ ومن سارَ على دربهِ إلى يوم الدينِ ، وبعدُ ،

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هُوَ كلامُ اللهِ المُعجزُ ، أنزلَهُ على نَبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ ؛ ليُخْرِجَ به الناسَ من الظُّلُماتِ إلى النّور ، ويَهدِيَهُم به إلى كلِّ خيرٍ ورشادٍ ، كما قالَ سبحانَهُ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم : ١) ، وقالَ تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .

وقد وردَ في عَدَدٍ مِنَ الأَحاديثِ الحثُّ على تعلُّم القرآنِ ومُدارَستِه ، ومِنْ ذَلكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ : خيرُكُمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ[1] ، وَقولُهُ : « وما اجتمعَ قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ وَيتدارَسُونَهُ بينَهَم إلاَّ نَزلتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ ، وغَشِيَتْهُم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُم الملائكةُ ، وذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[2] .

وقد بَذلَ المُسْلِمُونَ على مرِّ العُصور جُهوداً كثيرة مُتواليَةً في خِدْمة هذا الكِتابِ العزيزِ ، ومِنْ بينِ هذه الجهودِ ما يتعَلَّقُ بتبيينِ مَعاني الآياتِ وتَفْسيرها ، وكان لكلِّ تفسيرٍ مِيزَتُهُ وخَصائِصُهُ .

ومِيزةُ هذا التفسير أنَّه أُعِدَّ ليكونَ مِنْهاجاً للتَّدْريس في المَدارسِ التي تلتزمُ في مِنْهاجِها تدريسَ الطَلبةِ تفسيرَ القرآنِ الكريمِ كاملاً ، والتزمَ مُؤَلِّفُوهُ السَّيْرَ على نَمَطٍ مُتقارَبٍ مُتدرِّجٍ ، وفيما يلي أَهمُّ النِّقاطِ التي تمَّ الالتزامُ بها :

* اختيارُ العبارةِ السَّهْلَةِ الواضِحَةِ بمايتناسبُ مَعَ أَعمارِ الطَّلَبَةِ ومستوياتِهم .
* بَدْءُ كلِّ درسٍ بتبيينِ مَعاني المفرداتِ والتراكيبِ التي يحتاجُ الطلبةُ إلى معرفَتِها .
* التَّعْريفُ بالسُّورَةِ بإيجازٍ قبلَ الشروعِ في تفسيرِها .

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، رقم الحديث (٤٦٣٩) .

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم الحديث (٤٨٦٧) .

* تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ وبعبارةٍ قريبةٍ مباشرةٍ .

* الرَّبْطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السَّابقِ والتَّالي .

* اختيارُ القولِ الرَّاجحِ في معنى الآيةِ ، وعدمُ إشغالِ الطلبةِ بالأقوالِ المتعدِّدةِ أو الضعيفةِ .

* الالتزامُ بمنهَجِ السَّلَفِ في تَفسيرِ آياتِ الصِّفاتِ .

* إغْناءُ كُلِّ درسٍ بعدَدٍ مِنَ الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلَةِ بالآياتِ لِحَفْزِ الطالبِ على البحثِ والتفكيرِ وترسيخِ المعلومةِ في ذهنهِ ، ولذا فالمأمولُ من السَّادَةِ المدرسينَ ، ومِنَ الطلبةِ ، الاعتناءُ بهذه الأنشطةِ وعدمُ إهمالِها ، ومُناقشةُ ما يتمُّ التوصُّلُ إليهِ في الفصلِ أَو طابورِ الصباحِ أو تعليقُهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

* إتْباعُ كلِّ دَرْسٍ بعدَدٍ من العِبَرِ والدروسِ المُستَنْبَطَةِ من الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ من المدرِّسِ والطالبِ قراءةُ هذه العِبَرِ والرَّبْطُ بينها وبينَ الآيةِ التي استُنْبِطَتْ منها ، والحرصُ على الإفادةِ منها في تقويمِ السُّلوكِ وتنميةِ التفكيرِ وترسيخِ القِيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

* خَتْمُ كُلِّ دَرْسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوِّعةِ التي تهدِفُ إلى تقويمِ الطالبِ وتبيينِ مقدارِ استيعابِهِ للدَّرسِ وحَفزِهِ على البحثِ عن الإجابةِ لِلأَسئلَةِ في مظانِّها .

* تذييلُ بعضِ الدُّروسِ بفائدةٍ أو رِوايةٍ أو حادثةٍ أو حديثٍ له صلةٌ بموضوعِ الدَّرْسِ بهدَفِ إمْتاعِ القارىءِ وإفادتِهِ بهذه المَعْلومةِ .

* تخَريجُ الأحاديثِ النَّبَويَّةِ ورواياتِ أَسْبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصَّحيحِ من رواياتِ الأحاديث .

واللهَ تعالى نَسأَلُ أن يَجْعلَ هذا العملَ خالصاً لِوَجْههِ الكريمِ ، وأَنْ يَنْفَعَ به ، وأَنْ يتقَّبلَهُ بقَبُولٍ حَسَنٍ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

* * *

الدَّرسُ الأوَّلُ

سورَةُ الكَهْفِ القِسْمُ الأوّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورَةُ الكَهْفِ سورَةٌ مَكِّيَةٌ ، تتناوَلُ أُصولَ العَقيدةِ ، وتَثْبيتَ دَعائِمِ الإيمانِ باللهِ تعالى وبالبَعْثِ ، وتَسْتَخْدِمُ أُسلوبَ القَصَصِ لِتقريرِ ذَلِكَ ، وتَعْرِضُ بَعْضَ مَشاهِدِ يَوْمِ القيامَةِ . وَسُمِّيَتْ بِهَذا الاسْمِ لِوُرودِ قِصَّةِ أصحابِ الكَهْفِ فيها .

وَقَدْ وَرَدَ في فَضْلِ سورَةِ الكَهْفِ عَدَدٌ مِنَ الأحاديثِ ، مِنْها ما رَواهُ أَبو الدَّرْداءِ ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنّهُ قالَ : « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ مِنْ أوّلِ سورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجّالِ »[(١)] .

مَعاني المُفْرَداتِ :

وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجا : أيْ لا اخْتِلالَ فيهِ ولا اخْتِلافَ ، لا في اللّفْظِ ولا في المَعْنى .

قَيِّماً : مُسْتَقيماً لا مَيْلَ فيهِ .

بأْساً : عَذاباً .

---

(١) رواهُ البخاريُّ في كتابِ فضائلِ القرآنِ ، رقم الحديثِ : ٤٦٣٩ .

مِنْ لَدُنْهُ	مِنْ عِنْدِهِ .
كَبُرَتْ كَلِمَةً	ما أعْظَمَ قُبْحَها مِنْ كَلِمَةٍ .
باخِعٌ نَفْسَكَ	مُهْلِكٌ نَفْسَكَ .
أَسَفاً	حُزْناً عَلَيْهِمْ وأَلَماً لِحالِهِمْ .

التفسيرُ :

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ ﴾

تَبْدَأُ سورَةُ الكَهْفِ بِحَمْدِ اللهِ تَعالى ، والحَمْدُ هُوَ الثَّناءُ الحَسَنُ على جِهَةِ التَّعْظيمِ والتَّوْقيرِ ، وفي هذا البَدْءِ تَعَلُّمٌ وإرْشادٌ لِلْعِبادِ كَيْ يَبْدَؤُوا أُمورَهُمْ بِحَمْدِ اللهِ تعالى على نِعَمِهِ ، ومِنْ نِعَمِ اللهِ تعالى الَّتي يَسْتَحِقُّ الحَمْدَ عَلَيْها : إنْزالُ الكتابِ على عَبْدِهِ ورَسولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، ووَصْفُهُ تَعالى لِرَسولِهِ ﷺ بالعُبوديَّةِ في مَقامِ إنْزالِ الكِتابِ ، لأنَّ هذا الوَصْفَ أَفْضَلُ ما يُوصَفُ بِهِ المُؤْمِنُ وأَشْرَفُهُ .

ثمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنّ المُنْزَلَ ، وهُوَ القُرْآنُ الكَريمُ ، لا اعْوِجاجَ فيهِ ، ولا اخْتلافَ بَيْنَ معانيهِ ، ولا تَعارُضَ بَيْنَ ألفاظِهِ ومَدْلولاتِهِ ، فَهُوَ ، في ذاتِهِ ، مَحْمودٌ ، لِخُلُوِّهِ مِنْ كُلِّ ما يَعْتَري كُتُبَ البَشَرِ مِنْ هَذهِ النَّواقِصِ .

﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ ﴾ .

تَبْدَأُ الآيَة بِلَفْظِ ﴿قَيِّماً﴾ وهُو تأكيدٌ على خُلُوِّ القُرْآنِ مِنْ أَدْنى عِوَجٍ ، وإشارَةٌ إلى أنّهُ كِتابٌ كامِلٌ في ذاتِهِ ومُهَيْمِنٌ على غَيْرِهِ مِنَ الكُتُبِ السَّابِقَةِ ، وهُوَ قائِمٌ بِتَبْيينِ مَصالِحِ العِبادِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ .

ثمَّ بَيَّنَ سُبْحانَه أنَّ في القُرْآنِ إنذاراً وبِشارَةً ، فالإنْذارُ مِنْ عَذابِ اللهِ الشَّديدِ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ ، وهُوَ عَذابٌ عَظيمٌ لأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالى ، والبِشارَةُ لِلَّذينَ آمَنوا باللهِ إيماناً صادِقاً ، وعَمِلوا الأَعْمالَ الصَّالِحَةَ بأنَّ لَهُمْ في مُقابِلِ ذَلِكَ أجْراً حَسَناً ، وأنَّهُمْ سَيَبْقَوْنَ مُتَمَتِّعينَ بِهِ زَمَناً طَويلاً لا نِهايَةَ لَهُ ولا انْقِطاعَ .

﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ ﴾

ذَكَرَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ في هَذهِ الآيَةِ فِئَةً مِنَ الكافِرينَ الَّذينَ أَنْذَرَهُمُ القُرْآنُ ، المُسْتَحِقّينَ عَذابَ اللهِ تَعالى ، وهُمُ الَّذينَ زَعَموا أنّ للهِ وَلَداً سُبْحانَهُ . والَّذينَ افْتَرَوْا هَذا الافْتِراءَ العَظيمَ أصْنافٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، فَمِنْهُم اليَهودُ الَّذينَ قالوا : ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ﴾ ومِنْهُم النَّصارى الَّذينَ قالوا : ﴿المَسيحُ ابنُ اللهِ﴾

ومِنْهُمْ مُشْرِكُو العَرَبِ الَّذين قالوا : المَلائِكَةُ بَناتُ اللهِ .

﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾

تُبَيِّنَ هَذِهِ الآيَةُ الكريمةُ أنَّ هؤلاءِ الَّذين يَزْعُمونَ بأنَّ للهِ وَلَداً ، إنَّما يُطْلِقُونَهُ مِنْ دُونِ عِلْمٍ ، وَهُمْ مُتَّبِعونَ لآبائِهِمْ وأَسْلافِهِمْ في تَرْديدِ هذا الافْتِراءِ ، وهُوَ كَلامٌ فاجِرٌ قَبيحٌ لا يَجوزُ لَهُمُ التَّلَفُّظُ بِهِ ، وهُوَ كَذِبٌ مَحْضٌ واختِلاقٌ باطِلٌ ، ولَوْ فَكَّروا فيهِ بِعُقولِهِمْ لَتَبَيَّنَ لَهُمْ فَسادُهُ وضَلالُهُ ، وَلَما تلفّظوا بهِ .

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾

أَخبَرَ اللهُ تعالى نَبيَّهُ ﷺ أنَّ هَؤلاءِ الكافِرينَ الَّذينَ لَمْ يُؤْمِنوا بالقُرآنِ لا يَسْتَحِقّونَ مِنْهُ أنْ يُرْهِقَ نَفْسَهُ ويُجهِدَها لِعَدَمِ إيمانِهِمْ ، وأنْ يَزْدادَ أَسَفُهُ على إصْرارِهِمْ على الكُفْرِ لِدَرَجةِ إهلاكِ نفسِهِ أسَفاً وحُزْناً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ حَمْدِ اللهِ تَعالى على كَبيرِ آلائِهِ ، وعَظيمِ نِعَمِهِ .

٢ـ سَلامةُ القُرْآنِ الكَريمِ منْ أيِّ خَلَلٍ أوْ عِوَجٍ ، وَهُوَ كِتابُ الهِدايَةِ والاسْتِقامَة .

٣ـ عَدَمُ تَرْديدِ كلامِ الآخَرينَ مِنْ دُونِ عِلْمٍ أَوْ بيِّنَةٍ .

٤ـ نِسْبَةُ الوَلَدِ إلى اللهِ تَعالى كَذِبٌ عَظيمٌ ، وافْتِراءٌ قَبيحٌ ، وجَهْلٌ بِمَقامِ الأُلوهِيَّةِ .

٥ـ تَوْجيهُ الدّاعي إلى اللهِ أنْ لا يُهْلِكَ نَفْسَهُ أَلَماً وَحَسْرَةً على عَدَمِ إيمانِ المَدْعوِّينَ ، وإعراضِهِمْ ، وأنْ يَكونَ هَمُّهُ تَبْليغَ الدَّعْوَةِ ؛ فَهُوَ مُكَلَّفٌ بِدَعْوَتِهِمْ لا بِهِدايَتِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ذَكَرَتِ الآياتُ صِفَتينِ لِلْقُرْآنِ الكَريمِ :

أـ اذْكُرْهُما .

ب ـ بيّنِ الفَرْقَ بَيْنَهما .

٢ـ وَرَدَ الفِعْلُ (يُنْذِر) في هَذهِ الآياتِ مَرَّتيْنِ ، مَنْ المُنْذَرُ في كُلٍّ مِنْهُما ؟

٣ـ بَيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِمَّا يأتي :

أ ـ باخِعٌ نَفْسَك .

ب ـ أَسَفاً .

ج ـ بأساً شَديداً .

نَشاطٌ :

١ ـ اذْكُرِ اسْمَ سورَةٍ أُخْرى بَدَأَتْ بالحَمْدِ لله ، واكْتُبِ الآيَةَ الأُولى مِنْها .

٢ـ اقْرَأ الآيَةَ (١١) مِنْ سُورَةِ النِّساءِ ، واسْتَنْتِجْ مِنْها أنَّ لَفْظَ الوَلَدِ يُطْلَقُ على الذُّكورِ والإناثِ مِنَ الأبْناءِ .

٣ـ ارْجِعْ إلى تَفْسيرِ سورَةِ (عَبَسَ) واكْتُبْ في دَفْتَرِكَ تَفْسيرَ قولِ اللهِ تعالى : ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنى فَأَنتَ لَهُ تَصدَّى ، وما عَلَيْكَ أَلاّ يَزّكّى﴾ وَوازِنْهُ بِتَفْسيرِ الآيةِ السَّادِسَةِ في هذا الدَّرْسِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثّاني

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لِنَبْلُوَهُمْ	لِنَخْتَبِرَهُمْ .
صَعيداً	تُراباً .
جُرُزاً	أَجْرَدَ لا نَباتَ فيهِ .
الكَهْفُ	النَّقْبُ الواسِعُ في الجَبَلِ ، فإِنْ كانَ ضَيِّقاً فَهُوَ غارٌ .
الرَّقيم	اللَّوْحُ الَّذي كُتِبَ فيهِ أَسْماءُ أَصْحابِ الكَهْفِ وقِصَّتُهُمْ .
الفِتْيَةُ	جَمْعُ فتىً ، وهُو الشَّابُّ اليافِعُ .
فَضَرَبْنا على آذانِهِم	جَعَلْنا عَلَيْها حِجاباً يَمْنَعُها مِنَ السَّمْعِ .
بعثْناهُم	أَيْقَظْناهُمْ مِنْ نَوْمِهِم .
الحِزْبَيْنِ	الفِئَتَيْنِ المُخْتَلِفَتَيْنِ فِي مُدَّةِ نَوْمِهِم .
أَحْصى	أَكْثَرُ ضَبْطاً لِلْمُدَّةِ .
لَبِثوا أَمَداً	مُدَّةَ بَقائِهِمْ في الكَهْفِ نِياماً .



التفسيرُ :

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ .

بيّنَ اللهُ تعالى لِعبادِهِ حَقيقةَ الحياةِ الدُّنْيا ، وأنَّ ما فيها مِنَ زَخارِفَ وذَهَبٍ ونَباتٍ وبِحارٍ وخَيْراتٍ ، إنَّما هي لاختبارِ البَشَرِ ، لِيَظْهَرَ أيُّهُمْ يُحسِنُ عَمَلَهُ فيُجزى عَليْهِ خَيْراً .

﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ .

ثُمَّ بَيَّنَ ـ سُبحانَهُ ـ أنَّ مآلَ هذهِ الزِّينةِ العَظيمةِ والزَّخارفِ المُتَنَوِّعَةِ على الأَرْضِ إلى الزَّوالِ ؛ إذْ سَيأْتي عَليْها زَمَنٌ تُصْبِحُ فيهِ حُطاماً ورُكاماً ، خاليةً مِنْ كُلِّ زينةٍ وبَهْجةٍ ، وتُراباً لا نَباتَ فيهِ ، فلا يَليقُ أنْ يَغْتَرَّ بها الإنْسانُ ، ويَرْكَنَ إليْها ويَطْمَئِنَّ لِما فيها .

ثُمَّ شَرَعَ سُبْحانَهُ في ذِكْرِ قِصَّةِ أصْحابِ الكَهْفِ العَجيبةِ ، قالَ تَعالى :

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾

تُبَيِّنُ هذهِ الآيةُ أنَّ حادثَةَ أصْحابِ الكَهْفِ مَعَ ما فيها مِنْ دَلائِلِ عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ لَيْسَتِ الآيةَ الوَحيدةَ الدّالَةَ على عَظَمةِ اللهِ تَعالىٰ ، فَفي هذا الكَوْنِ مِنَ الآياتِ الغَريبَةِ العَجيبةِ ودَلائِلِ القُدْرَةِ الواضِحَةِ ما يَفوقُ هذهِ الحادِثَةَ .

﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾

تَبْدَأُ القِصّةُ بالإخْبارِ عَنِ الْتِجاءِ عَدَدٍ مِنَ الفِتْيَةِ إلى كَهْفٍ ، واتِّخاذِهِ مأْوىً لَهُمْ ، وهُمْ يَدْعونَ اللهَ تَعالى أنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ رَحْمَةً مِنْ عِندِهِ ، وأنْ يُيَسِّرَ لَهُمْ أَسْبابَ الصَّلاحِ والهِدايَةِ في أَمْرِهِمْ . ويُفْهَمُ مِنَ الآياتِ التّاليةِ أنَّهُمْ كانوا مُوَحِّدينَ للهِ ، وأنَّ قَوْمَهُمْ كانوا مُشْرِكينَ ، ودَعَوْهُمْ إلى عِبادَةِ الأَصْنامِ ، فَهَربوا بدينِهِمْ خَشْيَةَ أنْ يَفْتِنوهُمْ أَوْ يَقْتُلوهُمْ .

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾

أَرادَ اللهُ تعالى لِهؤلاءِ الفِتْيَةِ البَقاءَ لِمُدّةٍ طَويلةٍ في كَهْفِهِمْ ، فأَلْقى على أَسْماعِهِمْ حِجاباً يَمْنَعُهُم مِنْ سَماعِ الأَصْواتِ والحَرَكاتِ ، فَناموا سِنينَ مُتَعدِّدةً طويلةً .

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾

أيْقَظَ اللهُ تَعالى أَصْحابَ الكَهْفِ مِنْ نَوْمِهِم بَعْدَ سنواتٍ مُتَعدِّدةٍ ، في الوَقْتِ الَّذي أرادَهُ ، حَسَبَ مَشيئَتِهِ وعِلْمِهِ ، لِيُظْهِرَ أَيَّ الفَريقينِ المُخْتَلِفينَ أكْثَرَ ضَبْطاً في تَحْديدِ مُدَّةِ نَوْمِ أَصْحابِ الكَهْفِ فيهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ جَعَلَ اللهُ تعالى الزِّينةَ في الأَرْضِ اخْتِباراً لِلنَّاسِ ، لِيُظْهِرَ مَنْ يَنْتَفِعُ بها ، ويَجْعَلُها في طاعةِ اللهِ ، ومَنْ يَغْتَرُّ بها وبِمَتاعِها الزائلِ .

٢ـ قِصَّةُ أهْلِ الكَهْفِ مِنَ الآياتِ الدَّالةِ على عَظَمَةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ .

٣ـ اللهُ تعالى يَسْتَجيبُ دُعاءَ مَنْ يَلْجَأُ إليْهِ ويَحْميهِ مِنْ عَدوِّهِ .

٤ـ إذا أرادَ اللهُ شَيْئاً هَيَّأَ أسْبابَهُ ، فَحينَ أَرادَ اللهُ أنْ يَنامَ أَهْلُ الكَهْفِ مُدَّةً طَويلةً جَعَلَ على سَمْعِهِمْ حاجِزاً حتّى لا يَسْتَيْقِظوا ، ويَناموا المُدَّةَ الَّتي قَدَّرَها .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِ الأَرْضِ وتَزيينِها ؟ وما المَآلُ الَّذي سَتَصيرُ إليْهِ ؟

٢ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِنَ : الكَهْفِ ، الرَّقيمِ ، فَضَربْنا على آذانِهِمْ ، أحْصى .

٣ـ لِماذا لَجَأَ الفِتْيةُ إلى الكَهْفِ ؟

٤ـ هاتِ مِنَ الآياتِ دَليلاً على ما يَلي :

أـ كانَ أَصْحابُ الكَهْفِ شَباباً .

ب ـ ما على الأَرْضِ مِنْ زينةٍ إلى زَوالٍ .

ج ـ نَوْمُ أَصْحابِ الكَهْفِ سَنواتٍ طويلةً ثُمَّ بَعْثُهُمْ ، مِنْ آياتِ اللهِ تعالى .

نَشاطٌ :

١ـ اذْكُرْ ثَلاثةَ أعْمالٍ حَسَنةٍ يُحِبُّها اللهُ تعالىٰ .

٢ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ جَعْلِ الحِجابِ على أَسْماعِ أَهْلِ الكَهْفِ وهُمْ نائِمونَ في كَهْفِهِمْ ؟ اكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

الدَّرْسُ الثَّالِثُ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وَرَبَطْنا على قُلوبِهِمْ : ثَبَّتْناهُم وقَوَّينا عَزائِمَهُمْ بِقَولِ الحَقِّ .

شَطَطاً : قَولاً بَعيداً عَنِ الحَقِّ .

لولا : هَلاّ .

بِسُلطانٍ بَيِّنٍ : بِحُجَّةٍ قَوِيّةٍ وبُرْهانٍ واضِحٍ .

فأْوُوا : الْتَجِئوا .

يَنْشُرْ لَكُمْ : يَبْسُطْ ويُوَسِّعْ عَلَيْكُمْ .

مِرْفَقا : ما تَنْتَفِعونَ بِهِ مِنْ طَعامٍ وشَرابٍ ومَأْوىً .

التفسيرُ :

في هَذِهِ الآياتِ تَفْصيلُ قِصَّةِ أصْحابِ الكَهْفِ بَعْدَ أَنْ أَجْمَلَ ذِكْرَ قِصَّتِهِمْ فيما سَبَقَ ، قالَ تعالى :

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾

تُبَيِّنُ الآيةُ الكريمةُ أنَّ قِصَّةَ أصْحابِ الكَهْفِ قِصَّةٌ واقِعيَّةٌ ، وأنَّ عِلْمَها عِنْدَ اللهِ سُبحانَهُ ، وهِيَ قِصَّةُ شَبابٍ آمَنوا بربِّهِمْ ، وصَدَقوا في إيمانِهِمْ ، وصَمَدوا في وَجْهِ الطُّغْيانِ ، وثَبَّتَهُمُ اللهُ على الهُدى والحَقِّ وزادَهُمْ إيماناً .

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ ﴾ .

قَوّى اللهُ قُلوبَ أصْحابِ الكَهْفِ لِيَحْتَمِلوا ما يُلاقونَه مِنْ أذىً في سَبيلِهِ ، وقَدْ وَقَفوا وقْفَةً رُجوليَّةً عَظيمةً ، أعْلَنوا فيها إيمانَهُمْ باللهِ ، وإقْرارَهُمْ لَهُ تَعالى بالرُّبوبيّةِ ، وإفرادَهُ وحْدَهُ بالعِبادَةِ ؛ فَهُوَ رَبُّ السَّمواتِ والأَرْضِ ، ولا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ أحَدٌ سِواهُ ، ومَنْ يَقُلْ غَيْرَ هذا فَهُوَ ظالِمٌ وقَوْلُهُ باطِلٌ بَعيدٌ عَنِ الحَقِّ .

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾ .

أنْكَرَ الفِتْيَةُ المُؤْمِنونَ على قَوْمِهِمْ عِبادَةَ آلِهَةٍ غَيْرِ اللهِ ، وهُمْ لا يَستطيعونَ أنْ يَأْتوا بأيِّ دَليلٍ على اسْتحقاقِ هذهِ الأَصْنامِ لِلْعِبادةِ ، فَما مِنْ أَحَدٍ أعْظَمُ ظُلْماً لِنَفْسِهِ مِمَّنِ افْتَرى على اللهِ الكَذِبَ بِنِسْبَةِ الشَّريكِ إليهِ سُبْحانَه .

﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ أَعْلَنَ الفِتْيَةُ عَنْ مُعْتَقَدِهِمْ لِقَوْمِهِمْ مُظْهِرينَ دينَهُمْ ، خَرَجوا فارِّينَ بِدينِهِمْ ، فَقالَ بَعْضُهُمْ لِلآخَرينَ مِنْهُمْ : بِما أَنَّكُمْ اعْتَزَلْتُمْ قَوْمَكُمْ وآلِهَتَهُمُ الّتي يَعْبُدُونَها مِنْ دُونِ اللهِ ، فَأْووا إلى الكَهْفِ ، وهُو كَهْفٌ مَعْلومٌ لَدَيْهِمْ ، لَعلَّهُمْ كانوا يَجْتَمِعونَ فيهِ يَعْبُدونَ اللهَ خِفْيَةً عَنْ قَوْمِهِمْ ، فإنَّكُمْ إنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ ، يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِنْ رَحْمَتِهِ ويُهَيِّءْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقا ، وكَذلِكَ فَعَلوا ، فَقَدْ تَوجَّهوا إلى الكَهْفِ لِيُقيموا فيهِ ، راجينَ أنْ يَبْسُطَ اللهُ عَلَيْهِمْ رَحْمَتَهُ ، فَيُنجيَهُمْ مِنْ أَذى قَومِهِمْ ، ويُهَيِّيءَ لَهُمْ ما يَنْتَفِعونَ بهِ في أُمورِ مَعاشِهِمْ ، وهذا المَوْقِفُ مِنْهُمْ يَدُلُّ على ثِقَةٍ عَظيمةٍ باللهِ ، وقُوَّةٍ في التَّوكُّلِ عَليْهِ ، فَقَدْ عَلِموا أنَّ اعْتِزالَهُمْ قَوْمَهُمْ في الكَهْفِ سَيُقابِلُهُ عَطاءٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ ، وأنَّ وُجودَهُمْ في ذَلِكَ المَكانِ الخالي مِنْ وَسائِلِ العَيْشِ لا يَمْنَعُ مِنْ وُصولِ رَحْمةِ اللهِ الواسِعَةِ إليْهِمْ ، فَهُمْ في الظّاهِرِ لَجَؤوا إلى مكانٍ ضيِّقٍ ، ولكنَّهُمْ في الحَقيقةِ كانوا مُتَمَتِّعينَ بِرَحْمةِ اللهِ الواسِعَةِ ، الفَسيحةِ ، الّتي نَشَرَها وبَسَطَها عَلَيْهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الشَّبابُ أكْثَرُ قَبولاً لِلْحقِّ مِنْ كبارِ السِّنِّ الَّذينَ طالَ بِهِمُ العُمُرُ وانْغَمَسوا في الباطِلِ .

٢ـ فَضيلةُ الجُرْأةِ في الحقِّ والتَّصْريحِ بهِ ، ولَوْ أدَّى إلى الإيذاءِ أوِ القَتْلِ .

٣ـ بُطْلانُ عِبادةِ غيْرِ اللهِ لِعَدَمِ وُجودِ دَليلٍ عَقْليٍّ عَلَيْها .

٤ـ دُعاءُ غيْرِ اللهِ شِرْكٌ ، فالدُّعاءُ للهِ وَحْدَهُ .

٥ـ الشِّرْكُ ظُلْمٌ وكَذِبٌ ، والمُشْرِكُ ظالِمٌ كاذِبٌ .

٦ـ إذا صَدَقَ الإنسانُ في دُعائِهِ وطَلَبِهِ أعْطاهُ اللهُ الهِدايةَ وَرَبَطَ على قَلْبِهِ .

٧ـ اعْتِزالُ الكَفَرَةِ المُشْركينَ مَشْروعٌ ، وقَدْ شَرَعَ اللهُ لنا اعْتِزالَهُمْ بِالهِجْرَةِ إلى دارِ الإسْلامِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما معنى : شَطَطاً ، سُلْطانٍ بَيِّنٍ ، مِرْفَقاً .

٢ـ بِماذا تَسْتَدِلُّ أنَّ قَوْمَ أصْحابِ الكَهْفِ كانوا يَعْرِفونَ اللهَ إلاّ أنَّهُمْ كانوا يُشْرِكونَ مَعَهُ آلِهَةً أخْرَى ؟

٣ـ ما الدَّليلُ في الآياتِ على أنَّ الشَّبابَ أكْثَرُ قَبولاً لِلْحَقِّ مِنَ الكِبارِ ؟

٤ـ كَيْفَ تَسْتَنْتِجُ مِنْ هَذهِ الآياتِ أنَّ ضيقَ المَكانِ لا يَعني ضيقَ الحالِ ؟

٥ـ أيَّدَ اللهُ تعالى هَؤلاءِ الشَّبابَ بِأُمورٍ عِدَّةٍ ، اذْكُرِ اثْنَيْنِ مِنْها كَما جاءَ في آياتِ الدَّرسِ .

٦ـ ما الدَّرْسُ المُسْتَفادُ مِنَ الآياتِ التاليةِ :

أـ إنهم فِتْيةٌ آمنوا بربِّهم .

ب ـ لَنْ نَدْعوَ مِنْ دُونِهِ إلهاً لَقَدْ قُلْنا إذاً شَطَطاً .

ج ـ لَوْلا يَأْتونَ عليهِم بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ .

نَشاطٌ :

١ـ وازِنْ بَيْنَ الكَهْفِ والغارِ ، واكْتُبْ ذلكَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اذْكُرْ دَرْساً آخرَ يُسْتفادُ مِنَ الآياتِ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

الدَّرْسُ الرَّابِعُ

سورَةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تزاوَرُ : تَميلُ .

تَقرِضُهُم : تترُكُهُم وتَتَجاوَزُ عَنْهُمْ فلا تُصيبُهُمْ .

فَجْوةٍ مِنْهُ : مُتَّسَعٍ مِنَ الكَهْفِ .

باسِطٌ ذِراعَيْهِ : مادٌّ يَدَيهِ .

بالوَصيدِ : فِناءِ الكَهْفِ .

رُعْباً : خَوْفاً وفزَعاً .

بِوَرِقِكُمْ : دَراهِمِ الفِضَّةِ الَّتي مَعَكُمْ .

يَظْهَروا عَلَيْكُمْ : يَعْلَموا مَكانَكُمْ .

يَرْجُموكُمْ : يَقْتُلوكُمْ رَمْياً بالحِجارَةِ .



التفسيرُ :

تُبيِّنُ هذهِ الآياتُ حالَ الفِتْيةِ بَعْدَ أنْ أووْا إلى الكَهْفِ ، وكَيْفَ تَعَهَّدَتْهُمْ عِنايةُ اللهِ وَرِعايتُهُ ، قالَ تعالى :

﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ .

كانَتِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلوعِها تَميلُ عَنْهُمْ إلى جِهَةِ اليَمينِ كَيْلا يُؤْذِيَهُمْ شُعاعُها المُباشِرُ ، كما كانتْ تَميلُ عَنْهُم كَذَلِكَ إذا غَربَتْ إلى جِهَةِ الشِّمالِ . وهذا المَيْلُ لِلشَّمْسِ عَنْهُم حالةَ شُروقِها وغُروبِها عِنايةٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ ، وقدْ كانوا في مُتَّسَعٍ مِنَ الكهفِ ، ولا يَنْقَطِعُ عَنْهُمُ الهواءُ . وهذا الَّذي حَصَلَ مَعَ الفِتْيَةِ في نَوْمِهِم دَليلٌ عَلى قُدْرَةِ اللهِ الدَّالَّةِ على عَظَمَتِهِ وتَصَرُّفِهِ في خَلْقِهِ ، ولا يَنْتَفِعُ بآياتِ اللهِ إلاَّ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِلْهِدايةِ ، ومَنْ لَمْ يُوَفِّقْهُ لِلْهِدايةِ فلا وَلِيَّ لَهُ يَنْصُرُهُ ، ولا يُمْكِنُ أنْ يَجِدَ مُرْشِداً وهادِياً يَدُلُّهُ عَلى الخَيْرِ .

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ .

أي تَظُنُّهُمْ أيُّها النَّاظِرُ إليهِمْ مُسْتَيْقِظينَ مَعَ أنَّهم نائِمونَ مُسْتَغْرِقونَ في نَوْمِهِم ، ويَتَقلَّبونَ يَميناً وشِمالاً لِئَلاَّ تَفْسُدَ أجْسامُهُم مِنَ الأرْضِ مَعَ طولِ المُدَّةِ ، وَكَلْبُهُمْ مادٌّ يَديهِ ، جالِسٌ في فِناءِ الكَهْفِ ، وهيَ جِلْسَةُ توثُّبٍ واسْتِعدادٍ كأنَّه يَحْرُسُهُمْ ، وَهُوَ في الحَقيقةِ نائِمٌ مِثْلُهُمْ ، ولَوْ شاهَدتَّهُمْ وَهُمْ على تِلْكَ الحالةِ لَفَرَرْتَ هارِباً خَوْفاً مِنْهُمْ ، وذلِكَ لِما أوْقَعَ اللهُ تعالى عَلَيْهِمْ مِنَ الهَيْبَةِ ، وهذه آيةٌ أُخْرى لَهُم لِئَلاَّ يَقْتَرِبَ مِنْهُمْ أَحَدٌ .

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ .

أي كما أَنَمْناهُمْ نَوْماً طَويلاً أيْقَظْناهُمْ ، فَسَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَنْ مُدَّةِ مُكْثِهِم ، فقالَ بَعْضُهُمْ : لَبِثْنا يَوْماً أوْ بَعْضَ يَوْمٍ ، بِناءً عَلىٰ غالِبِ ظَنِّهِمْ ؛ لأنَّ النَّائِمَ لا يُحْصي مُدَّةَ نَوْمِهِ ، ولِذَلِكَ عادوا

فَأحالوا العِلْمَ بِمُدَّةِ نَوْمِهم إلى اللهِ ، ولَعَلَّهُمْ شَعروا بِشدَّةِ الجوعِ فَطَلبوا مِنْ أَحَدِهِمْ أنْ يَذْهَبَ إلى المدينةِ ، وَيَأْخُذَ مَعَهُ القِطعَ النَّقديّةَ الفِضِّيَّةَ الَّتي مَعَهُمْ ، ويَخْتارَ مِنْ طَعامِها الحَلالِ الجَيِّدِ الطَّيِّبِ فَيَأْتِيهِمْ بِقوتٍ مِنْهُ ، وأوْصَوْهُ أنْ يَحْتاطَ حتَّى لا يَنْكَشِفَ أَمْرُهُمْ ؛ بأنْ يَكونَ لَطيفاً في المُعامَلَةِ مَعَ مَنْ يَلْقاهُ مِنْ أَهْلِ المَدينةِ ، فإنَّهُم إنْ عَلِموا أنَّهُ مِنَ الفِتْيَةِ الَّذينَ أوَوْا إلى الكَهْفِ ، واكْتَشَفوا مَكانَهُمْ ، فإنَّهُمْ سَيَقْتُلونَهُمْ رَجْماً بالحِجارَةِ ، أَوْ يُجْبِرونَهُمْ على العَوْدَةِ إلى الدِّينِ الباطِلِ الَّذي فَرّوا مِنْهُ ، وإنْ حَصَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَلَنْ يُفْلِحوا أبَداً . وقَوْلُهُمْ هذا كانَ بِناءً على ظَنِّهِمْ أنَّ أَهْلَ المَدينةِ الَّذينَ فَرُّوا مِنْهُم ما يَزالونَ مَوْجودينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ إنّ اللهَ تَعالى يُسَخِّرُ ما شاءَ مِنْ خَلْقِهِ لِحِمايَةِ أَتْباعِ دينِهِ ، ولَوْ كانَ ذَلِكَ بأمْرٍ خارِقٍ لِلعادَةِ .

٢ـ الهِدايَةُ والضَّلالُ بِيَدِ اللهِ تَعالى .

٣ـ النَّائِمُ لا يَدْري مِقْدارَ نَوْمِه .

٤ـ وُجوبُ الحَذَرِ والتَّلطُّفِ في المُعامَلَةِ عِنْدَ خَشْيَةِ العَدُوِّ .

٥ـ وُجوبُ طَلَبِ الحَلالِ في المَأْكَلِ والمَشْرَبِ وغيرِهما .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ عَدِّدْ ثَلاثةً مِنَ الأُمورِ الخارِقَةِ لِلعادَةِ حَصَلَتْ مَعَ أَصْحابِ الكَهْفِ في هذهِ الآياتِ .

٢ـ لماذا طَلَبَ الفِتْيَةُ مِنَ الذَّاهِبِ إلى المَدينةِ أنْ يَتَلَطَّفَ في تَعامُلِهِ ؟

٣ـ ما سَبَبُ الرُّعبِ الَّذي يُصيبُ النَّاظِرَ إلى أَهْلِ الكَهْفِ وهُمْ رُقودٌ ؟

٤ـ بيِّنْ معنى الآياتِ التَّاليةِ :

أ ـ وتَرى الشَّمسَ إذا طَلَعَتْ تَزاوَرُ عن كَهْفِهِمْ ذاتَ اليَمينِ .

ب ـ وإذا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ .

ج ـ وهُمْ في فَجْوَةٍ مِنْهُ .

د ـ قالوا رَبُّكُم أَعْلَمُ بما لَبِثْتُمْ .

هـ ـ وكَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بالوَصيدِ .

و ـ ولْيَتَلَطَّفْ ولا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً .

ز ـ يَرْجُموكُمْ أوْ يعيدوكُمْ في مِلَّتِهِمْ .

نَشاطٌ :

يَتَخَيَّلُ بَعْضُ النَّاسِ أنَّ أهْلَ الكَهْفِ اسْتَيْقَظوا ، وقَدْ طالَتْ شُعورُهُمْ وأظفارُهُمْ ، كَيْفَ تَرُدُّ على هذا الوَهْمِ ؟ اكْتُبِ الرَّدَّ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسُ

سورةُ الكَهْفِ - القِسْمُ الخامِسُ

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۖ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ : أَظْهَرْنا أَمْرَهُمْ .

إِذْ يَتنازَعونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ : اخْتَلَفَ النَّاسُ في شَأْنِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ .

الَّذين غَلَبوا : الَّذين انْتَصرَ رأيُهُمْ وعُمِلَ بِهِ .

مَسْجِداً : مَكاناً لِلصَّلاةِ .

رَجْماً بالغَيْبِ : ظَنّاً مِنْ دُونِ يَقينٍ .

فلا تُمارِ فيهِمْ : لا تُجادِلْ في عَدَدِهِمْ .

ولا تَسْتَفْتِ : ولا تَسْأَلْ



التفسير :

ما يَزالُ الحَديثُ عن أَهْلِ الكَهْفِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾ .

أي دَلَلْنا النَّاسَ عَلَيْهِمْ . والطَّريقَةُ الَّتي دلَّ اللهُ بها النَّاسَ على أهْلِ الكَهْفِ مَفْهومَةٌ مِنَ النَّصِّ ، فإنَّ الَّذي ذهَبَ يَشْتَري لأَصْحابِهِ طَعاماً لا بُدَّ وأنَّ أمْرَهُ قَدْ كُشِفَ ، فإنَّهُ أنْكَرَ النَّاسَ ، وأنْكَرَهُ النَّاسُ ، فَقدْ تَغيَّرَ النَّاسُ عَليْهِ ، واسْتَغْرَبَ النَّاسُ حالَهُ ، وإنَّما أعْلَمَ اللهُ في ذَلِكَ الزَّمانِ بأَهْلِ الكَهْفِ وقِصَّتَهُمْ لِيَعْلَموا أنَّ البَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ حَقٌّ ، فإنَّ نَوْمَ هَؤلاءِ الفِتْيَةِ لِسَنواتٍ طَويلةٍ كالمَوْتِ ، ولِيَعْلَمَ النَّاسُ أنَّ السَّاعَةَ لا شَكَّ في حُصولِها ، وأنَّ وعْدَ اللهِ بِبَعْثِ عِبادِهِ مِنْ قُبورِهِمْ حَقٌّ .

وقَدْ تنازَعَ أَهْلُ البَلْدةِ في شَأْنِ هَؤلاءِ الفِتْيَةِ ، واخْتَلَفوا فيهِمْ ، وانْقَسموا إلى فَريقَيْنِ : فريقٍ يَرى إقامَةَ بُنْيانٍ على الكَهْفِ ، وفَريقٍ ثانٍ يَرى بناءَ مَسْجِدٍ عَلَيْهِ ، لِيَكونَ مَكانَ صَلاةٍ وطاعةٍ للهِ ، وانْتَصَرَ أَصْحابُ هذا الرأْيِ ، وغَلَبوا الفَريقَ الآخَرَ .

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ .

تُبيِّنُ الآيةُ الكَريمَةُ أنَّ النَّاسَ اخْتَلفوا في عَدَدِ أصْحابِ الكَهْفِ ، فَذَهَبَ عَددٌ مِنْهُمْ إلى أنَّهُم ثَلاثةٌ رابعُهُمْ كَلْبُهُمْ ، وذَهَبَ فريقٌ آخَرُ إلى أنَّهمْ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ، وهما قَوْلانِ مَبْنيّانِ على الظَّنِّ مِنْ دُونِ أيِّ يَقينٍ ، وسَيقولُ عَدَدٌ مِنَ المُخْتَلفينَ فيهِمْ إنّهم سَبْعَةٌ وثامِنُهُم كَلْبُهُمْ .

ثُمَّ تُبيِّنُ الآيةُ أنّ الخَوْضَ في هذا الأَمْرِ ممّا لا فائِدَةَ فيهِ ، وأنّ الحِكْمَةَ مِنَ القِصّةِ غَيْرُ هذا الأَمْرِ ، فَلْيوكَلْ أَمْرُ عَدَدِهِمْ وتَفاصيلُ حادِثَتِهِمْ إلى اللهِ ، ﴿قُلْ ربِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ وَهُوَ ـ سُبحانَهُ ـ العالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ ، ولا يَعْلَمُ على وَجْهِ الضَّبْطِ عَدَدُهُمْ إلاّ قَليلٌ مِنَ النّاسِ ، ولا يَنْبَغي الخَوْضُ في هذا الأَمْرِ ومُناقَشَةُ أَهْلِ الكِتابِ فيهِ إلاّ بما ذَكَرَهُ الوَحْيُ وبيَّنَتْهُ الآياتُ ، وما عَداهُ مِنْ تفاصيلَ فلا داعِيَ لَهُ ، ولا يَنْبَغي سُؤالُ أَحَدٍ عَنْهُ .

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ .

هذا تَوْجيهٌ لِلنَّاسِ أنْ لا يَجْزِمَ أَحَدُهُمْ على فِعْلِ شَيْءٍ فيما يَقْدُمُ مِنَ الزّمانِ إلاَّ أنْ يَقْرِنَ عَزْمَهُ هذا بِمَشيئَةِ اللهِ فَيقولَ : إنْ شاءَ اللهُ ، وإذا نَسيَ قَوْلَ هذهِ العِبارةِ حالَ عَزْمِه على فِعْلِ الشَّيْءِ ، فَلْيَقُلْها حينَ يَتَذَكَّرُ ذَلِكَ ، وفي هذا التَّوجيهِ إرْشادٌ لِكُلِّ مُسْلمٍ أنْ يَجْعَلَ قَلْبَهُ مُتَعَلِّقاً باللهِ تَعالى في كُلِّ حالٍ ، وأنْ يَرُدَّ عِلْمَ الغَيْبِ وحوادثَ المُسْتَقْبَلِ إلى مَشيئَةِ اللهِ عَلاّمِ الغُيوبِ ، الّذي يَعْلَمُ ما كانَ وما يَكونُ .

وفي الآيَةِ الكَريمةِ إرْشادٌ آخَرُ ، وتَوْجيهٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ أنْ يَدعُوَ اللهَ تعالى أنْ يَخْتارَ لَهُ الأَمْرَ الأَقْرَبَ إلى الرُّشدِ والأحْسَنَ لِحالِهِ ، فإنَّهُ ـ سُبحانَهُ ـ العالِمُ بما يَصلُحُ لَهُ أكْثَرَ مِنْ نَفْسِهِ ، وعلى المُسْلِمِ أنْ يَتطَلَّعَ دائِماً إلى الأَمْرِ المُقرِّبِ مِنَ اللهِ تعالى أكْثَرَ ، والأَحْسَنِ لهُ في دينِهِ ودُنْياهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ ـ إنَّ هذهِ الحادِثَةَ مِنْ أوْضَحِ الأَدِلَّةِ على إمْكانِ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ .

٢ ـ النَّهْيُ عَنِ السُّؤالِ عمَّا لا فائِدَةَ فيهِ .

٣ ـ النَّهْيُ عَنِ الجِدالِ والمِراءِ ، وعَنْ سُؤالِ مَنْ لا عِلْمَ عِنْدَهُ بالأَمْرِ .

٤ ـ على المُسْلِمِ أنْ يَقْرِنَ حَديثَهُ عمَّا عَزَمَ على فِعْلِهِ في مُقْبِلِ الزَّمانِ بِقوْلِهِ : إنْ شاءَ اللهُ .

٥ ـ على المُسْلِمِ أنْ يَطْلُبَ مِنْ رَبِّهِ الهِدايَةَ إلى الرُّشْدِ والخَيْرِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عَنِ الأَسئِلَةِ التالِيَةِ :

١ ـ ما مَوْقِفُ أهْلِ القَرْيَةِ مِنَ الفِتْيَةِ ؟

٢ ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ قولِ عِبارةِ : (إنْ شاءَ اللهُ)مَعَ الأُمورِ المُسْتَقْبَلَةِ ؟

٣ ـ كَيْفَ تَدُلُّ هذهِ الحادِثَةُ على إمْكانِ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ ؟

٤ـ ماذا تَسْتَنْتِجُ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ التَّاليةِ :

أـ قالَ الَّذين غَلَبوا على أمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَليْهِمْ مَسْجِداً .

ب ـ رَجْماً بالغَيْبِ .

ج ـ فلا تُمارِ فيهِمْ إلاّ مِراءً ظاهِراً ولا تَسْتَفْتِ فيهِمْ مِنْهُمْ أحَداً .

د ـ واذْكُرْ رَبَّكَ إذا نَسيتَ .

نَشاطٌ :

اسْتَنْتِجْ مِنَ الآيةِ الثّانيةِ والعِشرينَ لِماذا كانَ الرَّأْيُ الثَّالِثُ هُوَ الصَّوابَ ؟ واكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّادِسُ

سُورةُ الكَهْفِ - القِسْمُ السَّادِسُ

وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **أَبْصِرْ بهِ وأَسْمِعْ** : هذهِ صِيغَةُ تعجُّبٍ تَعْني : ما أعْظَمَ إبصارَ اللهِ وسَمْعَهُ .
- **مُلْتَحَداً** : مَلْجأً تَحْتَمي بهِ .
- **واصْبِرْ نفسَكَ** : احْبِسْها وثَبِّتْها .
- **بالغَداةِ والعَشِيِّ** : في الصَّباحِ والمَساءِ .
- **ولا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ** : لا تَصْرِفْ نَظَرَكَ عَنْهُمْ إلى غَيْرِهِمْ .
- **أغْفلْنا قَلْبَهُ** : جَعَلْناهُ غافِلاً ناسِياً .
- **فُرُطاً** : ضَياعاً وهَلاكاً .



التفسيرُ :

تَبْدأُ هذهِ الآياتُ بِبيانِ مُدّةِ لُبْثِ الفِتْيَةِ في الكَهْفِ . قالَ تعالى :

﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾

هذا تَفْصيلُ المُدَّةِ الَّتي قَضاها الفِتْيَةُ في الكَهْفِ نائمينَ ، بَعْدَ أنْ سَبَقَ إجْمالُ المُدَّةِ في قولِهِ تَعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ [الكهف: ١١] وهِيَ ثَلاثُمِئَةِ سَنةٍ بالتَّقْويمِ الشّمسيِّ ، وزيادةُ تِسْعِ سِنينَ بالتّقْويمِ القَمَريِّ ، ولِذا كانَ التَّعْبيرُ عَنْ مُدَّةِ مُكْثِهِم بِهذا الأُسْلوبِ لِيُشيرَ إلى التَّقْويمين .

﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ أَخْبرَ ـ سُبْحانَهُ ـ عَنْ مُدَّةِ مُكْثِهِمْ ، أخْبرَ أنَّهُ هُوَ الأعْلَمُ بهذِهِ المُدَّةِ ، فَهُمْ أَنْفُسُهُم لَمْ يَعْلَموا كَمْ لَبِثوا ، كما لَمْ يَعْلَمْ ذلِكَ أَحَدٌ آخَرُ ، فهُوَ وَحْدَهُ الَّذي يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ في السّمواتِ والأرضِ ، فما أعْظَمَ إبْصارَهُ وسَمْعَهُ اللَّذيْنِ يُحيطانِ بِكُلِّ المَخْلُوقاتِ ، وصيغَةُ التَّعَجُّبِ في الآيَةِ ﴿أَبْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ﴾ تَدُلُّ على أنَّ عَظَمَةَ هذا الأمْرِ لا يُحيطُ بها إدْراكُ البَشَرِ ، وهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ، فاللهُ تَعالى يَرى ويَسْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ ، ولَيْسَ لأَهْلِ السّمواتِ والأرْضِ مَنْ يَتولّى أُمورَهُمْ ويَنْصُرُهُمْ ويُعينُهُمْ سِواهُ ، وهُو الغَنِيُّ عَنْهُمْ وعَنْ غَيْرِهِمْ لا يَحْتاجُ إلى مَنْ يُعينُهُ في حُكْمِهِ وقَضائِهِ .

﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾ .

بَعْدَ بيانِ حَقيقةِ حادِثَةِ الفِتْيَةِ أصْحابِ الكَهْفِ ، تَوجَّهَ الخِطابُ الإلَهِيُّ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ مُرَبِّياً ومُؤَدِّباً ، فأمَرَهُ أوّلاً بِتِلاوةِ القُرْآنِ الّذي حَفِظَهُ اللهُ ، ولا يُوجَدُ أَحَدٌ يَسْتَطيعُ تَبْديلَ كلامِ اللهِ ، ولا يُوجَدُ لِلْخَلْقِ مَنْ يَلْجَؤونَ إليهِ ويَسْتَعينونَ بهِ سِوى اللهِ .

وتَدُلُّ هذهِ الآيَةُ الكَريمةُ على عَظيمِ مَنْزِلَةِ القُرْآنِ الكريمِ ، فإنَّهُ الكتابُ المَحْفوظُ مِنَ التَّبديلِ والتَّغييرِ والزِّيادةِ والنُّقْصانِ ، وتِلاوتُهُ عِبادةٌ وقُرْبةٌ مِنَ اللهِ ، وهُوَ دُستورُ الأُمَّةِ الباقي ، ومِنْهاجُ حَياتِها الدّائِمُ .

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ .

والأَمْرُ الثّاني لِرَسولِ ﷺ هُوَ الصَّبْرُ على مُلازَمَةِ مَنِ اتبعَكَ وآمَنَ بِكَ ، الّذينَ يَدْعونَ اللهَ وَحْدَهُ

ويَذْكُرونَهُ صباحاً ومَساءً ، وفي كُلِّ أَوْقاتِهِمْ ، لا يُريدونَ بذلِكَ عَرَضاً مِنْ أَعْراضِ الدُّنيا ، وإنَّما يُريدونَ رضا اللهِ ، ولا تَتَجاوَزْ عَيْناكَ هَؤلاءِ المَوْصوفينَ بهذهِ الصِّفَةِ إلى غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ زينَةِ الدُّنيا وأَمْوالِها ومَنْزِلَتِها ، ولا تُطِعْ أَحَداً مِنْ أَهْلِ الكُفْرِ ، فإنَّهُمْ غافِلونَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ومُتَّبِعونَ لأَهْوائِهِمْ ، وحالُ أَمْرِهِمْ ومَآلُهُم ضَياعٌ وهَلاكٌ وخَسارَةٌ .

ولَمْ يَكُنْ رَسولُ اللهِ ﷺ يَتطَلَّعُ إلى الدُّنْيا وأَهْلِها برَغْبَةٍ ، بَلْ كانَ أَزْهَدَ النَّاسِ فيها ، ولكنَّهُ كانَ يَرْغَبُ في إيمانِ أَهْلِ السُّلْطَةِ والغِنى لِعِلْمِهِ بما يَنْتَظِرُهُمْ مِنْ عذابٍ مُهينٍ إنْ بَقُوا على كُفْرِهِمْ ، وفي هذهِ الآيةِ تَوْجيهٌ لَهُ ﷺ ولِكُلِّ مَنْ يَقْتَدي بِهِ أَنْ يَجْعَلَ جُلَّ وَقْتِهِ مَعَ المُؤْمنينَ الصَّادِقينَ الباحِثينَ عَنْ رِضا اللهِ ، فإنَّهُمْ يُذَكِّرونَهُ باللهِ بحالِهِمْ ولِسانِهِمْ ، وأَنْ لا يَغْتَرَّ بما عِنْدَ أَهْلِ الدُّنيا مِنْ زينَةٍ وَجاهٍ ، فإنَّهُ إلى زَوالٍ وهَلاكٍ ، وهذا لا يَمْنَعُ مِنْ نُصْحِهِمْ ودَعْوَتِهِمْ إلى الخَيْرِ والرَّغْبَةِ في إيمانِهِمْ ، فَتكونُ العَلاقةُ بِهِمْ لِلتَّأْثيرِ فيهِمْ ، وهِدايَتِهِمْ لا للتَّأَثُّرِ بِهِمْ ، وتنفيذِ رَغَباتِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ على المُسْلِمِ أَلاّ يُشْغِلَ فِكْره بما لا سَبيلَ إلى مَعْرِفَتِهِ كَعِلْمِ الأُمورِ المُغَيَّبَةِ .

٢ـ على المُسْلِمِ أَنْ يَشْغَلَ وَقْتَهُ بتلاوةِ كتابِ اللهِ والتَّدبُّرِ في مَعانيهِ .

٣ـ على المُسْلِمِ أَنْ يَصْبِرَ على مُعايَشَةِ إخْوانِهِ أَهْلِ الإيمانِ أَوْلياءِ الرَّحْمنِ ، ولا يُفارِقَهُمْ لِيَنْشَغِلَ بِأَهْلِ الدُّنْيا .

٤ـ اللهُ تعالى يَعْلَمُ مِنْ حالِ المَرْءِ ما لا يَعْلَمُهُ المَرْءُ عَنْ نفسهِ .

٥ـ اللهُ تعالى غَنِيٌّ عَنْ خَلقِهِ ، لا يَحتاجُ إلى إعانَةٍ مِنْهُمْ وهُمْ المُحْتاجونَ إلَيْهِ .

٦ـ حِفْظُ اللهِ تعالى كِتابَهُ وكلماتِهِ مِن التَّحْريفِ والتَّبْديلِ .

٧ـ دَعْوةُ المُؤْمنينَ إلى الاجْتماعِ على الخَيْرِ وذِكْرِ اللهِ .

٨ـ الأُمورُ لَيْسَتْ بِظَواهِرِها ؛ فَقَدْ يَكونُ المَرْءُ بَيْنَ النَّاسِ عَظيماً ذا شَرَفٍ وَجاهٍ وَزينَةٍ ، ولَكِنَّهُ عِنْدَ اللهِ خاسِرٌ هالِكٌ .

٩ـ على الدّاعي إلى اللهِ أَنْ لا يَتَأَثَّرَ بِحالِ أَهْلِ الدُّنْيا ، وما عِنْدَهُمْ مِنْ مَتاعِها ، بَلْ يُؤَثِّرُ فيهِمْ ويَدْعوهُمْ إلى طاعَةِ اللهِ .



التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما معنى ﴿أبْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ﴾ ؟ وما فائِدَةُ أُسْلوبِ التَّعَجُّبِ ؟

٢ـ عَلامَ يَدُلُّ إعْلامُ اللهِ تعالى لنا عَنْ مُدَّةِ لَبْثِ أهْلِ الكَهْفِ فيهِ ؟

٣ـ ما مَعنى : مُلْتَحَداً ، الغَداةِ ، العَشيِّ ، فُرُطاً .

٤ـ مَنْ هُمُ الَّذينَ أَمَرَ اللهُ تعالى بِحَبْسِ النَّفْسِ مَعَهُم ؟ وما فائِدَةُ ذَلِكَ ؟

٥ـ وَرَدَ في الآياتِ الكَريمةِ تَوْجيهانِ مِنَ اللهِ لِرَسولِهِ ﷺ ، اذْكُرْهُما مَعَ الدَّليلِ على كُلٍّ مِنْهُما .

٦ـ اذْكُرْ ثلاثةً مِنَ الدُّروسِ المُسْتَنْبَطَةِ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ .

نَشاطٌ :

١ـ حَوِّلْ ثَلاثَمِئةِ سَنةٍ شَمْسيةٍ إلى ما يُقابِلُها مِنَ السِّنينَ القَمَرِيَّةِ ، إذا عَلِمْتَ أَنَّ السَّنَةَ الشَّمْسيَّةَ تَزيدُ على القَمَرِيَّةِ أَحَدَ عَشَرَ يَوْماً في السَّنةِ ، واكْتُبِ الإجابَةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الدّالَّةَ على حِفْظِ اللهِ تعالى لِكِتابِهِ العَزيزِ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ السَّابِعُ

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **أحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها** : أحاطَتْ بِهِمُ النَّارُ كما يُحيطُ البَيْتُ والسُّورُ بما فيهِ .
- **كالمُهْلِ** : كَعَكَرِ الزَّيْتِ ، وهو ما يَبْقى في أسْفَلِ الإناءِ ثَخِناً رَديئاً .
- **مُرْتَفَقاً** : مَقَرّاً ومَكانَ اسْتِراحةٍ .
- **سُنْدُسٍ** : حَريرٍ رَقيقٍ .
- **وإِسْتَبْرَقٍ** : حَريرٍ غَليظٍ ثَقيلٍ .
- **الأرائِكِ** : السُّرُرِ المُزَيَّنةِ الفاخرةِ .

التفسيرُ :

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ .

بَيَّنَتِ الآياتُ السَّابقَةُ التَّوْجيهاتِ الإلهيَّةَ لِرَسولِ اللهِ ﷺ . وفي هَذِهِ الآياتِ بَيانٌ لِتَوْجيهٍ آخَرَ لَهُ ، وهُوَ أنْ يَقولَ الحَقَّ ، وأنَّ ما جاءَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ هُوَ الحَقُّ ، وأنَّهُ مِنْ عِنْدَ اللهِ ، وَهُوَ مَعْروضٌ أمامَ

المَدْعوِّينَ ، وَهُمْ مُخيَّرونَ بَيْنَ اتِّباعِهِ بالإيمانِ ، وعَدَمِ اتِّباعِهِ بالبَقاءِ على الكُفْرِ ، إلاَّ أنَّ رَحْمَةَ اللهِ تعالى البالِغَةَ بعبادِهِ اقْتَضَتْ مِنْهُ ـ سُبحانَهُ ـ أنْ يُبَيِّنَ لِخَلْقِهِ مَصيرَ كُلٍّ مِنَ الفَريقينِ ، إقامَةً لِلْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، وتَرْغيباً في الإيمانِ .

فالَّذينَ كَفَروا باللهِ قَدْ ظَلَموا أنْفُسَهُمْ ، وسَيكونُ مَصيرُهُمْ يَوْمَ القيامةِ النَّارَ ، الَّتي سَتُحيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، كَما يُحيطُ السُّورُ والبناءُ بما فيهِ ، فَهِيَ نارٌ وجُدْرانُها مِنْ نارٍ ، فلا يَسْتَطيعونَ الخُروجَ مِنْها ، وَحينَ يُصيبُهُمُ العَطَشُ مِنْ شِدَّةِ العَذابِ ، وَيَستغيثونَ طالِبينَ الغَوْثَ والشُّرْبَ ، يُسْقَوْنَ مِنْ ماءٍ قَبيحٍ مُنْتِنٍ لا يُطاقُ يُشْبِهُ عَكَرَ الزَّيْتِ ، وقَدْ بَلَغَ دَرَجةً عاليةً مِنَ الحَرارَةِ فإذا اقْتَرَبَ مِنْ وُجوهِهِمْ ذابَتْ مِنْ شِدَّةِ الحَرارَةِ ، وَمَعَ ذَلِكَ سَيُرْغَمونَ على شُرْبِهِ لِتَتَقَطَّعَ مِنْهُ أمْعاؤُهُمْ ، كما قالَ تعالى في سورةٍ أُخْرى : ﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥] فَهُوَ شرابٌ سَيِّءٌ قَبيحٌ ، بَلْ إنّ جَهَنَّمَ أسْوأُ مَكانِ إقامَةٍ ، كُلُّها عَذابٌ ، وأسْوارُها وشَرابُها وطَعامُها عَذابٌ ، وإطْلاقُ المُرْتَفَقِ عَلَيْها ، وهُوَ مَكانُ الاسْتِراحةِ ، لِلتَّهَكُّمِ بأهْلِها ، أعاذَنا اللهُ تعالى مِنْها بِرَحْمَتِهِ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾

هذا شُروعٌ في تَبيينِ عاقِبَةِ مَنِ اخْتارَ الإيمانَ على الكُفْرِ ، وقادَهُ إيمانُهُ إلى العَمَلِ الصَّالحِ ، فهؤلاءِ أعْمالُهُمْ لا تَذْهَبُ ضَياعاً وسُدىً ـ كما هُوَ حالُ أعْمالِ الكافِرينَ ـ بَلْ يَجْزيهِمُ اللهُ تعالى عَلَيْها أحْسَنَ الجَزاءِ ، وهُو ماتُبَيِّنُهُ الآيةُ التاليةُ :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ .

فَمَصيرُهُمْ جَناتٌ يُقيمونَ فيها إقامَةً دائِمَةً لا تَنْقَطِعُ ولا تَنْتَهي ، وفي هذهِ الجَنَّاتِ جَميعُ أصْنافِ النَّعيمِ ؛ فَفيها أنْهارٌ تَجْري مِنْ تَحتِ مَنازِلِها ، وهِيَ أنهارٌ متنوِّعَةٌ ، كما قالَ تَعالى في سُورةٍ أُخْرَى : ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ [محمد: ١٥] وفيها أساوِرُ مِنْ ذَهَبٍ يُحَلَّى بها أهْلُ الجَنَّةِ . والأَساوِرُ : جَمْع أَسْوِرَةٍ ، وفي تَنْكيرِها إشْعارٌ بأنَّها في غايةِ الجَمالِ والرَّوْعةِ .

ويَلْبَسُ أهْلُ الجَنَّةِ ثِياباً لَوْنُها أَخْضَرُ ، واللَّوْنُ الأخْضرُ أحْسَنُ الأَلْوانِ وأَكْثَرُها طَراوَةً وَراحةً لِلْعَيْنِ ، وقَدْ نُسِجَتْ هذهِ الثِّيابُ مِنْ رَقيقِ الحَريرِ ، وبَعْضُها مِنْ غَليظِهِ ، والجَمْعُ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ لِلدَّلالةِ على أنَّ فِيها ما تَشْتَهيهِ الأنْفُسُ وتَلَذُّ الأعْيُنُ ، ولِلدَّلالةِ على عِظَمِ النّعيمِ ، فالسُّندسُ رَقيقُ الحَريرِ لباسٌ داخِليٌّ ، والإسْتَبرقُ غَليظُ الحَريرِ يُلْبَسُ فَوْقَهُ ، ويَتَّكِئونَ على الأرائِكِ وهِيَ السُّرُرُ المُزَيَّنةُ الفاخِرَةُ المُرْخاةُ عَلَيْها السُّتورُ الجَميلةُ ، وخُصِّصَ الاتِّكاءُ بالذِّكْرِ لأنَّهُ هَيْئَةُ المُتَنَعِّمينَ .

هذا جَزاءُ المُتَّقينَ المُؤْمِنينَ الَّذين كانوا يَعْمَلونَ الصَّالِحاتِ ، ونِعْمَ الجزاءُ هُوَ ، وحَسُنَتِ الجَنَّةُ دارَ إقامةٍ ونَعيمٍ لأَهْلِها ، فَمَنْ أرادَها عَلَيْهِ أنْ يَسْعى لَها بالعَمَلِ الصّالِحِ والاجْتِهادِ في طاعَةِ اللهِ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ العاقِلُ لا يَفْعَلُ ما يَقودُهُ إلى العذابِ الَّذي أعَدَّهُ اللهُ تعالى لِمَنْ كَفَرَ بهِ .

٢ـ عِظَمُ نَعيمِ أهْلِ الجَنَّةِ وتنوُّعُهُ ، وهُوَ في أعْلى دَرَجاتِ النَّعيمِ والرَّاحَةِ ، والعاقِلُ يَحْرِصُ على تَحْصيلِهِ والتَّنعّمِ بِهِ .

٣ـ الإنْسانُ مُخَيَّرٌ بَيْنَ الهِدايةِ والضَّلالِ ، ولكنْ على الإنسانِ أنْ يَتَحَمَّلَ عاقِبَةَ اخْتيارِهِ ، فَلِلْكافِرِ النَّارُ ، ولِلْمُؤْمِنِ جَنَّاتٌ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ وازِنْ بَيْنَ ما وَصَفَ اللهُ بهِ حالَ أَهْلِ النّارِ وما وَصَفَ بهِ حالَ أهْلِ الجَنَّةِ ، كما جاءَ في الآياتِ الكَريمةِ .

٢ـ لِماذا سَمَّتِ الآيةُ الكريمةُ الكافِرَ ظالِماً ؟

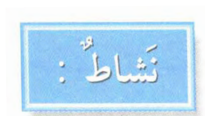
٣ـ ما معنى : السُّرادِقُ ؟ وهل إحاطَتُهُ بأَهْلِ النّارِ لِتَخفيفِ العَذابِ أَوْ لِزيادَتِهِ ؟

٤ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ السُّنْدُسِ والإسْتَبْرَقِ ؟

٥ـ لِمَ خُصَّ ذِكْرُ الاتّكاءِ على الأرائِكِ مِنْ دُونِ غَيْرِهِ مِنْ أحْوالِ أهْلِ الجَنَّةِ ؟

٦ـ اذْكُرْ ما أعَدَّهُ اللهُ تعالى لأَهْلِ الجَنَّةِ مِنْ نَعيمٍ مُرَتَّباً كما جاءَ في الآيةِ الكَريمةِ .

٧ـ صِفْ شَرابَ أهْلِ النَّارِ ، واذْكُرْ أثَرَهُ في الشَّارِبِ .



١ـ وَرَدَ في سُورةِ الغاشِيَةِ بَيانٌ لِنَعيمِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ الدَّالةَ على ذَلِكَ .

٢ـ ارْجِعْ إلى أَحَدِ كُتُبِ المَعاجِمِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهُ أَصْلَ اشْتِقاقِ لَفْظَيْ : سُنْدُسٍ ، وإسْتَبْرَقٍ ، واكْتُبِ الإجابَةَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّامنُ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثّامِنُ

۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

جنَّتين : بُسْتانَيْن .

حَفَفْناهُما : أحطْناهُما .

آتَتْ أُكُلَها : أعْطَتْ ثِمارَها الّتي تُؤْكَلُ .

وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً : ولَمْ تَنْقصْ مِنْ ثَمَرِها شَيْئاً .

فَجَّرْنا خِلالَهُما نَهَراً : شَقَقْنا الأَرْضَ وأجْرينا بَيْنَ الأشْجارِ نَهراً .

نَفَرا : أعْواناً وعَشيرةً .

تَبيدُ : تَهلِكُ وتَفْنى .

مُنْقَلَباً : مَرْجِعاً وعاقِبَةً .

لكنّا : لَكِنْ أنا ، حُذِفَتِ الهَمْزَةُ وأُدْغِمَتِ النُّونُ في النُّونِ .

هُوَ اللهُ ربِّي : أيْ أَقُولُ هُوَ اللهُ رَبِّي .



التفسيرُ :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) ﴾ .

هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تعالى لِعِبادِهِ لِيَتَّعِظوا ويَبْتَعِدوا عَمَّا فيهِ مِنْ خِصالٍ مَذْمومةٍ ، ويَعْمَلوا بما جاءَ فيهِ مِنْ خِصالٍ حَميدةٍ ، والمَثَلُ المَضْروبُ : رَجُلانِ أَحَدُهُما كافِرٌ أُعْطِيَ مِنْ أَنْواعِ المالِ ما جَعَلَهُ مُتعالياً ، والآخَرُ مُؤْمِنٌ جَعَلَهُ إيمانُهُ يَطْمَئِنُّ إلى القَليلِ ويَرْضى بِهِ . وفيما يَلي تَفْصيلٌ لِحالِ كُلٍّ مِنْ هذينِ الرّجلينِ ، أَمَّا الأَوَّلُ فَكانَ يَمْلِكُ بُسْتانَيْنِ جَميلَيْنِ ، فيهِما الأَعْنابُ المُثْمِرَةُ ، ويُحيطُ بها أَشْجارُ النَّخيلِ ، وبَيْنَ هَذَيْنِ الصِّنفَيْنِ أَصْنافٌ أُخْرى مِنَ الزُّروعِ المُتَنوِّعَةِ .

﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) ﴾

وكُلُّ واحِدَةٍ مِنَ الحَديقَتَيْنِ أَخْرَجَتْ ثِمارَها يانِعَةً طَيِّبَةً ، في غايَةِ الجُودَةِ والحُسْنِ ، ولَمْ تُنْقِصْ مِنْهُ شَيْئاً ، ويَجْري بَيْنَ الجَنّتينِ وفي خِلالِهِما نَهَرٌ لِيَكونَ السَّقْيُ مِنْهُ أَيْسَرَ وأَسْهَلَ .

وفي هاتيْنِ الآيَتَيْنِ تَصْويرٌ جَميلٌ لِمَنْظَرِ الحَديقَتَيْنِ المُثْمِرَتَيْنِ المُحاطَتَيْنِ بأَشْجارِ النَّخيلِ لِحمايَتِهِما ، وفيهِما أَنْواعُ الزّروعِ المُخْتَلِفَةُ وتَجْري فيهِما الأَنْهارُ البَهيجَةُ .

﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) ﴾

وكانَ لِلرَّجُلِ صاحبِ الجَنَّتينِ أَمْوالٌ أُخْرى سِوى الجَنَّتينِ يُثَمِّرُها ويُنَمِّيها ، فَهُوَ في نَعيمٍ كَبيرٍ ، وكانَ لَهُ أَوْلادٌ وَخَدَمٌ ، فَقالَ لِصاحِبِهِ المُؤْمِنِ وهُوَ يُراجِعُهُ في الكَلامِ ، ويَطوفُ بِهِ في الجَنّتَيْنِ ، ويُريهِ ما فيهِما ويُفاخِرُهُ بما عِنْدَهُ مِنْ ثِمارٍ وأَمْوالٍ : أنا أَكْثَرُ مِنْكَ مالاً وأَكْثَرُ أَنْصاراً وخَدَماً وأَوْلاداً .

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٥) ﴾

واغْتَرَّ هذا الرَّجُلُ بما يَمْلِكُ مِنْ حُطامِ الدُّنيا ومَتاعِها ، وظَنَّ أَنَّهُ مُخَلَّدٌ فيهِ ، فَدَخَلَ إِحْدى جَنَّتَيْهِ وهُوَ مُتَمَرِّدٌ مُتَكَبِّرٌ مُنْكِرٌ لِلْبَعْثِ والمَعادِ ، وفي ذَلِكَ ظُلْمٌ لِلنَّفْسِ وكُفْرٌ لِلنِّعْمَةِ ، وقالَ عِنْدَما رَأى ثِمارَها وخُضْرَتَها : إِنَّ جَنَّتِي هَذِهِ لَنْ تَهْلِكَ أَبَداً .

﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) ﴾

وَتَمادى في غَفْلَتِهِ وإِعْجابِهِ بما يَمْلِكُ ، فَنَطَقَ بالكُفْرِ الصَّريحِ ، مُعْلِناً أَنَّهُ لا يُؤْمِنُ بيومِ القيامَةِ ، وأَنَّهُ عَلى افْتِراضِ حُصولِ ذَلِكَ فإِنَّهُ سَيكونُ يَوْمَ القِيامَةِ مالِكاً لأَحْسَنَ مِنْ جَنَّتَيْهِ هاتَيْنِ ، وسَتَكونُ

عاقبتُهُ ومَرْجِعُهُ إلى خَيْرٍ ونَعيمٍ ، ظَنّاً مِنْهُ أنَّ ما أُعْطيهِ في الدُّنْيا عَنِ اسْتِحْقاقٍ وأنَّهُ كَرامَةٌ مِنَ اللهِ لَهُ .

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ .

قالَ لَهُ صاحِبُهُ المُؤْمِنُ وهُوَ يُراجِعُهُ ويُكَلِّمُهُ ويُناقِشُهُ الحَديثَ : أَكَفَرْتَ باللهِ حينَ قُلْتَ ﴿وما أظنُّ السَّاعةَ قائِمَةً﴾ وَهُوَ الَّذي خَلَقَكَ مِنَ التُّرابِ الَّذي خَلَقَ منهُ آدَمَ ، ثُمَّ تناسَلَتْ ذُرِّيَّتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ النُّطْفَةِ الَّتي تَتَحَوَّلُ مِنْ ماءٍ مَهينٍ لِتُصْبِحَ رَجُلاً قَوِيّاً ومَخْلوقاً مُتَكامِلاً ، فَهَلْ يَسْتَحِقُّ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ بهذِهِ النِّعَمِ الكُفْرَ وإنكارَ البَعْثِ ، وإنْ كُنْتَ كذلِكَ فأنا أَقولُ : إنَّ الَّذي خَلَقَني وأنْعَمَ عَلَيَّ بِنِعَمِهِ هُوَ اللهُ رَبِّي ، وإنِّي لَنْ أُشْرِكَ بهِ أحَداً مِنْ خَلْقِهِ ، فَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلعبادَةِ والطّاعَةِ ، وَهُوَ وَحْدَهُ المَنْعِمُ المُتَفَضِّلُ على عِبادِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ ضَرْبُ المَثَلِ يُقَرِّبُ المَعْنى وَيُوَضِّحُهُ .

٢ـ حُصولُ نِعَمِ الدُّنْيا لِلْعَبْدِ لا يَعْني أَنَّهُ كَرامَةٌ مِنَ اللهِ لَهُ ، بَلْ قَدْ يَكونُ ابْتِلاءً واخْتِباراً .

٣ـ الكِبْرُ والغُرورُ يَقودانِ صاحِبَهُما إلى الشَّرِّ والكُفْرِ .

٤ـ المُكَذِّبُ بِالبَعْثِ والنُّشورِ كافِرٌ باللهِ ، لأنَّهُ مُكَذِّبٌ للهِ في خَبَرِهِ .

٥ـ المُؤْمِنُ وإنْ كانَ فَقيراً فَهُوَ عَزيزٌ بعِزَّةِ اللهِ لا يَهُونُ في مَجالِ المُواجَهَةِ مَعَ الكَفَرَةِ المُشْرِكينَ .

٦ـ المُؤْمِنُ دائِمُ النُّصْحِ لِغَيْرِهِ ، لا تَأْخُذُهُ في اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ .

٧ـ مِنْ أَساليبِ إقامَةِ الحُجَّةِ على مُنْكِري البَعْثِ تَذْكيرُهُم بالنَّشْأَةِ الأُولى في خَلْقِ أبيهِمْ آدَمَ مِنْ تُرابٍ وَخَلْقِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ ماءٍ مَهينٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِماذا وُصِفَتِ الجَنَّتانِ في الآياتِ الكَريمةِ ؟

٢ـ ما الَّذي جَعَلَ صاحِبَ الجَنَّتَيْنِ يُنْكِرُ البَعْثَ ؟

٣ـ ما أَصْلُ « لكنَّا » ؟ وكَيْفَ أصْبَحتْ تُلفظُ هَكذا ؟

٤ـ ما فائِدَةُ تَذْكيرِ الإنسانِ بأنَّ أصْلَ خَلْقِهِ مِنْ تُرابٍ ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعنى الألفاظِ التَّاليةِ :

نفَراً ، تَبيدَ ، حَفَفْناهُما ، مُنْقَلَباً .

نَشاطٌ :

١ـ قالَ اللهُ تعالى : ﴿فأمّا الإنسانُ إذا ما ابْتلاهُ ربُّهُ فأكْرَمَهُ ونَعَّمَهُ فَيَقولُ ربِّي أكْرَمَنِ﴾ ما وَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ هذا القَوْلِ وما قالَهُ صاحِبُ البُسْتانِ ؟ اكْتُبِ الإجابَةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ مِنْ فَهْمِكَ للآياتِ الكَريمةِ ، ارْسُمْ في دَفْتَرِكَ رَسْماً تَقْريبياً يُبيِّنُ صِفَةَ الجَنَّتَينِ .

❊ ❊ ❊

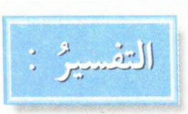
الدَّرْسُ التَّاسِعُ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

حُسْباناً	عَذاباً مُهْلِكاً .
صَعيداً	أَرْضاً جَرْداءَ لا نَباتَ فيها .
زَلَقا	مَلْساءَ .
غَوْراً	ذاهِباً في أَعْماقِ الأَرْضِ .
أُحيطَ بِثَمَرِهِ	هَلَكَتْ ثِمارُهُ فَلَمْ يَبْقَ مِنْها شَيْءٌ .
يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ	يَضْرِبُ إِحْدى يَدَيهِ على الأُخْرى نَدَماً وحَسْرَةً .
خاويةٌ على عُروشِها	ساقِطَةً على أَعْمِدَتِها وجُدْرانِها .
فئةٌ	جَماعةٌ .
الولايةُ	النُّصْرةُ والعَوْنُ .
خَيْرٌ عُقْبا	خَيْرٌ نتيجةً ونهايةً .



﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) ﴾

هذا مِنْ تَتِمَّةِ كلامِ الرَّجُلِ المُؤْمِنِ لِصاحِبِ الجنَّتَيْنِ ، يَحُثُّهُ على ذِكْرِ اسْمِ اللهِ تعالى عِنْدَ دُخولِ حَديقتِهِ ، وأنْ يَعْتَرِفَ بأنَّ النِّعَمَ الَّتي عِنْدَهُ هِيَ مِنْ فَضْلِ اللهِ تَعالى عليهِ ، فما شاءَ اللهُ كانَ ، وما لَمْ يَشأْ لَمْ يَكُنِ ، وأنَّهُ لا قُدْرَةَ لأحدٍ على فِعْلِ شَيْءٍ إلاَّ بإعانةِ اللهِ لَهُ .

وهذا تَعْليمٌ مِنَ المُؤْمِنِ لِلْكافِرِ وتَوْبيخٌ لَهُ ، ثُمَّ بَيَّنَ لَهُ أنَّهُ لا يَجوزُ لَهُ أنْ يَحتَقِرَهُ ويَتكبَّرَ عليْهِ لأنَّهُ يَراهُ قَليلَ المالِ والأوْلادِ ، فَقالَ لَهُ :

﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا (٤١) ﴾ .

هذا جَوابُ الشَّرْطِ ﴿إن ترن. . .﴾ المَذْكورِ في الآيةِ السَّابقةِ ، أيْ : واللهُ تعالى قادِرٌ على أنْ يُغيِّرَ هذا الحالَ ، فيُعْطيَني مِنْ رِزْقِهِ خيْراً ممَّا عِنْدَكَ أيُّها الكافِرُ ، وأنْ يُرْسِلَ على جَنَّتِكَ الَّتي اغْتَرَرْتَ بها عَذاباً مِنَ السَّماءِ كالصَّاعِقَةِ ، فَتُصْبِحَ بَعْدَ أنْ كانتْ جَنَّةً مُثْمِرَةً يانِعَةً ، أرضاً جَرْداءَ خالِيَةً مِنَ النَّباتِ والأشْجارِ ، مَلْساءَ لا يَسْتَقِرُّ عليْها شَيْءٌ ، خالِيَةً مِنَ الماءِ بِسببِ ذَهابِهِ في باطِنِ الأرْضِ ، بِحَيْثُ لا يُمكِنُ اسْتِخْراجُهُ والإفادَةُ منْهُ . ولَمْ تَنْفَعْ هذهِ النّصيحةُ والمَوْعِظَةُ الكافِرَ فاسْتَمَرَّ عى كُفْرِهِ ، وَوَقَعَ ما حَذَّرَ منهُ المُؤْمِنُ :

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا (٤٢) ﴾ .

يَنْتَقِلُ بنا السِّياقُ مِنْ مَشْهَدِ البَهْجَةِ والازْدِهارِ إلى مَشْهَدِ الدّمارِ ، بَعْدَ أنْ هَلَكَتْ ثِمارُهُ وأمْوالُهُ ، سَقطَتْ مُحْتَوياتُها على أعْمِدَتِها وجُدْرانِها ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْها ما يَنْفَعُ أوْ يَسُرُّ . وتُبيِّنُ الآيةُ حالَ الكافِرِ يَضْرِبُ إحْدى يَديْهِ بالأُخْرَى نَدَماً وتَحسُّراً وألَماً لِما أصابَهُ ، وَهُوَ يتَذَكَّرُ مَوْعِظَةَ صاحِبِهِ الّتي لَمْ يَنْتَفِعْ بها ، ويُعاتِبُ نَفْسَهُ على كُفْرِهِ وجُحودِهِ لِنِعَمِ اللهِ ، ويَتمَنَّى لو عادَتْ بهِ الأيامُ لِيُصْلِحَ عَمَلَهُ ويُغيِّرَ مسارَ حياتِهِ ، وهذا شأْنُ كلِّ مُقَصِّرٍ .

﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) ﴾ .

كانَ صاحِبُ الجَنَّتَيْنِ مُعْتَزًّا بمالِهِ وأعْوانِهِ ، مُعْتَمِداً عَليْهِما لِدَفْعِ الضُّرِّ عَنْهُ ، إلاَّ أنَّه لَمَّا وَقَعَ بِهِ

عِقابُ اللهِ لَمْ يَنْفَعْهُ رِجالُهُ وأعْوانُهُ ، وما كانوا يَقْدِرُونَ عَلى دَفْعِ ما وَقَعَ بِهِ ونَصْرِهِ ، فأيْنَ قُدْرَةُ هؤلاءِ وأمْثالِهِمْ مِنْ قُدْرَةِ العَظيمِ القادِرِ على كُلِّ شَيْءٍ ، ولَمْ يَكُنْ لِيستَطيعَ هُوَ أنْ يَدْفَعَ عَنْ ذاتِهِ ومُلْكِهِ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهِ ، فَذَهَبَ ما كانَ يَعْتَزُّ بهِ ويَفْخَرُ ، ولَمْ يَبْقَ لَهُ قُوَّةٌ ولا عِزَّةٌ ، وفي هذا أَبْلَغُ الدَّلالَةِ على أنَّ الأُمورَ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ .

﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾

ففي مِثْلِ هذهِ الأحْوالِ يَتَبَيَّنُ لِلنّاسِ أنَّ النَّصْرَ والعَوْنَ إنّما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَحْدَهُ ، وأنَّ المُلْكُ و لقُوَّةَ والسُّلْطانَ للهِ الحَقِّ لا لِغَيْرِهِ ، وهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ خَيْرُ مَنْ يُثيبُ على الإيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ ، وعاقِبَةُ طاعةِ اللهِ تَعالى خَيْرٌ وأَبْقى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ المُؤْمِنُ البَصيرُ بدينهِ يَقِفُ مِنَ الكُفّارِ مَوْقِفَ المُعَلِّمِ والمُربّي ، كَفِعْلِ هذا المُؤْمِنِ مَعَ صاحِبِهِ الكافِرِ .

٢ـ قيمَةُ المَرْءِ بإيمانِهِ لا بمالِهِ وسُلْطانِهِ .

٣ـ يَقولُ المُؤْمِنُ عندما يَرى ما يُعجِبُهُ : ما شاءَ اللهُ لا قُوَّةَ إلاّ باللهِ ، فإنَّه لا يَرى فيهِ مَكْروهاً بإذنِ اللهِ .

٤ـ يَسْتَجيبُ اللهُ تعالى لِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ ويُحَقِّقُ رَجاءَهُ فيهِ .

٥ـ لا يَسْتَطيعُ أَحَدٌ نَصْرَ مَنْ خَذَلَهُ اللهُ تعالى .

٦ـ قَدْ تُعَجَّلُ العُقوبَةُ لِلكافِرِ في الدُّنْيا قَبْلَ الآخِرَةِ كما فَعَلَ اللهُ بإهْلاكِهِ جَنَّةَ هذا الكافِرِ .



أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ كَيْفَ كانَ الكافِرُ صاحِبُ الجَنَّتيْنِ يُعامِلُ المُؤْمِنَ ؟

٢ـ من اعْتَزَّ بغَيْرِ اللهِ ذَلَّ ، بيِّنْ صِحَّةَ هذهِ العبارةِ مِنْ أَحْداثِ القِصَّةِ .

٣ـ ما معنى كُلٍّ ممّا يلي :

أ ـ فَتُصْبحَ صَعيداً زَلَقاً .

ب ـ يُقلِّبُ كَفّيهِ .

ج ـ هُنالكَ الوَلايةُ للهِ الحَقِّ .

٤ـ وازِنْ بَيْنَ حالِ الجَنَّتيْنِ قَبْلَ الهَلاكِ وبَعْدَهُ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ أبي مُوسى الأشْعريِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ له : « أَلا أدُلُّكَ على كَنْزٍ مِنْ كُنوزِ الجَنَّةِ ؟ قُلْتُ : بَلى يا رَسولَ اللهِ ، قال : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ باللهِ إذا قالَها العَبْدُ قالَ اللهُ عزَّ وجَلَّ : أَسْلَمَ عَبْدي واسْتَسْلَمَ »[١] .

نَشاطٌ :

ـ يَعْرِضُ طالِبانِ مَشْهَداً تَمْثيلياً يَتضمَّنُ أَحْداثَ القِصَّةِ وإبرازَ العِبْرَةِ منها .

❊ ❊ ❊

---

(١) رواهُ مسلمٌ في كتابِ الذِّكرِ والدُّعاءِ ، باب رقم ١٣ ، رقم الحديث ٦٨٠٨ وأحمدُ في المسند برقم ٧٦٢٥ .

الدَّرسُ العاشِرُ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ العاشِرُ

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

هَشيماً	يابِساً مُتَفَتِّتاً .
تَذْروهُ	تُفَرِّقُهُ وتَنْثُرُهُ .
الباقياتُ الصَّالِحاتُ	الأعْمالُ الصَّالِحَةُ الّتي يَبْقى أجْرُها لِصاحِبِها .
بارِزَةً	ظاهِرَةً لا شَيْءَ عَلَيْها .
نُغادِرْ	نَتْرُكْ .
مُشْفِقينَ	خائِفينَ .
يا وَيْلَتَنا	يا هَلاكَنا .
أَحْصاها	أَثْبَتَها وحَفِظَها .
حاضِراً	مُثْبَتاً في كِتابِهِمْ .

التفسير :

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ .

هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تعالى لِلْحياةِ الدُّنيا في سُرْعَةِ انْقِضائِها وفَنائِها ، بماءٍ نَزَلَ مِنَ السَّماءِ إلى الأرْضِ ، فَخَرَجَ بِهِ النَّباتُ وافِياً مُكْتَمِلاً ، ثُمَّ أَصْبَحَ هذا النَّباتُ مُتَكَسِّراً يابِساً مُتَفَتِّتاً تُفَرِّقُهُ الرِّياحُ وتَنْثُرُهُ ذاتَ اليَمينِ وذاتَ الشِّمالِ ، وهَكَذا مَصيرُ الدُّنْيا بَعْدَ الزِّينَةِ والأَمْوالِ والمَتاعِ إلى زَوالٍ وذَهابٍ .

﴿وكان اللهُ على كلِّ شيءٍ مقتدراً﴾ فَقُدْرَتُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ كامِلَةٌ ، ومِنْ جُمْلَةِ ما يَقْدِرُ عَلَيْهِ : الإفْناءُ والإنْشاءُ ، فلا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ في الأرْضِ ولا في السَّماءِ ، لا حَدَّ لِقُدْرَتِهِ ولا رادَّ لأَمْرِهِ .

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾

بَعْدَ أنْ ضَرَبَ اللهُ تعالى لِعبادِهِ مَثَلَ الحَياةِ الدُّنْيا التي يَغْتَرُّ بها كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ ، بَيَّنَ لَهُمْ حقيقةً أُخْرَى لِيَنْتَفِعوا بها ، وَهِيَ أنَّ الأمْوالَ والأوْلادَ زينةُ الحياةِ الدُّنْيا لا غَيْرُ ، ثُمَّ يَبيدانِ ويَذْهبانِ ، فلا يَجوزُ لأَحَدٍ أنْ يَغْتَرَّ بِهِما ، ولا أنْ يَجْعَلَهُما هَمَّهُ في حَياتِهِ ، فَيَصْرِفانِهِ عَنِ العَمَلِ الصّالِحِ ، ولِذا وَجَّهَ اللهُ عِبادَهُ لِما هُوَ أحْسَنُ لَهُمْ وأكْثَرُ ثَواباً مِنَ التَّعلُّقِ بالأمْوالِ والأوْلادِ ، والغَفْلَةِ عَنِ العَمَلِ والطّاعةِ ، ألا وَهُوَ : الأعْمالُ الصَّالِحَةُ ، فَهِيَ التي تَبْقى ثَمَرَتُها للإنْسانِ بَعْدَ مَوْتِهِ ، ويَنالُ بها صاحِبُها في الآخِرَةِ كلَّ ما كانَ يُؤَمِّلُهُ في الدُّنْيا .

فَجَديرٌ بالمُؤْمِنِ أنْ لا يَتعلَّقَ بالأَمْوالِ والأولادِ لأَنَّهُما زائِلانِ ، ويَتَعلَّقَ بالأعْمالِ الصَّالِحَةِ لأنَّها هِيَ الباقيةُ ، وَسَيَجِدُ ثوابَها في الآخِرَةِ ، ويَتَحَقَّقُ لَهُ ما كانَ يُؤَمِّلُهُ مِنْ جَزاءٍ .

﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ تعالى فَناءَ الدُّنْيا ، ذَكَرَ مَشاهِدَ مِنْ يَوْمِ القِيامَةِ ، ومِنْها : تَسييرُ الجبالِ وإزالَتُها ، فَتُصْبِحُ هَباءً مُنْبَثّاً لا أَثَرَ لَها كأنْ لَمْ تَكُنْ ، وبِذَلِكَ تُصْبِحُ الأَرْضُ ظاهِرَةً مِنْ جَميعِ جَوانِبِها ، لا جِبالَ فيها ولا وُدْيانَ ، فَهِيَ أَرْضٌ مُسْتَوِيَةٌ لا ارْتِفاعَ فيها ولا انْخِفاضَ ، ويَجْمَعُ اللهُ تَعالى النّاسَ كُلَّهُمْ بَعْدَ أنْ يَبْعَثَهُم مِنَ القُبورِ ، لا يَتَخلَّفُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وهذا مَشْهَدٌ آخَرُ مِنْ مَشاهِدِ يَوْمِ القِيامَةِ .

وفي التَّعبيرِ عَنِ الحَشْرِ بالفِعْلِ الماضي ما يَدُلُّ على تَحَقُّقِ حُصُولِهِ ، وأَنَّهُ كائِنٌ بلا رَيْبٍ ، فلا وَجْهَ لإنكارِهِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ ما يَحْصُلُ بَعْدَ حَشْرِ النّاسِ جَميعاً :

﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ﴾

وبَعْدَ الحَشْرِ يَكونُ العَرْضُ والحِسابُ ، فَكُلُّهُمْ ظاهِرونَ لا يَحْجُبُ أَحدٌ مِنْهُمْ أَحداً ، وهُمْ مُصْطَفّونَ صُفوفاً بِحَسَبِ أُمَمِهِمْ وأَصْنافِهِمْ ، قَدْ أُعيدَ خَلْقُهُمْ ، وهُمُ اليَوْمَ مَحْشورونَ مُجَرّدونَ مِنَ الثِّيابِ والأَعْوانِ ، لا يَمْلِكونَ شَيْئاً يَتفاخَرونَ بِهِ ، ويُقالُ لَهُمْ : لَقَدْ جِئْتُمونا فُرادَى حُفاةً عُراةً ، وكُنتُمْ تَزْعُمونَ أَنْ لا بَعْثَ ولا حِسابَ .

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ .

وعِنْدَ الحِسابِ يُوضَعُ كِتابُ كُلِّ امْرِئٍ بيدِهِ ، في يَمينِهِ أَوْ في شِمالِهِ ، والَّذي يُوضَعُ كِتابُهُ بِشمالِهِ يَكونُ خائِفاً مِمَّا يَنْتَظِرُهُ مِنْ سُوءِ المَآلِ ، فَقَدْ أَجْرَمَ بِحَقِّ نفسِهِ ، وسَيدعو هؤلاءِ الَّذينَ يُوضَعُ كِتابُهُمْ بِشمالِهِمْ على أَنْفُسِهِم بالهلاكِ وهُمْ يَنْظُرونَ في كتابِهِمْ ، ويَجدونَ فيهِ كُلَّ ما عَمِلوهُ ، صغيراً كانَ أَوْ كبيراً ، واللهُ تعالى لا يَظْلِمُ أَحَداً ، وسَيُجازيهِمْ حَسَبَ أَعْمالِهِمْ فلا يُعاقِبُ أَحداً بِغَيْرِ جُرْمٍ ، ولا يُنْقِصُ مِنْ ثَوابِ المُحْسِنينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ بَيانُ حَقيقةِ الدُّنْيا وسُرْعَةِ انْقِضائِها وعَدَمِ جَوازِ الاغْترارِ بِها .

٢ـ على العاقِلِ أَنْ يُقَدِّمَ الباقي على الفاني ، والآخِرَةَ على الدُّنْيا .

٣ـ الانْشِغالُ بالأَعْمالِ الصَّالِحَةِ الَّتي يُرادُ بِها الآخِرَةُ خَيْرٌ مِنَ الانْشِغالِ بِزينةِ الدُّنْيا مِنَ الأَمْوالِ والأَوْلادِ .

٤ـ إِثْباتُ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ ، وما يَتلوهُ مِنْ حِسابٍ وجَزاءٍ .

٥ـ نَفْيُ الظُّلْمِ عَنِ اللهِ تعالى .

٦ـ يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلينَ والآخِرينَ يَوْمَ القِيامَةِ فَلا يَتْرُكُ مِنْهُمْ أَحَداً .

٧ـ بَيانُ الحالَةِ الَّتي يُبْعَثُ عَلَيْها النّاسُ .



التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّنِ المَثَلَ المَضْروبَ لِلحياةِ الدُّنْيا ، وما تَسْتَفيدُ منْهُ ؟

٢ـ لماذا يَدعو المُجْرِمُ على نَفْسِهِ بالوَيْلِ والهَلاكِ يَوْمَ القيامَةِ ؟

٣ـ بَيِّنْ مَعْنَى ما يلي :

أـ فأَصْبَحَ هَشيماً تَذْروهُ الرِّياحُ .

ب ـ وتَرى الأرْضَ بارِزَةً .

ج ـ وَوُضِعَ الكِتابُ .

دـ لا يُغادِرُ صَغيرةً ولا كَبيرةً إلاّ أَحْصاها .

تَعَلَّمْ :

عَنْ عائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْها ـ قالَتْ : سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ : « يُحْشَرُ النَّاسُ حُفاةً عُراةً غُرْلاً[1] ، فَقُلْتُ : يا رَسولَ اللهِ الرِّجالُ والنِّساءُ جَميعا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ ؟ قال : الأَمْرُ أشَدُّ مِنْ أنْ يَهُمَّهُم ذَلِكَ »[2] .

نَشاطٌ :

١ـ الأَعْمالُ الصَّالِحَةُ هِيَ الباقياتُ الصَّالِحاتُ ، اكْتُبْ فِي دَفْتَرِكَ خَمْسَةً مِنَ الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ .

٢ـ اذكُرْ آيةً مِنْ سُورةِ النَّبأ وأُخْرى مِنْ سورةِ القارِعَةِ فيهِما ذِكْرُ تسييرِ الجبالِ ونَسْفِها وإزالَتِها ، واكْتُبْهُما في دَفْتَرِكَ .

٣ـ ارْجِعْ إلى سورةِ يُونُسَ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها آيةً تُشْبِهُ الآيَةَ الخامِسَةَ والأرْبعينَ مِنْ سُورةِ الكَهْفِ ، وسَجِّلْ في دَفْتَرِكَ الفَرْقَ بَيْنَ الآيتَيْنِ .

---

(١) غُرْلاً : غيرَ مختونينَ .

(٢) رواهُ البخاريُّ في كتابِ الرقاق ، بابِ الحَشْرِ ، رقم الحديث : ٦٥٢٧ ورواه مسلم في كتابِ الجنَّة ، بابِ فناءِ الدُّنيا ، رقم الحديث : ٧٣٠٠ .

الدَّرْسُ الحادي عَشَرَ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَسَقَ	خَرَجَ عنِ الطّاعةِ .
المُضِلِّينَ	الّذينَ يُضِلُّونَ غَيْرَهُمْ .
عَضُداً	أعْواناً .
مَوْبِقاً	حاجِزاً .
مُواقِعوها	داخِلوها .
مَصْرِفاً	مَهْرَباً .
صَرَّفْنا	أعَدْنا القَوْلَ بأساليبَ مُخْتَلِفةٍ .
جَدَلاً	خُصومةً في الباطِلِ .



﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ .

أمَرَ اللهُ تعالى الملائِكَةَ أنْ يَسْجُدوا لآدَمَ سُجودَ تَحيَّةٍ وتَكْريمٍ لا سُجودُ عِبادةٍ وتَعْظيمٍ ، فَسَجدوا طائِعينَ لأَمْرِ ربِّهِمْ ، لكنَّ إبْليسَ لَمْ يَسْجُدْ وَعَصى أَمْرَ رَبِّهِ . وقَدْ كانَ إبليسُ مِنَ الجنِّ لا مِنَ المَلائِكَةِ ، وإنَّما أُلْحِقَ بهِمْ لِما كانَ يُظْهِرُهُ مِنَ الطَّاعَةِ وكَثْرَةِ العِبادَةِ ، فَدَخلَ في جُمْلَةِ المَأْمورينَ بالسُّجودِ .

هذا مَوْقِفُ إبْليسَ مِنْ أَبينا آدَمَ عَلَيْهِ السّلامُ ، فَكَيْفَ نُطيعُهُ ونُواليهِ مِنْ دونِ اللهِ وَهُوَ عَدوُّنا وعَدوُّ أَبينا مِنْ قَبْلُ ، وقَدْ أَقْسَمَ أنْ يُغويَ البَشَرَ ويُضِلَّهُمْ ، فمَنْ أطاعَهُ كانَ مِنَ الظّالِمينَ ، وكانَ مُسْتَبْدِلاً طاعَتَهُ واتِّباعَهُ بِطاعةِ اللهِ العَظيمِ ، وبِئْسَ ما صَنَعَ بهذا الاسْتِبْدالِ الظالِمِ .

وفي الآيةِ دَليلٌ على أنَّ الشَّياطينَ يَتوالَدونَ ، وأنَّ لإبْليسَ ذُريَّةً مِثْلَهُ في الشَّرِّ والإفسادِ .

﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾ .

لم يَكُنْ إبْليسُ وذُرِّيَّتُهُ حاضِرينَ عِنْدَما خَلَقَ اللهُ السَّماواتِ والأرْضَ ، كَما لَمْ يَكُنْ بَعْضُهُمْ حاضِراً خَلْقَ باقيهِمْ ، فَهُمْ مِثْلُكُمْ أيُّها البَشَرُ عاجِزونَ مَخْلوقونَ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لا يَسْتَعينُ بأَحَدٍ في خَلْقِهِ وتَدْبيرِهِ لِهَذا الكَوْنِ ، فَهُوَ الغَنيُّ عَنْهُمْ ، فكيفَ تَظنُّونَ أنَّهُ اسْتَعانَ بِمَنْ يُضِلّونَ غَيْرَهُمْ مِنَ الشَّياطينِ ونَحْوِهِمْ على خَلْقِ السَّماواتِ والأَرْضِ ، أَوْ على خَلْقِ بَعْضِهِمْ .

ففي الآيةِ دليلٌ عَلى ضعفِ الشَّياطينِ ، وتَبْيينُ عَظَمَةِ اللهِ المُطْلَقَةِ واسْتِغْنائِهِ عَنْ سائِرِ المَخْلوقاتِ .

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ ﴾

ويَوْمَ القيامةِ يَطْلُبُ اللهُ تَعالى مِنَ النّاسِ أنْ يَدعُوا مَنْ كانوا يَعْبُدونَهم مِنْ دونِهِ سُبْحانَهُ ، لِيَكونوا لَهُمْ شُفَعاءَ ونُصَراءَ ، وَحينَ يَدْعو العابِدونَ مَنْ كانوا يَعْبُدُونَ مِنْ دونِ اللهِ مِنْ أصْنامٍ وأَوْثانٍ ، أَوْ مِنَ الشَّياطينِ أَوْ مِنَ البَشَرِ ، فإنَّ هَؤلاءِ المَعْبودينَ لا يَستطيعونَ الاسْتِجابَةَ لَهُمْ ، فإنَّهم عاجِزونَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَدْ فَصَلَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَنْ كانوا يَعْبُدونَهُم فاصِلٌ وحاجِزٌ عَظيمٌ ، فإذا كانَ هَذا حالُ هَؤلاءِ

المَعْبودينَ يَوْمَ القيامَةِ ، فَكَيْفَ تَصِحُّ عِبادَتُهُمْ ، وهُمْ عاجزونَ عَنْ نُصْرَةِ أنْفُسِهِم وغَيْرِهِمْ ؟

﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾

ويَوْمَ القيامةِ يَرى الكافرونَ النّارَ عَياناً ، فَيوقِنونَ أنَّهُمْ داخِلوها وَواقِعونَ فيها ، لا مَهْرَبَ لَهُمْ مِنْها ، ولا مَكانَ غَيْرَها يَأْوونَ إليْهِ ، فَقَدْ أَحاطَتْ بِهِمُ النّارُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، نَعوذُ باللهِ تَعالى مِنَ النّارِ وعَذابِها .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾

مِنْ رحمةِ اللهِ تعالى وحكمتِهِ أنْ جَعَلَ في هذا القُرْآنِ ذِكْرَ الشَّيْءِ الواحِدِ بأكثرَ مِنْ أُسْلوبٍ ، وعَرَضَ المَعْنى لِلنَّاسِ بِصيَغٍ مُتَنَوِّعَةٍ ، وضَرَبَ الأَمْثالَ لَهُمْ لِيَتَذَكَّروا وَيَتَّعِظُوا بذلكَ ويُؤمِنوا ، ولكنَّ الإنْسانَ هُوَ أكْثَرُ المَخْلوقاتِ خُصومَةً في الباطِلِ ، وجِدالُهُ أكْثَرُ مِنْ جِدالِ كلِّ مُجادِلٍ ، فمُعْظَمُ البَشَرِ لَمْ يَنْتَفِعوا مِنْ هذهِ الآياتِ المُتنَوِّعةِ والأَمْثالِ المَضْروبةِ لَهُمْ بسببِ جِدالِهِم بالباطِلِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَقْريرُ عَداوةِ إبْليسَ وَذُرِّيَّتِهِ لِبَني آدَمَ .

٢ـ إبْليسُ مِنَ الجِنِّ ولَيْسَ مِنَ المَلائِكَةِ .

٣ـ على المُؤْمِنْ أنْ يَحْذَرَ مِنْ أَنْ يُوقِعَهُ الشَّيْطانُ في حَبائِلِهِ .

٤ـ لا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ أَحَدٌ سِوى اللهِ .

٥ـ الخِزْيُ والعارُ لِلْمُشْركينَ يَوْمَ القيامَةِ ، حَيْثُ يَدْعونَ شُرَكاءَهُمْ فلا يَسْتَجيبونَ لَهُمْ ، وَيَدْخُلونَ جَهنَّمَ جَزاءَ شِرْكِهِمْ .

٦ـ بَيانُ أنَّ الإنْسانَ هُوَ أكْثَرُ المَخْلوقاتِ جَدَلاً وخُصومَةً .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عن الأَسئلةِ التالية :

١ـ كيْفَ دَخَلَ إِبْليسُ ضِمْنَ الخِطابِ لِلملائِكَةِ بالسُّجودِ لآدَمَ وَهُوَ مِنَ الجِنِّ ؟

٢ـ في الآياتِ أَمثلةٌ عِدَّةٌ على عَدَمِ اسْتحقاقِ غَيْرِ اللهِ تعالى العِبادَةَ ، اذْكُرِ اثنينِ مِنْها .

٣ـ بيِّنْ بإيجازٍ معنى كُلٍّ ممّا يأتي :

أ ـ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ ربِّهِ .

ب ـ وكانَ الإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً .

٤ـ اللهُ تعالى غَنِيٌّ عَنْ خَلْقِهِ ، اذْكُرْ آية مِنَ الدَّرْسِ تُؤَكِّدُ هذا المَعْنى .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُب الآيةَ الَّتي وَرَدَ فيها سُجودُ المَلائِكَةِ لآدَمَ في سورَةِ البَقَرَةِ ، وبَيِّنْ وَجْهَ شَبَهِها بالآية الخمسين من سورةِ الكهف .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّاني عَشَرَ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

قُبُلاً : عِياناً ومُقابَلَةً .

لِيَدْحَضُوا : لِيُبْطِلوا ويُزيلوا .

هُزواً : اسْتِهْزاءً وسُخْرِيَةً .

أكِنَّةً : أغْطِيَةً مانِعَةً .

وَقْراً : صَمَماً وثِقَلاً في السَّمْعِ .

مَوْئِلاً : مَنْجىً ومَلْجأً .

لِمَهْلِكِهِم : لِهَلاكِهِمْ .



التفسيرُ :

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾ .

تُبيِّنُ الآيةُ أنَّ السَّببَ المانعَ لِلنّاسِ مِنَ الإيمانِ والاسْتِغْفارِ بَعْدَما جاءَهُمُ الهُدى هُوَ طَلَبُهُمْ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ مِثْلُ العَذابِ الَّذي نَزَلَ بالَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذابُ عِياناً يُشاهِدونَهُ ويَنْظُرون إليهِ .

﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ .

تُبيِّنُ الآيةُ الكريمةُ أنَّ مَهمَّةَ الرُّسُلِ الكِرامِ هِيَ الهِدايةُ والدَّعْوَةُ إلى الخَيْرِ ، وتَبشيرُ مَنْ آمَنَ بِهِمْ وعَمِلَ صالحاً بالجَنَّةِ ، وإنذارُ مَنْ كَفَرَ بِهِم وعَمِلَ سُوءاً بالنّارِ . إلاّ أنَّ الكافِرينَ يُكابِرونَ ويَطْلُبون مِنَ الرُّسُلِ دَلائِلَ تُثْبِتُ صِدْقَهُمْ ويُجادِلونَهُم مُكابَرَةً وعِناداً بالباطِلِ لِيَغْلِبوا بِهِ الحَقَّ ويُبطِلوهُ ، فَهُمْ حينَ يَطْلُبونَ المُعْجِزاتِ ويَسْتَعْجِلونَ العَذابَ لا يُريدونَ الإيمانَ ، وإنّما يَسْتَهْزِئونَ ويَسْخَرون بآياتِ اللهِ .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ ﴾ .

لا أحَدَ أَظْلَمُ مِمَّنْ وُعِظَ بآياتِ اللهِ البَيِّنَةِ ، وحُجَجِهِ السّاطِعَةِ ، وشَواهِدِ عَظَمَتِهِ العَقْلِيَّةِ والنَّقْلِيَّةِ ، فَتَعامَى عَنْها وتَناساها ولَمْ يُلْقِ لَها بالاً ، ونَسِيَ ما عَمِلَهُ مِنَ الأفْعالِ القَبيحةِ ، ولم يُفكِّرْ في عاقِبَتِها ، وذلِكَ بسببِ وُجودِ أَغْطِيَةٍ عَلى قُلوبِهِمْ تَمْنَعُ وُصولَ الإيمانِ ، وصَمَمٍ في آذانِهِمْ يَمْنَعُ سَماعَ الحَقِّ ، فَهُمْ مَهْما دُعوا إلى الحَقِّ فَلَنْ يَسْتَجيبوا لَهُ مُطْلَقاً .

وإسْنادُ الفِعْلِ إلى اللهِ في قَوْلِهِ : « جَعَلْنا » يَدُلُّ على ثُبوتِ الأمْرِ ودَوامِهِ .

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ ﴾ .

فاللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ كَثيرُ المَغْفِرَةِ ، واسعُ الرَّحْمَةِ ، لَوْ يُؤاخِذُ النّاسَ لِما يَفْعَلونَهُ مِنَ الذُّنوبِ والمَعاصي لَعَجَّلَ لَهُمُ العُقوبَةَ ، ولأَهْلَكَهُمْ جَميعاً ، ولكنَّهُ يُؤَخِّرُ عَذابَهُمْ رَحْمَةً بِهِمْ ، وإمْهالاً لَعَلَّ مِنْهُمْ مَنْ يَرْجِعُ أَوْ يُؤْمِنُ ، ولَكِنْ إذا حانَ وَقْتُ عَذابِهِمْ سَواءٌ أكانَ ذلكَ في الدُّنْيا ؛ كَما حَصَلَ لِلْمُشْرِكينَ في بَدْرٍ ونَحْوِها ، أمْ كانَ في الآخِرَةِ ، فإنَّهُم لَنْ يَجِدوا مِنَ العَذابِ مَنْجىً ولا مَلْجأً .

﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾ .

وهذهِ الأَقْوامُ أمْثالُ عادٍ وثَمودَ وأصْحابِ مَدْيَنَ وقَوْمِ لُوطٍ ، لَمَّا اسْتَحقّوا العذابَ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وحانَ الوَقْتُ الّذي أَرادَهُ اللهُ لِهَلاكِهِمْ حَصَلَ ما أَرادَهُ اللهُ في مَوْعِدٍ لا مَحيدَ عَنْهُ ، فلا يَغْتَرَّ الظّالِمونَ بتَأخيرِ العَذابِ ، فإنَّ اللهَ تعالى يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ مَهَمّةُ الرُّسُلِ هِيَ التَّبْشيرُ والإنْذارُ ، لا إكْراهَ النّاسِ على الإيمانِ .

٢ـ الاسْتِمْرارُ في ارْتِكابِ السَّيِّئاتِ يُؤَدّي إلى رَفْضِ الخَيْرِ ، والحِرْمانِ مِنَ الهِدايَةِ .

٣ـ عِظَمُ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبادِهِ بتأخيرِ العَذابِ عَنْ مُسْتَحقّيهِ إلى أجَلٍ مُسَمّىً ، رَحْمَةً بِهِمْ لَعَلَّهُمْ يُؤْمنونَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بيِّنْ مَعنى ما يلي :

أـ أَوْ يَأْتِيَهُمُ العَذابُ قُبُلاً .

ب ـ وفي آذانِهِم وَقْراً .

ج ـ وَجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِم مَوْعِداً .

٢ـ ما السَّبَبُ الّذي مَنَعَ الكافِرينَ مِنَ الاهْتِداءِ ؟

٣ـ لِماذا لا يُعَجِّلُ اللهُ العَذابَ لِمُسْتَحِقّيهِ ؟

٤ـ ما فائِدَةُ تَذْكيرِ المُشْرِكينَ بالأَقْوامِ الّذينَ أُهْلِكوا مِنْ قَبْلِهِمْ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ حادِثَةً تَدُلُّ على سُخْرِيَةِ كُفّارِ مَكَّةَ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ .

٢ـ اكْتُبْ ما قالَهُ رَسولُ اللهِ ﷺ لِمَلَكِ الجبالِ عِنْدَما جاءَهُ لِتَدْميرِ مَكَّةَ على أَهْلِها الكافِرينَ .

الدَّرسُ الثّالِثَ عَشَرَ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثّالِثَ عَشَرَ

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

لا أبْرَحُ	: لا أزالُ أسيرُ .
مَجْمَعُ البَحْرينِ	: مُلتقاهُما .
حُقُباً	: زَمَناً طويلاً .
سَرَباً	: مَسْلَكاً وَمَنْفَذاً .
نَصَباً	: تَعَباً وَشِدَّةً .
أَرَأَيْتَ	: أَخْبِرني ، تَذَكَّرْ .
أَوَينا	: التَجَأْنا .
عَجَباً	: أمْراً يُتَعَجَّبُ مِنْهُ .
نَبْغِ	: نَطْلُبُ .

فارْتَدّا	رَجَعا .
آثارِهِما	طَريقِهِما الّذي سَلَكاهُ .
قَصَصا	يَتَتَبّعانِ آثارَهُما .
رَشَداً	صَواباً .
خُبْراً	عِلْماً وَمَعْرِفَةً .

التفسيرُ :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾

أيْ اذْكُرْ وَقْتَ أنْ قالَ موسى لِلْفَتى الّذي كانَ يُلازِمُهُ ويَخْدِمُهُ ، واسْمُه : يوشَعُ بنُ نونٍ ، كَما وَرَدَ في الحَديثِ الصَّحيحِ : سَأَسْتَمِرُّ في السَّيْرِ حتّى أبْلُغَ مَكانَ الْتِقاءِ البَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضيَ في هذا السَّيْرِ أَزْمِنَةً طويلةً .

وسَبَبُ هذهِ الحادِثَةِ ، كما ورَدَ في الحَديثِ ، أنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ قامَ خطيباً في بَني إسْرائيلَ ، فَسُئِلَ : أيُّ النَّاسِ أعْلَمُ ؟ فقالَ : أنا ، فَعَتِبَ اللهُ عَلَيْهِ إذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إليْهِ ، فأَوْحى اللهُ إليْهِ : إنَّ لي عَبْداً بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أعْلَمُ مِنْكَ ، قالَ موسى : يا ربِّ فَكَيْفَ لي بِهِ ، قال : خُذْ مَعَكَ حُوتاً فاجْعَلْهُ في مِكْتَلٍ فحيثُما فَقَدْتَ الحُوتَ ، فَهُوَ ثَمَّ . . .[1] فَمَجْمَعُ البَحْرَيْنِ هو المَوْضِعُ الّذي سَيَلْتَقي فيهِ موسى مَعَ العَبْدِ الصّالِحِ . وقَدْ عَزَمَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ على هذا اللِّقاءِ ولو اسْتَغْرَقَ مِنْهُ زَماناً طَويلاً ، وطَلَبَ موسى مِنْ فَتاهُ أنْ يَحْفَظَ الحوتَ ، ويُبَلِّغَهُ إذا حَدَثَ لَهُ حادِثٌ .

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾

فلمَّا وَصَلَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ وفَتاهُ إلى مَجْمَعِ البَحْرَيْنِ ، نامَ موسى عِنْدَ صَخْرَةٍ ، وهُناكَ أحيا اللهُ الحوتَ ودَخَلَ البَحْرَ ، وسَلَكَ طَريقاً في البَحْرِ جَعَلَهُ اللهُ تعالى كالنَّفَقِ ، ولَمْ يَعْدُ الماءُ في المَوْضِعِ الّذي سَلَكَهُ الحوتُ كما كانَ ، بل بَقِيَ كالنَّفَقِ لِيَدُلَّ موسى على مَوْضِعِ لِقائِهِ بالعَبْدِ الصّالِحِ . والمَقْصودُ بالحوتِ : نَوْعٌ مِنَ السَّمَكِ ولَيْسَ أعْظَمَ أنواعِها حَجْماً ، ولكنَّ الفَتى نَسِيَ أنْ يَذْكُرَ لِموسى ما كانَ مِنْ أَمْرِ الحوتِ .

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب ٢١٧ ، رقم الحديث : ٤٤٥٠ .

﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾

وبَعْدَ أنِ اسْتَيْقَظَ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ سارَ ومَعَهُ فَتاهُ بَقِيَّةَ اليَوْمِ واللَّيْلِ ، فلمّا كانا في الغَدِ ، وَتَجاوزا المَوْضِعَ المُحَدَّدَ لِلقاءِ موسى بالعَبْدِ الصَّالِحِ شَعَرا بالتَّعَبِ ، وطَلَبَ موسى مِنْ فتاهُ أن يُقدِّمَ لَهُ الطّعامَ ، وَهُوَ الحوتُ .

﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ .

عِنْدَما طَلَبَ موسى مِنْ فَتاهُ الطَّعامَ ، ذَكَّرَهُ الطَّعامُ بالحوتِ ، فَقالَ لِموسىٰ عَلَيْهِ السّلامُ : أَتَذْكُرُ حينَ نِمْنا على الصَّخْرَةِ بالأمْسِ ، لَقَدْ خَرَجَ الحوتُ مِنَ الوِعاءِ وسارَ في البَحْرِ تاركاً خَلْفَهُ أثَرَ مَسيرِهِ في الماءِ كالنَّفَقِ ، وهَذا أَمْرٌ عَجيبٌ حَقّاً أنْ يَحْصُلَ في الماءِ ، ولَقَدْ نَسيتُ أنْ أُخْبِرَكَ بأَمْرِ ما حَصَلَ لِلحوتِ ، ولَمْ ينسِني ذَلِكَ إلاَّ الشَّيْطانُ .

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾

قالَ موسى عليهِ السَّلامُ : هذا الَّذي ذَكَرْتَهُ مِنْ أَمْرِ الحوتِ هُوَ ما نَطْلُبُهُ ، لأنَّهُ عَلامةٌ على مَكانِ لِقاءِ الرَّجُلِ الصّالِحِ ، فَرَجَعا مِنَ الطَّريقِ الَّذي جاءا مِنْهُ يَتَتَبَّعانِ أثَرَهُما حتّى وَصَلا إلى الصَّخْرَةِ .

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ .

فَوَجَدا الرَّجُلَ الصالِحَ الَّذي حَضَرَ موسى ـ عليهِ السّلام ـ لِلقائِهِ ، وَهُو الخضرُ كما وَرَدَ في الحديثِ[١] ، وكانَ مُتَغَطِّياً بثوبٍ ، فَسَلَّمَ عليهِ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ فقالَ : وأنَّى بأرْضِكَ السَّلامُ ؟ اسْتَغْرَبَ مِنْ سَماعِهِ لَفْظَ السَّلامِ وَهُوَ بأرْضٍ لا يَعْلَمُ وُجودَ مُسْلِمينَ فيها .

ومَدَحَ النَّصُّ الخضرَ مُخْبِراً أنَّ اللهَ وَهَبَهُ نِعْمَةً عَظيمةً وفَضْلاً كَبيراً ، وعَلَّمَهُ عِلْماً امتازَ بِهِ حتّى على النبيِّ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وهُوَ كَرامةٌ مِنَ اللهِ تعالى لِهذا العَبْدِ الصَّالِحِ .

﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾

اسْتَأْذَنَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنَ الخَضِرِ أنْ يُلازِمَهُ لِيَتعلَّمَ مِنْ عِلْمِهِ الصَّوابَ والخَيْرَ ، وهذا تَواضُعٌ مِنَ النَّبيِّ الكَريمِ ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ وخِطابٌ فيهِ تلطُّفٌ وتأدُّبٌ ، ولا مانِعَ أنْ يَتعلَّمَ المَرْءُ مِمَّنْ هُو دونَهُ في المَنْزِلَةِ ، وهذا لا يُنْقِصُ مِنْ قَدْرِهِ وشَرَفِهِ .

---

(١) روى البخاريُّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنّما سُمِّيَ الخضر لأنَّهُ جلسَ على فروةٍ بيضاءَ فإذا هي تهتزُّ من خلفِهِ خضراءَ » ومعناهُ أنَّهُ جلسَ على قطعةِ نباتٍ يابسة فاخضرّتْ كرامةً لَهُ . (صحيحُ البخاريِّ ، كتابُ الأنبياءِ ، باب ٢٩ ، رقم لحديث : ٣٢٢١ .

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ ﴾

قالَ الخَضِرُ لِموسى عَلَيْهِ السَّلامُ : إنّكَ لَنْ تَسْتَطيعَ الصَّبْرَ على ما تراهُ مِنّي ، وكَيْفَ تَصْبِرُ على أَمْرٍ ظاهِرُهُ مُنْكَرٌ وأَنْتَ لاتَعْلَمُ حقيقَتَهُ ؟ ولم تُحِطْ بهِ عِلْماً ومَعْرِفَةً ؟

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ ﴾

قالَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ : سَتراني إنْ شاءَ اللهُ صابِراً مَعَكَ ، غَيْرَ مُنْكِرٍ عَلَيْكَ ما تَفْعَلُهُ ، مُطيعاً لأَمْرِكَ وإنْ لَمْ يَكنْ موافِقاً لِما أرْغَبُ فيهِ .

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾

أَذِنَ لَهُ في الاتِّباعِ مُشْتَرِطاً عَلَيْهِ أنْ لا يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَفْعالِهِ ولا يَعْتَرِضَ عَلَيْها ، أَوْ يُناقِشَهُ فيها ، حتى يُعلِمَهُ الخَضِرُ بهِ ، ويُبيِّنَهُ لَهُ بنفسِهِ ، مُبْتَدِئاً بذَلِكَ دونَ سؤالٍ مِنْ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ .

وَقَبِلَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ذَلِكَ رِعايَةً لأَدَبِ المُتَعَلِّمِ مَعَ العالِمِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اسْتِحْبابُ الرِّفْقَةِ في السَّفَرِ ، وأنْ يَخْدِمَ التِّلْميذُ أُسْتاذَهُ .

٢ـ مَشْروعيَّةُ الرِّحْلَةِ في طَلَبِ العِلْمِ كما رَحَلَ موسى إلى العَبْدِ الصَّالِحِ .

٣ـ عُروضُ النِّسيانِ لِلْمَرْءِ ولَوْ كانَ صالِحاً .

٤ـ حُسْنُ خُلُقِ نَبيِّ اللهِ موسى ، حيث لَمْ يُبَكِّتْ موسى فَتاهُ على نِسْيانِهِ .

٥ـ نِسْبَةُ الأَفْعالِ الذَّميمةِ والقَبيحةِ إلى الشَّيْطانِ .

٦ـ الرُّجوعُ إلى الصَّوابِ عِنْدَ تبيُّنِهِ ، فَقَدْ رَجَعَ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ وفَتاهُ إلى مَكانِ اللِّقاءِ بَعْدَ أنْ تجاوَزاهُ .

٧ـ تَواضُعُ طالِبِ العِلْمِ مَعَ مُعَلِّمِهِ .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ على ماذا يَدُلُّ قولُ موسى عَليْهِ السَّلامُ : ﴿لا أبْرَحُ حتّى أبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾ ؟

٢ـ كَيْفَ تَسْتَنْبطُ مِنَ الآياتِ أنَّ الفَتى عَلِمَ بأَمْرِ الحوتِ عِنْدما نَزَلَ إلى الماءِ ؟

٣ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآياتِ ثَلاثةً مِنْ آدابِ المُتَعَلِّمِ مَعَ مُعَلِّمِهِ .

٤ـ هلْ تَنْقُصُ مَنْزِلَةُ المَرْءِ إذا تَعَلَّمَ مِمَّنْ هو دونَهُ في المَنْزِلَةِ ؟ وما دَليلُ إجابَتِكَ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ تأمَّلْ في الآيَتَيْنِ : ٦١ ، ٦٣ ، واسْتَخْرِجِ الفَرْقَ بَيْنَ التَّعْبيرِ هُنا بـ(عَجَباً) والتعبيرِ في الآيةِ السابقةِ ٦١ بـ(سَرَباً) واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ قَصُّ الأَثَرِ وتَتَبُّعُهُ أَمْرٌ يَحتاجُ إلى فِطْنةٍ وخِبْرَةٍ ، اذكر حادِثَةً مِنَ السِّيرةِ النَّبويَّةِ وَرَدَ فيها حَديثٌ عَنْ قَصِّ الأثَرِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الرابِعَ عَشَرَ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ

فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

إِمْراً : عَظيماً .

لا تُرْهِقْني : لا تُكلِّفْني .

عُسْرا : مَشَقَّةً وصُعوبةً .

زَكيّةً : بَريئةً مِنَ الذُّنوبِ .

نُكْراً : مُنكَراً .

فأبَوْا : فامْتَنعوا .

يَنْقَضُّ : يَسْقُطُ .



التفسيرُ :

تُبَيِّنُ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ أحْداثَ رِحْلَةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ العَبْدِ الصّالِحِ . قالَ اللهُ تعالَى :

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾

فانْطَلَقَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والعَبْدُ الصّالِحُ يَمْشيانِ عَلى السّاحِلِ ، فَمَرَّتْ سَفينةٌ فَطَلَبا مِنْ أَصْحابِها أنْ يَحْمِلوهُما ، فعَرَفوا الخَضِرَ فَحَمَلوهُما دونَ أَجْرٍ ، فَعَمَدَ الخَضِرُ ـ على حينِ غَفْلَةٍ مِنْ أصْحابِ السَّفينةِ ـ إلى لَوْحٍ مِنْ أَلواحِ السَّفينةِ فاقْتَلَعَهُ بفأسٍ ، فأنْكَرَ عَلَيْهِ موسى ـ عليه السَّلامُ ـ فِعْلَهُ ناسياً ما عاهَدَهُ عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ الاعْتِراضِ على ما يَفْعَلُ قائِلاً لَهُ : قَوْمٌ حَمَلونا بغيرِ أجْرٍ عَمَدْتَ إلى سفينَتِهِمْ فَخَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أهْلَها ، لَقَدْ فَعَلْتَ أمْراً عَظيماً .

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ ﴾

قالَ الخَضِرُ لِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُنْكِراً عَلَيْهِ سُؤالَهُ ومُذَكِّراً لَهُ بوَعْدِهِ ، أَلَمْ أُخْبِرْكَ مِنْ أوَّلِ الأَمْرِ أنَّكَ لا تَصْبِرُ على ما ترى مِنْ صَنيعي .

﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ ﴾

قالَ موسى ـ عَلَيْهِ السلامُ ـ لِلْخَضِرِ : لَقَدْ نَسيتُ ما عاهَدْتُكَ عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ الإنْكارِ عَلَيْكَ فلا تُؤاخِذْني بهَذا النِّسيانِ ، ولا تُكَلِّفْني مَشَقَّةً في صُحْبَتي إيّاكَ ، وعامِلْني باليُسْرِ بتَرْكِ اللَّوْمِ والمُؤاخَذَةِ ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « كانتِ الأُولى مِنْ موسى نِسْياناً »[١] ، فَقَبِلَ الخَضِرُ عُذْرَهُ .

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ .

فانْطَلَقا بَعْدَ نُزولِهِما مِنَ السَّفينةِ ، فَمَرّا بغُلامٍ لَمْ يَبْلُغْ سِنَّ الرُّشْدِ ، فَقَتَلَهُ الخَضِرُ ، فقالَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ مُسْتَنْكِراً ما رَأى : أَقَتَلْتَ نَفْساً طاهِرَةً لَمْ تَرْتَكِبْ جُرْماً تَسْتَحِقُّ بِهِ أنْ تُقْتَلَ ؟ لَقَدْ فَعَلْتَ شَيْئاً مُنْكَراً عَظيماً لا يُمْكِنُ السُّكوتُ عَنْهُ . وهذا الإنْكارُ مِنْ موسى ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ أشَدُّ مِنَ الإنْكارِ السّابِقِ ، دَلَّ على ذلِكَ لَفْظُ ﴿نُكْراً﴾ هُنا ، و﴿إمْراً﴾ هُناكَ ، فإنَّ القَتْلَ جَريمةٌ أعْظَمُ مِنْ تَخْريبِ السَّفينةِ .

---

(١) رواهُ البخاريُّ ، في أحاديثِ الأنبياء ، رقم الحديث : ٣١٤٩ .

﴿ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ .

قالَ الخَضِرُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ أَنْتَ يا موسى على التَّعْيينِ والتَّحديدِ أنَّكَ لَنْ تَصْبرَ على ما تَرى مِنِّي .

وهذا الرَّدُّ مِنَ الخَضِرِ أشَدُّ مِنَ الأوّلِ ، لإضافةِ (لَكَ) التي أَفادَتْ مُواجَهَةَ موسى ـ عليهِ السّلامُ ـ بِكافِ الخطابِ ، وتَوْجيهِ الكَلامِ إليْهِ مُباشَرَةً .

ولَمْ تَكُنْ هذهِ المَرَّةُ الثّانيةُ نِسْياناً مِنْ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بلْ كانتْ عَمْداً ، إذْ لَمْ يُطِقِ السُّكوتَ على قَتْلٍ لا يَعْرِفُ لَهُ سَبَباً ، فَشَريعَتُهُ الَّتي أَنْزَلَها اللهُ إليْهِ لا تَأْذَنُ بهذا القَتْلِ .

﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴾

قالَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ مُدْرِكا أَنَّهُ لا يُمْكِنُه المُكْثُ مَعَ هذا الرَّجُلِ الصّالِحِ ، فَشَريعةُ كُلٍّ مِنْهُما تُخالِفُ شَريعةَ الآخَرِ : إنْ أنْكَرْتُ عَلَيْكَ بَعْدَ هَذهِ المَرَّةِ واعْتَرَضْتُ على ما يَصْدُرُ مِنْكَ ، فلا تَصْحَبْنِي مَعَكَ ، فأنا الآنَ أَعْذُرُكَ إنْ تَرَكْتَ صُحْبتي ، إنْ خالَفْتُ أمْرَكَ في مَرَّةٍ قادِمَةٍ .

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾ .

فانطلقَ الخَضِرُ وموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وسارا حتَّى وَصَلا إلى قَرْيَةٍ فَطَلَبا طَعاماً ، وأَنَّ أهلُ هَذهِ القَرْيَةِ بُخَلاءُ فَلَمْ يُطعِموهُما ، ورفَضوا أنْ يُضيِّفوهُما ، فَوَجَدا في القَرْيَةِ جداراً يُوشِكُ أنْ يَقَعَ فَقامَ الخَضِرُ بإصْلاحِهِ وتَقْويمِهِ ، فأنْكَرَ عَلَيْهِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ صُنْعَ المَعْروفِ مَعَ غَيْرِ أَهْلِهِ ، قائلاً لَهُ : أَهْلُ القَرْيَةِ لَمْ يُطْعِمونا فَلَوْ أَخَذْتَ مِنْهُمْ أَجْراً عَلى إصْلاحِ الجِدارِ لانْتَفَعْنا مِنْهُ وأَنْفقناهُ في ثَمَنِ الطَّعامِ .

﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴾

قالَ الخَضِرُ مُخاطِباً موسى عَلَيْهِ السّلامُ : حانَ وَقْتُ الفِراقِ بَيْنَنا حَسَبَ قَوْلِكَ ، فإنَّكَ شَرَطْتَ ذَلِكَ على نَفْسِكَ ، ولَمْ يَبْقَ الآنَ عُذْرٌ ، ولا مَوْضِعٌ لِلصُّحْبَةِ ، وسَأُخْبِرُكَ عَنْ حِكْمَةِ الأُمورِ الثَّلاثَةِ الَّتي أَنْكَرْتَها عَلَيَّ ، ولَمْ تَصْبِرْ حتَّى أَشْرَحَها لَكَ .

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « يَرْحَمُ اللهُ موسى لَوَدِدْتُ أنَّهُ كانَ صَبَرَ حتَّى يَقُصَّ اللهُ عَلَيْنا مِنْ أَخْبارِهِما »[١] .

---

(١) جزء من الحديث الذي رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ، رقم الحديث : ٣١٤٩ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ قَدْ يَظُنُّ الإِنْسانُ قُدْرَتَهُ على فِعْلٍ ما وهُوَ لا يَسْتَطيعُهُ كَما ظَنَّ موسى قُدْرَتَهُ على الصَّبْرِ ، ولَكِنَّه لَمْ يَسْتَطِعْ ذَلِكَ .

٢ـ دينُ الأَنْبياءِ واحِدٌ وهُو الإِسْلامُ ، أَمَّا شَرائِعُهُمْ فَمُخْتَلِفَةٌ ، كَما كانَ حالُ موسى والخَضِرُ .

٣ـ لا حَرَجَ على العالِمِ أَنْ يَرْفُضَ صُحْبَةَ غَيْرِهِ ولَوْ كانَ صالِحاً ، كَما رَفَضَ الخَضِرُ صُحْبَةَ موسى .

٤ـ يَجِبُ على المُؤْمِنِ إنْكارُ المُنْكَرِ ، ولَوْ كانَ فاعِلُهُ صالِحاً ، كما أَنْكَرَ موسى على الخَضِرَ .

٥ـ النَّاسي غَيْرُ مُؤاخَذٍ بِنِسْيانِهِ .

٦ـ وُجوبُ الضِّيافَةِ لِمَنِ اسْتَحَقَّها .

٧ـ جَوازُ التَّبَرُّعِ بِعَمَلِ الخَيْرِ ابْتِغاءَ وَجْهِ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئِلَةِ التالِيَةِ :

١ـ بيِّنْ وَجْهَ إنكارِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ على الخَضِرِ في أَفْعالِهِ الثَّلاثَةِ .

٢ـ اشْتَدّ إنْكارُ موسى عَلَيْهِ السّلامُ في المَرّةِ الثّانيةِ ، واشْتَدّ في مُقابلِهِ رَدُّ الخَضِرِ عَلَيْهِ ، ما الَّذي دَلَّ على ذَلِكَ مِنْ أَلفاظِ الآياتِ الكَريمَةِ ؟

٣ـ ما الَّذي جَعَلَ موسى عَلَيْهِ السّلامُ يَشْتَرِطُ على نَفْسِهِ عَدَمَ السُّؤالِ بَعْدَ المَرَّةِ الثّانيةِ ؟

٤ـ هلْ يَصِحُّ التّصرُّفُ في أَمْوالِ الآخَرينَ بِقَصْدِ حِمايَتِها وإنْقاذِها مِنْ مُصيبةٍ ؟ أَيِّدْ إجابَتَكَ بما وَرَدَ في الآياتِ الكَريمةِ .

٥ـ ما مَوْقِفُكَ لَوْ رَأَيْتَ شَخْصاً يَفْعَلُ مِثْلَ أَفْعالِ الخَضِرِ المَذْكورَةِ في هذهِ الآياتِ ؟ ولماذا ؟

نَشاطٌ :

قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : ﴿لا يَحِلُّ دمُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ إلاّ بإحْدى ثَلاثٍ . . .﴾ أَكْمِلْ هذا الحَديثَ الشَّريفَ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

الدَّرسُ الخامِسَ عَشَرَ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ

أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وكانَ وراءَهُمْ مَلِكٌ	يَتْبَعُهُم بَحْثاً واسْتِقْصاءً .
يُرهِقَهُما	يُوقِعُهُما في الكُفْرِ .
طُغياناً	تَجاوُزاً لِلحَدِّ .
زَكاةً	طَهارةً مِنَ الذُّنوبِ والأَخلاقِ السَّيِّئةِ .
رُحْماً	رَحْمةً وبِرّاً .
يَبْلُغا أَشُدَّهُما	قُوَّتَهُما واكْتِمالَ عَقْلِهِما .

التَّفسيرُ :

تُبَيِّنُ الآياتُ الكَريمةُ الحِكْمَةَ مِنْ وَراءِ أَفْعالِ الخَضِرِ كي يَعْلَمَها موسى عَلَيْهِ السَّلامُ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ .

بدأ الخَضِرُ بتَعْليلِ تَصرُّفاتِهِ الَّتي أنْكَرَها عَليْهِ موسى عَليْهِ السَّلامُ ، فالسَّفينةُ الَّتي خرَقَها كانَتْ لأُناسٍ ضُعَفاءَ لا يَقْدِرونَ على مُدافعَةِ الظَّلَمَةِ ، وهُمْ يَعْمَلونَ بسَفينتِهِمْ في البَحْرِ ويَكْسبونَ قُوتَهُم منْها ، وهِيَ مَصْدَرُ رِزْقِهِمُ الوحيدُ ، فأَرَدْتُ مِنْ خِلالِ إحْداثِ عَيْبٍ فيها حِمايَتَها مِنَ المَلِكِ الظّالِمِ الَّذي كانَ يَسْتولي على كُلِّ سَفينةٍ صالحَةٍ للاسْتِعْمالِ ويَتْرُكُ المَعيبَةَ ، وبِهذا سَلِمَتْ سَفينَتُهُمْ لَهُمْ ، وهذا ظاهِرُهُ الإفْسادُ ، وهو صَلاحٌ لأصْحابِ السَّفينَةِ .

﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ ﴾

وأمّا الغُلامُ الَّذي قَتَلْتُهُ وأنْكَرْتَ عليَّ ذلكَ ، فكانَ قَدْ قُدِّرَ عَليْهِ ، حَسَبَ عِلْمِ اللهِ تعالى بهِ ، أنَّهُ لَوْ بَلَغَ لَحَمَلَ أبَويْهِ على الطُّغيانِ والكفرِ ، فقَتَلْتُهُ لاطِّلاعي على ذَلِكَ ، سَلامَةً لِدينِ أبَويْهِ المُؤْمنَيْنِ ، فَلَيسَ في هذا الفِعْلِ إساءَةٌ إليْهِما بَلْ إحْسانٌ لَهُما ، خاصَّةً أنَّهما سيُعوَّضانِ خَيْراً منْهُ ، وسَيَرْزُقُهُما اللهُ وَلَداً بارّاً بِهِما مُحْسِناً إليْهِما طَيِّبَ النَّفْسِ زَكِيّا ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ ﴾

وكانَ ذاكَ الابنُ سَيَجُرُّ والديْهِ إلى الكُفْرِ والطُّغْيانِ لَوْ بَقِيَ حَيّاً ، لأنَّهُما كانا يُحبّانِهِ كَثيراً ، وحُبُّهُما هذا لَهُ كانَ سَيُؤَدّي إلى أَنْ يَسْعَيا لِفِعْلِ أيِّ شَيْءٍ لِتَلْبِيَةِ رَغَباتِهِ وحاجاتِهِ ، وقَدْ يَدْعوهُما إلى الكُفْرِ فَيَسْتَجيبانِ ، فَيَقُودُهُما ذَلِكَ إلى بَلاءٍ كَبيرٍ وشَرٍّ مُسْتَطيرٍ ، وفي الحَديثِ أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال : « إنَّ الغُلامَ الَّذي قَتَلَهُ الخَضِرُ طُبِعَ كافِراً ، ولو عاشَ لأرْهَقَ أبوَيْهِ طُغياناً وكُفْراً »[1] .

﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ .

وأمّا الجدارُ الَّذي بَنيتُهُ دونَ أَجْرٍ ، فَهُوَ لِغُلامينِ يَتيمينِ مِنْ أَهْلِ هذهِ القَرْيةِ ، قَدْ خبّأَ أبوهُما قَبْلَ مَوْتِهِ تَحتَهُ أَمْوالاً مِنْ ذَهَبٍ وفِضَّةٍ ، وكانَ أبوهُما رَجُلاً صالحاً تَقيّاً ، فأرادَ اللهُ بهذا الفِعْلِ أن يَكبرا ويَشْتَدَّ عُودُهُما ويَسْتَخْرِجا أَمْوالَهُما مِنْ تَحْتِ الجدارِ ، رَحْمَةً مِنَ اللهِ لَهُما لِصلاحِ أبيهِما ورعايةً لِحقِّ اليَتيمِ ، ولَوْ سَقَطَ الجِدارُ لانْكَشَفَ الكَنْزُ ونُهِبَ ما بِهِ مِنْ أموالٍ ، ولَما اسْتَطاعا حِفْظَهُ لِصِغَرِهِما .

---

(١) رواه مسلم في كتاب القدر ، باب ٦ ، رقم الحديث : ٦٧٠٨ .

ثُمَّ بيَّنَ الخضِرُ لِموسى ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ أنَّ كُلَّ ما فَعَلَهُ مِنْ أفْعالٍ أنْكَرها عَليْهِ ، لَمْ يَكنْ بأَمْرِه ، إنَّما هُو مِنْ أمْرِ اللهِ تعالى لَهُ ، فَسُبْحانَ الَّذي يَعْلَمُ الغَيْبَ ، ولا يُظْهِرُ على غَيْبِه أحَداً إلا بأَمْرِه ومَشيئتِه .

ويُلاحَظُ في الآياتِ أنَّ الخَضِرَ نَسَبَ الفِعْلَ الأوَّلَ لِنَفسِه حينَ قال : ﴿فأرَدتُّ أنْ أَعيبَها﴾ ، لأنَّ هذا الفِعْلَ ظاهِرُهُ شَرٌّ واضِحٌ فنَسَبَهُ لِنَفْسِهِ ، ولم يَنْسِبْهُ إلى اللهِ ، ونَسَبَ قَتْلَ الغُلامِ لِنفسِهِ أيضاً بقوله : ﴿فأرَدْنا أن يُبْدِلَهُما﴾ لأنَّه عَمَلٌ ظاهِرُهُ الفَسادُ ، لا يَليقُ نِسبتُهُ إلى اللهِ ، مَعَ أنَّ كُلَّ ما فَعَلَهُ الخضرُ كانَ بأمرِ اللهِ ، وأسندَ الفِعْلَ الأخيرَ إلى اللهِ ، وهو : ﴿فأرادَ ربُّكَ أَنْ يَبْلُغا أَشُدَّهُما﴾ لأنّهُ إنعامٌ مَحْضٌ ، وهذا هُوَ اللائِقُ بالمُسْلِمِ ، أنْ لا يَنْسِبَ الفِعْلَ الَّذي لا يَليق باللهِ تعالى إليهِ ، وإنْ كانَ سُبْحانَهُ خالِقَ كُلِّ شَيْءٍ أدَباً مَعَهُ سُبحانَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ جَوازُ ارْتِكابِ أخَفِّ الضَّرَريْنِ لِتَفادي أَشَدِّهِما ، فَخَرْقُ السَّفينَةِ ضَرَرٌ يَسيرٌ في مُقابِلِ اسْتيلاءِ المَلِكِ عَليْها .

٢ـ انْتِفاعُ الأبناءِ بِصلاحِ الآباءِ .

٣ـ الإساءَةُ مِنْ قَوْمٍ لا تَمْنَعُ تَقْديمَ الخَيْرِ لِبَعْضِهِمْ ، فَبُخْلُ أهْلِ القَرْيَةِ لَمْ يَمْنَعْ مِنْ إصْلاحِ الجِدارِ .

٤ـ عَدَمُ نِسْبَةِ الأفْعالِ الَّتي ظاهِرُها الشَّرُّ إلى اللهِ تعالى .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ كيفَ عَرَفَ الخَضِرُ أنَّ الغُلامَ سَيَكونُ كافِراً لَوْ بَقِيَ حَيًّا ؟

٢ـ كَيْفَ يُمكِنُ لِلغُلامِ أنْ يَقودَ والِدَيْهِ إلى الكُفْرِ ؟

٣ـ إعادَةُ بناءِ الجِدارِ إحْسانٌ إلى اليَتيمَيْنِ لا إلى أَهْلِ القَرْيَةِ ، بَيِّنْ ذلِكَ .

٤ـ لماذا نَسَبَ الخَضِرُ العَمَلَ الَّذي ظاهِرُهُ الشَّرُّ لِنَفْسِهِ ، ولم يَنْسِبْهُ إلى اللهِ تَعالى ؟



كلمةْ (تَسْطِع) أَصْلُها (تَسْتَطِع) وحُذِفَتِ التّاءُ لِلتّخفيفِ ، وإنّما حُذِفَتْ في المَوْضِعِ الثّاني وهْوَ ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ﴾ ولم تُحْذَفْ في المَوْضِعِ الأوّلِ وهو ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ لأنَّ الخَضِرَ قدْ أزالَ مِنْ نَفْسِ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ ما كانَ فيها مِنْ ثِقَلٍ بِسَبَبِ عَدَمِ عِلْمِهِ بِأَسْرارِ أَفْعالِهِ ، فلمّا عَلِمَها زالَ الثِّقَلُ مِنْ نَفْسِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ فَناسَبَهُ إزالَةُ الثِّقَلِ مِنَ الكَلِمَةِ بِحَذْفِ التّاءِ .

نَشاطٌ :

١ـ ما الفائِدَةُ الّتي زادَها الحديثُ عمَّا وَرَدَ في الآيةِ (٨١) ؟ اكْتُبْ الإجابةَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً شَريفاً يأْمُرُ بِحُسْنِ مُعامَلَةِ اليَتيمِ .

٣ـ تأَمَّلْ في قَوْلِهِ تعالى : ﴿حَتَّى إذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ وقولِهِ : ﴿أَمّا الجِدارُ فكانَ لِغُلامَيْنِ يَتيمَيْنِ في المَدينَةِ﴾ وحاوِلِ اسْتِخْراجَ العِبْرَةِ مِنَ اسْتِخْدامِ لَفْظِ القَرْيَةِ أوّلاً ، والمَدينَةِ ثانياً ، مَعَ أنَّ المُتَحَدَّثَ عَنْهُ مَكانٌ واحِدٌ .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشَرَ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ السَّادِسَ عَشَرَ

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

سَبَباً : طريقاً يُوصِلُ إلى الأَمْرِ المُرادِ .

فأتبعَ سَبَباً : سَلَكَ طَريقاً .

حَمِئَةٍ : مُستَنْقَع ذي طينٍ أَسْوَدَ .

نُكْراً : مُنْكَراً فظيعاً .

خُبْراً : عِلْماً شامِلاً .

التفسيرُ :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾ .

هذهِ القِصَّةُ والّتي قبلَها مِنْ أدلّةِ نبوّتِهِ ﷺ وقدْ ورَدَ أنَّ اليهودَ أوْعزوا إلى كُفّارِ قريشٍ لِيَسْألوا رسولَ اللهِ ﷺ عنْ هذهِ القِصَّةِ ، ظَنّاً منهم أنَّهُ لنْ يتمكّنَ من الإجابةِ فَيَثْبُتَ عدَمُ نُبوَّتِهِ وتَبْطُلَ دَعْوَتُهُ ،

فأبْطَلَ اللهُ ظَنَّهُمْ ، وخيَّبَ أمَلَهُم ، ونزَلَتِ الآياتُ تُبيِّنُ قِصَّةَ ذي القَرْنَيْنِ[1] .

وذو القَرْنَيْنِ مَلِكٌ صالحٌ عادلٌ ، مَلَكَ مَشارِقَ الأرْضِ ومَغاربَها ، واخْتَلَفَ المُفَسِّرونَ في تَحديدِ شَخصيَّتِهِ ، والأظْهَرُ أنَّهُ أحَدُ مُلوكِ اليَمَنِ القُدَماءِ ، ولَيْسَ الإسكندرَ المَقْدونيَّ ، لأنَّهُ لم يَكنْ مُسلِماً ، ولَيْسَ المُهِمُّ مَعْرِفَةَ شَخصيّتِهِ بلْ أَخْذُ العِبْرَةِ مِنَ القِصَّةِ . وَلُقِّبُ بذي القَرْنَيْنِ لأنَّهُ بَلَغَ قَرْنَي الشَّمْسِ مَطْلِعَها ومَغْرِبَها ، وقيلَ لأنَّهُ كانَ في رأسِهِ أو في تاجِهِ ما يشبهُ القَرْنَيْنِ .

وبدأتِ الإجابةُ عَنِ السّؤالِ بأمرِهِ ﷺ أنْ يُخْبِرَهُمْ أنَّهُ سَيتلو عَلَيْهِم مِنْ أخبارِهِ ما فيهِ العِبْرَةُ والعِظَةُ ممَّا يوحَى بِهِ إليهِ .

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ ﴾

يُخْبِرُ اللهُ تعالى أنَّهُ يَسَّرَ لِذي القَرْنَيْنِ أَسْبابَ المُلْكِ والسُّلطانِ والفَتْحِ والنَّصْرِ ، وأَمَدَّهُ بما يَحْتاجُ إليهِ لِلْوُصولِ إلى غَرَضِهِ مِنْ أسْبابٍ كالعِلْمِ والقُدْرَةِ وحُسْنِ التَّدبيرِ والحِكْمَةِ ، وتَدريبِ القادَةِ وحَشْدِ الجُنودِ .

﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ ﴾

فَسَلَكَ الطَّريقَ الَّتي تُوصِلُهُ إلى مُرادِهِ ، وبَدأَ بالتَّوجُّهِ نَحْوَ الغَرْبِ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ﴾ .

حتَّى إذا وَصَلَ إلى أقْصى ما أمْكَنَهُ الوُصولُ إليهِ مِنْ جِهَةِ الغَرْبِ ، وَقَفَ على السَّاحِلِ ورَأى الشّمسَ تَغْرُبُ في البَحْرِ ، وكأنَّ مَكانَ غُروبِها عَيْنٌ ذاتُ طينٍ أَسْودَ ، فإنَّ النّاظِرَ إلى غُروبِ الشّمسِ في البَحْرِ يَرى مَكانَ غُروبِها مُظْلِماً باهِتاً بعدَ أنْ كانَ مُتَّقداً ، وهذا بحَسَبِ رأْيِ العَيْنِ ، وإلاَّ فإنَّ الشّمْسَ في السَّماءِ ، وهِيَ أكْبَرُ مِنَ الأرْضِ مرَّاتٍ كَثيرَةً ، وإنَّما يَحْجُبُ الشَّمْسَ دوَرانُ الأرْضِ ، وكُلّما دارَتِ الأرْضُ اخْتَفَتْ أشِعَةُ الشّمْسِ عَنْ بَعْضِها ، ورأَى النّاظِرُ إليْها كأنَّها تَغْطِسُ في البَحْرِ ، أَوْ تَتَوارى خَلْفَ الجبالِ والسُّهولِ .

وَوَجَدَ ذو القَرْنَيْنِ عِنْدَ مَوْقعِ غُروبِ الشَّمْسِ قَوْماً ، فَخيَّرَهُ اللهُ تعالى بَيْنَ أنْ يُعذِّبَهُمْ بالقَتْلِ إنْ رَفَضوا الإيمانَ وأصرُّوا على الشِّرْكِ ، أوْ أنْ يَصْبِرَ عَلَيْهِمْ ، ويُحْسِنَ مُعامَلَتَهُ مَعَهُمْ لَعلَّهم يُؤْمنونَ .

﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾

قالَ ذو القَرْنَيْنِ بَعْدَ أنْ خَيَّرَهُ اللهُ تعالى بِشَأْنِ أُولَئِكَ القَوْمِ : إنَّ هَؤلاءِ القَوْمِ سَوْفَ يَنْقَسِمُونَ بَعْدَ

---

(١) انظرْ تفسير ابن كثير ٣/ ١٠١ والشوكانيّ ، فتح القدير ٣/ ٣٠٩ .

دَعْوَتِهِمْ إلى فَريقَيْنِ : فَريقٍ يَبْقى كافِراً ظالِماً لِنَفْسِهِ ، وهذا الفَريقُ سَوفَ نُعَذِّبُهُ بالقَتْلِ ، ثم يُعَذِّبُهُ اللهُ بَعْدَ البَعْثِ والجَزاءِ عَذاباً شَديداً عَظيماً .

﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾

والفريقُ الثّاني هُمُ المُؤمِنونَ الَّذينَ سَيَسْتَجيبونَ إلى الدّعْوةِ ، ويَعْمَلونَ صالِحاً ، فهؤلاءِ جزاؤُهُمْ عِنْدَ اللهِ النعيمُ المُقيمُ ، وسَنقولُ لَهُمْ قَوْلاً حَسَناً سَهْلاً ذا يسرٍ ، ولا نكلِّفُهُم بما هو شاقٌّ وصَعْبٌ بلْ باليَسيرِ السّهْلِ .

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ ﴾

ثم سارَ في الطّريقِ التي تُوصِلُهُ إلى مَشْرِقِ الشّمْسِ .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ ﴾ .

حتى إذا وَصَلَ إلى أقْصى ما أمْكَنَهُ الوُصولُ إليْهِ مِنْ جِهَةِ الشّرْقِ ، حَيْثُ تَطْلُعُ الشَّمْسُ فيما يَرى المرْءُ ، وَجَدَ في تِلْكَ الأرضِ قَوْماً لَيْسَ لَهُمْ مِنَ اللِّباسِ والشَّجَرِ والبناءِ ما يَسْتُرُهُمْ مِنْ أشِعَّةِ الشَّمْسِ ، وهذا يَدُلُّ على أنَّهُم كانوا قَوْماً بدائِيينَ لا يَعْلَمونَ حِياكَةَ المَلابِسِ ولا بِناءَ البُيوتِ ، ولا يَخْتَلِطون بأقوامٍ آخَرينَ يَتَعلَّمونَ مِنْهُمْ هذهِ الأُمورَ ، وهذا يَدُلُّ على بُعْدِهِم وانْعِزالِهِم عَنْ غَيْرِهِمْ .

﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ﴾

يَقولُ اللهُ : نَحْنُ مُطَّلِعونَ عَلى جَميعِ أحْوالِ ذي القَرْنَيْنِ وأحْوالِ جَيْشِهِ ، لا يَخْفى عَلَيْنا مِنْهُمْ شَيْءٌ ، فَهُوَ مُحيطٌ بِأَحْوالِهِمْ وأخبارِهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ وُجوبُ الإيمانِ بالغَيْبِ كَخَبَرِ قِصَّةِ أصْحابِ الكَهْفِ ، وموسى والخَضِرِ ، وذي القَرْنَيْنِ ، فالتَّصْديقُ بذلكَ تَصْديقٌ لله .

٢ـ تَسْخيرُ المَلِكِ الصّالِحِ قُوَّتَهُ وعِلْمَهُ في الدَّعْوَةِ إلى اللهِ ، وإقْرارِ الإيمانِ ، ومُحارَبَةِ الكُفْرِ .

٣ـ صِدْقُ نُبوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ؛ إذْ أجابَ السّائِلينَ عَنْ سُؤالِهِم بوَحْيٍ مِنَ اللهِ لَهُ .

٤ـ الوُصولُ إلى مَعالي الأُمورِ لا يَكونُ إلاّ باسْتِعْمالِ الأَسْبابِ المُوصِلَةِ إلَيْها .

٥ـ على الحاكِمِ مَهْما بَلَغَتْ قُوَّتُهُ وعَظَمَتُهُ أنْ يَعْدِلَ بَيْنَ الرّعِيَّةِ ولا يَظْلِمَ أَحَداً .

٦ـ لا يَقِفُ أمامَ الهِمَّةِ العاليةِ عائقٌ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لماذا لُقِّبَ ذو القَرْنَيْنِ بهذا اللَّقَبِ ؟

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآياتِ أبْرَزَ صِفاتِ المَلِكِ ذي القَرْنَيْنِ .

٣ـ ماذا رَأى ذو القَرْنَيْنِ في أَقْصى المَغْرِبِ ؟ وكَيْفَ عامَلَ القَوْمَ الَّذينَ وَجَدَهُمْ هُناكَ ؟

٤ـ ما صِفَةُ القَوْمِ الَّذينَ وَجَدَهُمْ في أَقْصى المَشْرِقِ ؟ وكَيْفَ تَعامَلَ مَعَهُمْ ؟

٥ـ اذْكُرْ آيةً مِنْ آياتِ الدَّرْسِ تُبَيِّنُ وُجوبَ الأَخْذِ بالأَسْبابِ .

٦ـ ما معنى قَوْلِ اللهِ تَبارَكَ وتَعالى : ﴿كَذَلِكَ وقَدْ أَحَطْنا بما لَدَيْهِ خُبْراً﴾ ؟

نَشاطٌ :

١ـ كيفَ تستدِلُّ مِنْ الآياتِ (٨٣ـ٨٨) أنَّ ذا القَرْنَيْنِ كانَ مُسْلماً ؟ اكْتُبْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ راقِبِ الشَّمْسَ حينَ شُروقِها ، وحينَ غُروبِها مِنْ أَماكِنَ مُتَعَدِّدَةٍ ، واكْتُبْ مُلاحظاتِكَ حَوْلَ هاتَيْنِ الظّاهِرتَيْنِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ السَّابِعَ عشَرَ

سورةُ الكَهْفِ - القِسْمُ السَّابِعَ عشَرَ

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

السَّدَّيْنِ : الجَبَلَيْنِ .

يَأْجوجَ ومَأْجوجَ : اسما قَبيلَتيْنِ .

سَدّاً : حاجزاً .

رَدْماً : حاجزاً حَصيناً مَتيناً .

زُبَرَ الحديدِ : قِطَعَهُ العظيمةَ .

الصَّدَفيْنِ : جانبي الجَبَلَيْنِ .

قِطْراً : نُحاساً مُذاباً .

يَظْهَرُوه : يَتَسلّقوهُ ويَصْعدوا على ظَهْرِهِ .

نَقْباً : خَرْقاً .

دَكَّاءَ : أَرْضاً مُسْتوِيةً .

التفسيرُ :

تَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَرِيمةُ في بَيانِ ما حَدَثَ مَعَ ذي القَرْنَيْنِ في رِحْلَتِهِ :

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ ﴾

ثُمَّ سَلَكَ طَرِيقاً ثالِثاً ، بَعْدَ أَنْ بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ ومَشْرِقَها .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ ﴾

حتَّى إذا وَصَلَ إلى مَنْطَقةٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ عَظِيمَيْنِ ، وَجَدَ مِنْ دونِ هَذينِ الجَبَلَيْنِ قَوْماً يتكلَّمونَ بلُغةٍ لا تَكادُ تُعْرَفُ لِصُعوبَتِها ، ولا يَكادونَ يَفْهمونَ لُغَةَ غَيْرِهِم لِقلَّةِ فَهْمِهِم ، وبُعْدِهِمْ عَنْ مُخالَطةِ غَيْرِهِم .

﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾ .

قالَ أُولئكَ القَوْمُ يَشْكونَ حالَهُمْ لِذي القَرْنَيْنِ لِما عَلِموهُ مِنْ صَلاحِهِ وقُوَّةِ سُلْطانِهِ : إنَّ قَبيلَتَيّ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ ـ وهُمْ مِنْ بني آدمَ ، وكانوا يُقيمونَ خَلْفَ الجَبَلَيْنِ ـ مُفْسِدونَ بالقَتْلِ والسَّلْبِ والإيذاءِ ، ونَحْنُ لا نَقْدِرُ على دَفْعِهِمْ عنَّا ، فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ أَجْراً مُقابِلَ أَنْ تبنيَ بَيْنَنا وبَيْنَ هؤلاءِ المُفْسِدينَ حاجِزاً عظيماً بَيْنَ هذيْنِ الجَبَلينِ يَمْنَعُهُم مِنَ الإفْسادِ في أَرْضِنا ؟

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾

ردّ ذو القَرْنَيْنِ عَلَيْهِمْ بأنَّ ما أَعْطاهُ اللهُ إيّاهُ مِنْ مُلْكٍ وعِلْمٍ وأَسْبابٍ ، خَيْرٌ ممّا يُريدونَ بَذْلَهُ لَهُ مِنْ مالٍ ، فَهُوَ غَيْرُ مُحْتاجٍ إلى مالِهِمْ ، ولَكِنَّهُ طَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يُساعِدوهُ على بناءِ السَّدِّ بما يُمْكِنُهُمْ مِنْ رجالٍ وآلاتٍ وأَدَواتٍ ، فإنْ فعَلوا ذلِكَ وأَعانوهُ ، بَنى لَهُمْ حاجِزاً حَصيناً وحِجاباً مَتيناً يَمْلأُ بِهِ الفَراغَ الَّذي بينَ الجَبَلَيْنِ بما لا يَقْدِرُ المُفْسِدونَ على صُعودِهِ ولا اختراقِهِ .

﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴾ .

طَلَبَ مِنْهُم أَنْ يَأْتوا بِقِطَعِ الحَديدِ العَظيمةِ ، وأَنْ يَجْعلوها في المَكانِ المُرادِ بناءُ السَّدِّ فيهِ بَيْنَ الجَبَلَيْنِ ، حتَّى إذا وَصَلَ الحَديدُ إلى مُستوى جانبي الجَبَلَيْنِ أَشْعَلَ فيهِ النّارَ ، وطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَنْفُخوا عَلَيْهِ الهَواءَ بالمَنافيخِ فَفَعَلوا ، حتَّى إذا صارَتْ قِطَعُ الحَديدِ مُلْتَهِبَةً كالنّارِ ، صَبَّ النُّحاسَ

المُذابُ على الحَديدِ المُحَمَّى فالْتَصَقَ بَعضُهُ ببعضٍ ، وَسُدَّتِ الفَجواتُ الَّتي بَيْنَ الحديدِ ، وصارَ مِ بناهُ سَدّاً مَنيعاً مُتماسِكاً بَيْنَ الجَبلَيْنِ ، سُدَّت بِهِ الفَتْحةُ الَّتي كانَتْ بيْنَهُما ، وأَمِنَ القَوْمُ شَرَّ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ ، وسَلِموا مِنْ خَطَرِهِم .

﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ .

فما اسْتَطاعَ المُفْسِدونَ أَنْ يَعْلوا هذا السَّدَّ ، وأَنْ يَتَسوَّروهُ لِعُلُوِّهِ ومَلاسَتِهِ ، وما اسْتطاعوا خَرْقَهُ مِنْ أَسْفَلَ لِصَلابَتِهِ وثَخانَتِهِ . وَبِهذا السَّدِّ المَنيعِ أَغْلَقَ ذو القَرْنَيْنِ الطَّريقَ على يَأْجوجَ ومَأْجوجَ وحَمَى القَوْمَ مِنْهُم .

وحَذْفُ التّاءِ مِنَ (اسْطاعُوا) لِلتَّخفيفِ ، ولِلإشارةِ إلى أَنَّ صُعودَ السَّدِّ أَيْسَرُ مِنْ خَرْقِهِ ، وأَنَّهُ يَحتاجُ إلى خِفَّةٍ فَناسَبَهُ اللَّفظُ الأَخَفُّ .

﴿ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ﴾

بَعْدَ أَنْ بَنى ذو القَرْنَيْنِ السَّدَّ قالَ مُشيراً إليْهِ : هذا أَثَرُ رَحْمَةٍ عَظيمةٍ مِنَ اللهِ بِعبادِهِ ؛ إِذْ أَقْدَرَني على بِنائِهِ ، وحَمَى بِهِ النّاسَ مِنْ غَزَواتِ أُولئكَ المُفْسِدينَ ، ولَوْلا مَشيئَةُ اللهِ لَما اسْتَطَعْتُ بِناءَهُ ، فإذا جاءُ الوَقْتُ الَّذي أَرادَهُ اللهُ لِتَخْريبِ السَّدِّ ، جَعَلَهُ أَرْضاً مُسْتَويةً كأَنْ لَمْ يَكُنْ ، وهُوَ أَمْرٌ كائِنٌ لا مَحالةَ ، لأَنَّ وَعْدَ اللهِ تعالى حَقٌّ لا يَتَخَلَّفُ ، وهذا كائِنٌ في آخِرِ الزَّمانِ ، عِنْدَما يُدَكُّ السَّدُّ ويَخْرُجُ يَأْجوجُ ومَأْجوجُ ، كما صَحَّ في الأَحاديثِ . وهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ العَليمُ بهذا الوَقْتِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ ذو القَرْنَيْنِ مِثالٌ لِلْمُلوكِ العادِلينَ الَّذينَ يُصْلِحونَ في الأَرْضِ ، ويُحارِبونَ الفَسادَ .

٢ـ على المُسْلِمينَ أَنْ يَمْتَلِكوا القُوَّةَ الَّتي تُعَمِّرُ وتُثْمِرُ كَما امْتَلَكَ ذو القَرْنَيْنِ تِلْكَ القُوَّةَ .

٣ـ التَّعَرُّفُ على الأَسْرارِ العِلميَّةِ الَّتي تُفيدُ الإنْسانَ في التَّعْميرِ والإنْشاءِ مَنْهَجٌ إسْلاميٌّ أَصيلٌ .

٤ـ التَّبَرُّعُ بالعَمَلِ أَفْضَلُ مِنْ أَخْذِ الأَجْرِ لِمَنْ لا يَحتاجُ إليهِ .

٥ـ مَشْروعيَّةُ التَّعاونِ على فِعْلِ الخَيْرِ ودَفْعِ الضُّرِ .

٦ـ إضافةُ النُّحاسِ المُذابِ إلى الحديدِ تُضاعِفُ قُوَّتَهُ وصَلابَتَهُ .

٧ـ لَمْ يُخْبِرْنا القُرْآنُ عَنْ مكانِ السَّدِّ فلا داعِيَ لِلْخَوْضِ في ذلكَ الأَمْرِ والبَحْثِ فيه .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا طَلَبَ القَوْمُ مِنْ ذي القَرْنَين ؟ ولِماذا ؟

٢ـ اذْكُرِ الخُطُواتِ الَّتي سارَ عَلَيْها ذو القَرْنَيْنِ حتَّى أتَمَّ بِناءَ السَّدِّ .

٣ـ ما معنى : ﴿فإذا جاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ ؟

نَشاطٌ :

١ـ ارْجِعْ إلى كِتابِ رياضِ الصّالِحينَ ، واسْتَخْرِجْ منهُ حديثاً فيهِ ذِكْرُ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ .

٢ـ تَخَيَّلْ شَكْلَ السَّدِّ الَّذي بَناهُ ذو القَرْنَيْنِ ، واجْمَعْ مَعلوماتٍ عَنْ سورِ الصِّينِ العَظيمِ ، ورُدَّ مِنْ خلالِ ذَلِكَ على القائِلينَ بأنَّ السَّدَّ هُوَ سورُ الصِّينِ العَظيمِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّامِنَ عَشَرَ

سورةُ الكَهْفِ ـ القِسْمُ الثَّامِنَ عَشَرَ

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **يَموجُ** : يَخْتَلِطُ .
- **غِطاءٍ** : غِشاءٍ ساتِرٍ .
- **أَوْلِياءَ** : أَرْباباً ومَعْبوداتٍ .
- **نُزُلاً** : مَكاناً مُهَيَّأً لِنُزولِهِمْ .
- **حَبِطَتْ أعْمالُهُم** : ضاعَ ثَوابُها .
- **وَزْناً** : قيمةً .

التَّفسيرُ :

﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ بيَّنَتِ الآياتُ أَخْبارَ العَبْدِ الصّالِحِ ذي القَرْنَيْنِ ، انْتَقَلَ الحَديثُ في هَذهِ الآيةِ إلى بَيانِ

ما يَحْدُثُ يَوْمَ القيامَةِ ، فَيُخْبِرُ ـ سُبحانَهُ ـ فيها أنّهُ إذا جاءَ يَوْمُ القيامَةِ اخْتَلَطَ النّاسُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ واضْطَّربوا كاضْطِرابِ مَوْجِ البَحْرِ ، وذَلِكَ قَبْلَ النَّفْخَةِ الأُولى ، حينَ تَحْصُلُ أَحْداثُ بدايَةِ اليَوْمِ الآخِرِ ، فالضَّميرُ في (بَعْضَهُم) يَعودُ على جَميعِ الخَلائِقِ . وذَهَبَ عَدَدٌ مِنَ المفسرينَ إلى أنَّهُ يَعودُ على يَأجوجَ ومَأْجوجَ ، وأنَّهُم حينَ يَخْرجونَ قُبيْلَ قيامِ السَّاعَةِ يَموجُ بَعْضُهُم في بَعْضٍ مِنْ كَثْرَتِهِمْ ، ويَخْتَلِطونَ في انْدِفاعِهِمْ ويُفسِدون في الأَرْضِ .

والنَّفْخَةُ المَذْكورَةُ في الآيَةِ هيَ الثَّانِيَةُ ، حَيْثُ يَقومُ النّاسُ ، ويَجْتَمِعونَ لِلْحِسابِ والجَزاءِ لا يَتَخلَّفُ مِنْهُمْ أحَدٌ ، أمَّا النَّفْخَةُ الأُولى فإنَّها تَصْعَقُ الخَلْقَ وتُميتُهُمْ ، يُبيِّنُ ذَلِكَ قولُهُ تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر : ٦٨] .

﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ﴾

وأبْرَزْنا جَهَنَّمَ وأظْهَرْناها لِلْكافِرينَ يَوْمَ يُجْمَعُ الخَلائِقُ ، بِحَيْثُ يَرَوْنَها ويَسْمَعونَ زَفيرَها . وتَخْصيصُ الكافِرينَ بالذِّكْرِ مِنْ أنَّ جَهنَّمَ تُرى مِنَ الجَميعِ ، لأنَّها لأَجلِهِمْ تُعْرَضُ ، ولِيَعْلَموا أنَّهُم صائِرونَ إليْها ، فَيَحْصُلُ لَهُمْ مَزيدُ حُزنٍ وَغَمٍّ .

﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾ .

هذا بَيانٌ لِبَعْضِ صِفاتِ الكافِرينَ الَّتي اسْتَحقُّوا بِسَبَبِها العَذابَ ، فَقَدْ كانَتْ أعْيُنُهُم في الدُّنْيا كأنَّها مُغَطَّاةٌ بِغِشاءٍ ساتِرٍ مُحيطٍ بها ، يَمنَعُها مِنْ رُؤْيةِ آياتِ اللهِ المُنْبَثَّةِ في الأَنْفُسِ والآفاقِ ، والمُؤَدِّيَةِ إلى تَوْحيدِ اللهِ وتَمْجيدِهِ وذِكْرِهِ ، وكانوا لا يَقْدِرونَ على سَمْعِ آياتِ اللهِ المُوصِلَةِ إلى الإيمانِ فَهُمْ كالصُّمِّ الَّذينَ لا يَسْمَعونَ .

وفي هَذهِ الآيةِ تَمْثيلٌ لإعْراضِهِمْ عَنِ الأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ ، وتَعاميهِمْ عَنِ الآياتِ المُشاهَدَةِ بالأَبْصارِ .

﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ﴾

أظَنَّ الَّذينَ كَفروا بي أنَّه يَجوزُ لَهُمْ أنْ يَتَّخِذوا عِبادِي مِنَ المَلائِكَةِ وعيسى وعُزَيْرٍ وغَيْرِهِمْ أرْباباً لَهُم يَعْبُدونَهُمْ مِنْ دوني . إنَّ فِعْلَهُمْ هذا جَريمةٌ كُبْرى ، وقَدْ هَيَّأْنا لِمَنِ ارْتَكَبَ هَذهِ الجَريمةَ جهنَّمَ لَهُمْ لِتَكونَ مَكانَ إقامَةٍ وضِيافَةٍ . وإطْلاقُ النُّزُلِ على جَهَنَمَ تَهَكُّمٌ واسْتِهزاءٌ وسُخْرِيَّةٌ بِهِمْ ، لأنَّها لَيْسَتْ مَكانَ إقامَةٍ حَسَنَةٍ ولا اسْتِقْرارٍ طَيِّبٍ .

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ﴾

قُلْ يا أيُّها الرَّسولُ لِلْمُشْرِكينَ والكافِرينَ ولِلنَّاسِ جَميعاً : هَلْ أُخْبِرُكُم بأشَدِّ النَّاسِ خُسْراناً لأَعْمالِهِمْ ، وحِرْماناً مِنْ ثوابِها .

﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

إنَّهُمُ الَّذينَ اتَّبَعوا أَنْفُسَهُم في أعْمالٍ يَبْغون بها ثَواباً وفَضْلاً ، ويَظُنُّونَها أعْمالاً صالِحَةً ، ولكنَّها في الحَقيقةِ أعْمالٌ لا ثَوابَ لَهُمْ عَلَيْها ، فَسَعْيُهُمْ في ضَلالٍ ، وَعَمَلُهُم في بُطلانٍ ، لأنَّ شَرْطَ قَبولِ العَمَلِ الإيمانُ .

والآيَةُ عامَّةٌ في كُلِّ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً يَظُنُّهُ حَسَناً ، وهُوَ مَرْدودٌ عَلَيْهِ لِعَدَمِ إيمانِهِ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ ، سَواءٌ أكانَ مِنْ أهْلِ الكتابِ الَّذينَ حَرَّفوا دينَهُمْ أمْ مِنْ غَيْرِهِم ، ويُؤَكِّدُ عُمومَ مَعنى الآيَةِ ما بَعْدَها ، وهُو قَوْلُهُ تعالى :

﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ﴾

في هذه الآيةِ تَبيينُ سَبَبِ خُسْرانِهِم ، وَهُوَ عَدَمُ إيمانِهِم بآياتِ اللهِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ سُبْحانَهُ ، وكُفْرُهُم بالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ ، فَبَطَلَتْ أعْمالُهُمْ ، ولَمْ يَعُدْ لَهُمْ عَلَيْها أيُّ ثَوابٍ ، ولَيْسَ لَهُم عندَ اللهِ تعالى أيُّ وَزْنٍ أوْ قيمَةٍ ، ولا يَسْتَحِقّونَ قَدْراً ولا مَنْزِلَةً ، وهُمْ مُسْتَحِقُّونَ لِهذهِ العُقوبَةِ جَزاءَ أعْمالِهِمْ .

﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

وهذهِ العُقوبَةُ لَهُمْ ، وهِيَ تَعْذيبُهُمْ في النّارِ بِسَبَبِ كُفْرِهِم ، واتِّخاذِهِمْ آياتِ اللهِ ورُسُلَهُ ومُعْجِزاتِهِمْ سُخْرِيَةً وَهُزُواً ، فَلَمْ يَكْتَفوا بالكُفْرِ ، بَلْ أضافوا إليْهِ عَمَلاً سَيِّئاً آخَرَ هُو الاسْتِهْزاءُ بالرُّسُلِ وبالمُعْجِزاتِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ مَنْ لا يَنْتَفِعُ مِنْ سَمْعِهِ لِلْهِدايَةِ إلى الحَقِّ كَمَنْ لا سَمْعَ لَهُ ولا بَصَرَ .

٢ـ العَمَلُ الَّذي لا يُوافِقُ شَرْعَ اللهِ وَدينَه باطِلٌ ، ولا قيمَةَ لَهُ عِنْدَ اللهِ .

٣ـ عاقِبَةُ الاسْتِهْزاءِ بآياتِ اللهِ وَرُسُلِهِ العِقابُ الشَّديدُ .



التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما معنى : ﴿وتَرَكْنا بَعْضَهُم يومَئذٍ يَموجُ في بَعْضٍ﴾ ؟ ومَتَى يَكونُ ذَلِكَ ؟

٢ـ بِماذا تَسْتَدِلُّ على أنَّ النَّفْخَةَ المَذْكورةَ في الآيةِ التّاسِعَةِ والتِّسْعينَ هِيَ النَّفْخَةُ الثّانيةُ ؟

٣ـ ما فائِدَةُ التّعبيرِ عَمّا أعَدَّهُ اللهُ تَعالى لِلْكافِرينَ في جَهَنَّمَ بالنُّزُلِ ؟

٤ـ مَنْ هُمْ ﴿الَّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الحَياةِ الدُّنيا وَهُمْ يَحْسَبونَ أنَّهُم يُحْسِنونَ صُنْعاً﴾ ؟

٥ـ كَيْفَ تَكونُ أعْمالُ الكافِرينَ يَوْمَ القيامةِ ؟ أيِّدْ إجابَتَكَ بِدَليلٍ مِنَ الآياتِ .

تَعَلَّمْ :

عَنْ أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّهُ لَيأتي الرَّجُلُ العَظيمُ السَّمينُ يَوْمَ القيامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعوضَةٍ ، وقال : اقرؤوا إنْ شِئْتُم : ﴿فلا نُقيمُ لهمْ يومَ القيامَةِ وَزْنا﴾ »[١] .

نَشاطٌ :

اكْتُبِ الآيَةَ الَّتي تُبَيِّنُ صِفَةَ الكافِرينَ ، والَّتي ذُكِرَتْ في أَوَّلِ سورَةِ البَقَرَةِ ، وَبَيِّنْ وَجْهَ التوافُقِ بَيْنَها وبَيْنَ الآية (١٠١) مِنْ سورةِ الكَهْفِ .

❊ ❊ ❊

---

(١) رواهُ البخاريُّ في كتابِ التفسيرِ ، باب رقم ٢١٩ ، رقم الحديث : ٤٤٥٢ ، ورواهُ مسلمٌ في كتابِ صفاتِ المنافقين ، برقم : ٢٧٨٥ ، والمقصودُ في الحديثِ الرّجلُ العظيمُ في جِسْمِهِ ولا إيمانَ في قَلْبِه .

الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ

سورةَ الكَهْفِ ـ القِسْمُ التَّاسِعَ عَشَرَ

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الفِرْدَوْسِ	أعلى دَرَجاتِ الجَنَّةِ وأفْضَلِها .
حِوَلاً	تَحَوُّلاً وانْتِقالاً .
مِداداً	ما يُكْتَبُ بِهِ مِنْ حِبْرٍ ونَحْوِهِ .
لَنَفِدَ البَحْرُ	لَفنِيَ ماؤهُ وانْتَهى .
مَدَداً	عَوْناً وَزِيادَةً .

التفسيرُ :

يَخْتِمُ اللهُ تَعالى سُورَةَ الكَهْفِ بِبَيانِ فَضْلِ المُؤْمِنينَ ومَكانَتِهِمْ يَوْمَ القيامةِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ ﴾

بَعْدَ أنْ ذَكَرَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ جَزاءَ الكافِرينَ باللهِ تَعالى المُكَذِّبينَ باليَوْمِ الآخِرِ ، انْتَقلتْ هذهِ الآياتُ لِتُبَيِّنَ ثَوابَ المُؤْمنينَ الطَّائِعينَ ، الَّذينَ جَمَعوا مَعَ الإيمانِ العَمَلَ الصَّالِحَ ، فهؤلاءِ أعدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ عاليةَ المَنْزِلَةِ ، قَدْ هُيِّئَتْ وأُعِدَّتْ لَهُمْ كأَحْسَنِ ما يُهَيَّأُ لِلقادِمِ ، وَيُزَيَّنَ مِنْ أَثاثٍ ومَتاعٍ ، فأَعَدَّ اللهُ لَهُمُ الفِرْدَوْسَ ، وهُو أَعْلى دَرَجاتِ الجَنَّةِ وأَحْسَنُها ، لِما ثَبَتَ في الحَديثِ مِنْ قولِهِ ﷺ :

« إذا سَأَلْتُمُ اللهُ فاسْأَلوهُ الفِرْدَوْسَ ، فإنَّه أوْسَطُ الجَنَّةِ ، وأَعْلى الجَنَّةِ ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمنِ ، مِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهارُ الجَنَّةِ »[1] ، فَيَكونُ المَقْصودُ بالآيةِ : مَنْ كانَ في أَعْلى دَرَجاتِ الإيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ ؛ وهُم الأَنْبِياءُ والمُقَرَّبونَ مِنَ المُؤْمنينَ .

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾ ﴾

ومِنْ تَمامِ نَعيمِ الجَنَّةِ وكَمالِهِ أنَّهُ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ ولا زائِلٍ ؛ فَأَهْلُ الجَنَّةِ مُقيمونَ فيها إقامَةَ خُلودٍ لا نِهايَةَ لَهُ . ولِعَظيمِ ما فيها مِنَ النِّعَمِ والخَيْراتِ ، لا يَرْغَبُ أَهْلُ الجَنَّةِ في أن يَنْتَقِلوا مِنْها ، أَوْ أَنْ يَتَحَوَّلوا عَنْها ، فَهِيَ دارُ النَّعيمِ المُقيمِ . فيها ما تَشْتَهيهِ الأَنْفُسُ ، وتَلَذُّ الأَعْيُنُ مِنَ المَنازِلِ الأَنيقةِ ، والرِّياضِ النَّضِرَةِ ، والأَشْجارِ المُثْمِرَةِ ، والأَنْهارِ الجارِيَةِ ، والمَآكِلِ اللَّذيذةِ ، والمَشارِبِ الشَّهِيَّةِ ، والمناظِرِ الرّائِقَةِ ، فَفيها ما لا عَيْنٌ رأَتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ ، نَسْأَلُ اللهَ تعالى أَنْ يجْعَلَنا مِنْ أَهْلِها .

﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾ ﴾

يأمُرُ اللهُ تعالى رسولَهُ ﷺ في هذهِ الآيةِ أنْ يَقولَ لِلنَّاسِ مُخْبِراً إيَّاهُمْ أنَّهُ لَوْ جُمِعَتْ مِياهُ البَحْرِ ، وأَصْبَحَتْ حِبْراً ومِداداً ، وكُتِبَتْ بها كَلِماتُ اللهِ الَّتي خَلَقَ بها الخَلْقَ ، وأَنْزَلَ بها الشَّرائِعَ ، لَفَنِيَ ماءُ البَحْرِ عَلى كَثْرَتِهِ ، وانْتَهى ، دونَ أَنْ يَنْفَدَ كَلامُ اللهِ ، وأَخْبَرَنا في آيةٍ أُخْرى أنّهُ لَوْ زيدَ في مياهِ البَحْرِ سَبْعَةُ أَمْثالِها ، لَنَفِدَ المِدادُ ، ولَم تَنْفَد كَلِماتُ اللهِ . قالَ تَعالى : ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [لقمان : ٢٧] ، وهذا مِنْ بابِ تَقْريبِ المَعْنى إلى الأَذْهانِ ، لأنَّ هَذهِ الأَشْياءَ مِنَ البِحارِ والأَشْجارِ مَخْلوقَةٌ ، وجَميعُ المَخْلوقاتِ مُنْقَضِيَةٌ مُنْتَهِيَةٌ ، وأمّا كَلامُ اللهِ فإنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ صِفاتِهِ ، وصِفاتُهُ غَيْرُ مَخْلوقةٍ ، ولا حَدَّ لها ، ولا مُنْتَهى .

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ .

ويَأْمُرُ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ أنْ يُخْبِرَ الخَلْقَ أَنَّهُ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ مِنْ بَني آدَمَ ، لا عِلْمَ عِنْدَهُ إلاّ ما عَلَّمَهُ رَبُّهُ بالوَحْيِ ، ومِمّا أَوْحى إليْهِ أنَّ اللهَ سُبْحانَهُ إلهٌ واحِدٌ لا شَريكَ لَهُ ، فَمَنْ كانَ يَأْمُلُ بثوابِ اللهِ وحُسْنِ الجَزاءِ عِنْدَ لِقائِهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً مُوافِقاً لِشَرْعِ اللهِ ، لا يَبْتَغي بعَمَلِهِ هذا سِوى وَجْهِ اللهِ ، وهَذانِ هُما الرُّكْنانِ اللَّذانِ لا بُدَّ مِنْهُما لِكُلِّ عَمَلٍ مُتَقَبَّلٍ : أن يَكونَ خالِصاً للهِ ، وأَنْ يَكونَ صَواباً وَفْقَ ما شَرَعَ اللهُ ورسولُهُ ﷺ .

---

(١) رواهُ البخاريُّ في كتابِ الجهادِ ، باب : درجاتُ المجاهدينَ في سبيلِ اللهِ ، رقم الحديث : ٢٦٣٧ ، ومعنى أوسطِ الجَنَّةِ : أفضلُها وخيرُها .

والشِّرْكُ الّذي يَجبُ الخَلاصُ مِنْهُ نَوْعانِ : الشِّرْكُ الجَلِيُّ بأنْ يَعْبُدَ المَرْءُ إلٰهاً آخَرَ سِوى اللهِ ، والشِّرْكُ الخَفِيُّ ، وَهُوَ الرياءُ أيْ أنْ يَعْمَلَ العَمَلَ يَبْتَغِي بهِ وَجْهَ اللهِ وغَيْرَهُ ، فلا يَكونُ العَمَلُ خالِصاً للهِ ، والرِّياءُ مُحْبِطٌ لِلْعَمَلِ ، ومُذْهِبٌ لأجرِهِ . وَقَدْ وَرَدَ في التنفيرِ مِنْهُ أحاديثُ ، مِنْها :

عَنْ أبي هُرَيْرة ـ رَضِيَ اللهُ عنهُ ـ قالَ : سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقول : « إنَّ اللهَ تعالى يَقولُ : أنا أغنى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلاً أشْرَكَ فيهِ غَيْري تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ »[1] .

عَنْ جُنْدُب بنِ عبدِ اللهِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بهِ ، ومنْ يُرائي يُرائي اللهُ بهِ »[2] ، أيْ مَنْ أَرادَ أنْ يُسَمِّعَ النّاسَ بعَمَلِهِ ، وأنْ يَحْمَدوهُ ويُثْنوا عَلَيْهِ ، أَظْهَرَ اللهُ سَرِيرَتَهُ لَهُمْ ، وفَضَحَ نيّتَهُ ، ولم يَظْفَرْ بما أرادَهُ مِنْ حُسْنِ الذِّكْرِ بَيْنَ النّاسِ والمَنْزِلَةِ بَيْنَهُم مَعَ اسْتحقاقِهِ غَضَبَ اللهِ تعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أعَدَّ اللهُ لِمَنْ أطاعَهُ أَعْلى الدَّرَجاتِ ، وأَعْظَمَ النَّعيمِ جَزاءً على طاعَتِهِ .

٢ـ لا يَرْغَبُ أَهْلُ الجَنَّةِ في أنْ يَنْتَقِلوا مِنْها ، ولا أنْ يَتَحوَّلوا عَنْها ؛ لِما فيها مِنْ نَعيمٍ عَظيمٍ .

٣ـ كَلِماتُ اللهِ غَيْرُ مُتناهِيةٍ ، وعِلْمُ اللهِ لا حَدَّ لَهُ .

٤ـ جِماعُ ما أَنْزَلَهُ اللهُ التَّوْحيدُ ، وأَنَّهُ هُوَ الإلٰهُ الّذي يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ دونَ سِواهُ .

٥ـ الرَّسولُ ﷺ مِنَ البَشَرِ ، وإنَّما فُضِّلَ بالنُّبُوَّةِ والرِّسالَةِ .

٦ـ الإخْلاصُ واتِّباعُ أحْكامِ الشَّرْعِ شرطانِ لِقَبولِ العَمَلِ .

٧ـ الرِّياءُ مِنَ الشِّرْكِ ، ويَجِبُ تَجَنُّبُهُ وَتَرْكُهُ .

---

(١) رواهُ مسلمٌ في كتابِ الزُّهْدِ ، بابُ مَنْ أشركَ في عملِهِ ، رقم الحديث : ٧٤٠٠ .

(٢) رواهُ البخاريُّ في كتابِ الرِّقاقِ ، بابُ الرياءِ والسُّمْعَةِ ، رقم الحديث : ٦١٣٤ ، ومسلمٌ في كتابِ الزُّهدِ ، بابُ مَنْ أشركَ في عملِهِ ، رقم الحديث : ٧٤٠٢ .

التَّقْوِيمُ :

أجبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المُرادُ بالفِرْدَوْسِ ؟ وَمَنْ هُمْ أَهْلُهُ ؟

٢ـ لِماذا لا يَرْغَبُ أهْلُ الجَنَّةِ في أنْ يَتحوَّلوا عَنْها ؟

٣ـ ما مَعنى المِدادِ ؟ وما مَعنى المَدَدِ ؟

٤ـ لماذا لا تَنْفَدُ كَلِماتُ اللهِ ؟

٥ـ ما الشَّرْطانِ اللّذانِ لا بُدَّ مِنْهُما لِقَبولِ العَمَلِ ؟

٦ـ لِماذا يُعَدُّ الرياءُ نَوْعاً مِنَ الشِّرْكِ ؟

نَشاطٌ :

ارْجِعْ إلى مُعْجَمٍ في اللّغةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهُ الفَرْقَ بينَ (نَفِدَ) بالدَّالِ و(نَفَذَ) بالذَّالِ ، وَدَوِّنْهُ في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ العشرونَ

سورةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ الأوّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورةُ مَرْيمَ مكيّةٌ ، غَرَضُها تَثْبيتُ عَقيدةِ التّوْحيدِ ، وتَنْزيهُ اللهِ تَعالى عمّا لا يَليقُ بهِ ، وتَثْبيتُ عَقيدةِ البَعْثِ والجَزاءِ .

عَرَضَتِ السّورَةُ لِقَصَصِ عَدَدٍ مِنَ الأنبياءِ ، وبخاصةٍ قِصّةُ عيسى ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ ، وما فيها مِنْ دَلائِلِ عَظَمَةِ اللهِ تعالى وقُدْرَتِهِ ، كما عَرَضتْ بَعْضَ مَشاهِدِ يَوْمِ القيامَةِ ، وخَتَمَتْ بِتَنْزيهِ اللهِ تَعالى عَنِ الوَلَدِ والشَّريكِ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

- نِداءً خَفيّاً : مَسْتوراً عَنِ النّاسِ .
- وَهَنَ العَظْمُ : ضَعُفَ العَظْمُ .
- اشْتَعلَ الرّأسُ شَيْباً : كَثُرَ فيهِ الشَّيْبُ .
- شَقِيّاً : خائِباً .

المَوالِيَ	الأقاربُ مِنْ جِهَةِ الأَبِ كالعمِّ وابنِ العَمِّ .
وَلِيّاً	مَنْ يلي الأَمْرَ بعدَ مَوْتِ الرَّجُلِ .
رَضِيّاً	مَرْضِيّاً عِنْدَكَ .
سَمِيّاً	شبيهاً بالاسْمِ والصِّفَةِ .

التفسيرُ :

﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ﴾

افتُتِحَتِ السورةُ بهذهِ الحُروفِ الخَمْسَةِ ، كَما افتُتِحَت سُوَرٌ أُخْرى بِحُروفٍ مُقَطَّعَةٍ كَذَلِكَ ، مثل : ﴿ألم﴾ ﴿حم﴾ ﴿طه﴾ ﴿المص﴾ وذَلِكَ لِلتّنبيهِ إلى إعْجازِ القُرْآنِ ، ولِلإشارَةِ إلى أنَّ اللُّغةَ الَّتي نَزَلَ بها القُرْآنُ مُكَوَّنَةٌ مِنْ هَذهِ الحُروفِ الّتي تَتكلّمونَ بها ، وفي هذا تَحَدٍّ لِلْعَرَبِ أَهْلِ الفَصاحةِ أنْ يَأْتوا بِمِثْلِهِ ، فَهاهِيَ الحُروفُ أمامَكُم لِتنظِموا مِنْها مِثْلَهُ ، فإنْ عَجِزْتُمْ عَنْ ذَلِكَ وَجَبَ التَّسْليمُ بأنَّه كلامُ اللهِ ولَيْسَ كلامَ بشرٍ .

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ ﴾

أي : هَذا الَّذي سَنَقُصُّهُ عَلَيْكَ ونُفَصِّلُهُ إِخْبارٌ عَنْ رِعايَةِ اللهِ وإكْرامِهِ وإجابَةِ دُعاءِ عَبْدِهِ ونَبِيِّهِ زَكَرِيّا الدَّالَّةِ على رَحْمَتِهِ إيّاهُ .

﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ ﴾

أيْ إنَّ رَحْمَةَ اللهِ أحاطتْ بعبدِهِ زَكَريّا ، حينَ دَعا ربَّهُ دُعاءً مَسْتوراً عنِ النَّاسِ ، وإنَّما أخْفى نَبيُّ اللهِ زَكَريّا عَلَيْهِ السّلامُ دُعاءَهُ ، وأَسَرَّ بِهِ ، وهُوَ يَتَضَرَّعُ إلى رَبِّهِ ، لأنَّ الإسْرارَ بالدُّعاءِ أَقْرَبُ إلى الإخْلاصِ ، وأبْعَدُ عَنِ الرِّياءِ ، ولِئَلاَّ يَلومَهُ أَحَدٌ مِنَ النّاسِ على طَلَبِ الوَلَدِ بَعْدَ الكِبَرِ .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ ﴾

قالَ زَكَريّا في دُعائِهِ مُنادِياً رَبَّهُ ، ومُبَيِّناً ما طَرَأَ لَهُ بِسَببِ تَقَدُّمِ سِنِّهِ مِنْ ضَعْفِ العِظامِ الّتي هِيَ عِمادُ الجِسْمِ ، وأَشَدُّ أعْضائِهِ صَلابَةً ، فإذا أَصابَها الضَعْفُ كانَ ما سِواها أضْعَفَ ، و ممّا قَدَّمَ بِهِ لِدُعائِهِ لإِظْهارِ ضَعْفِهِ ، ذِكْرُهُ انْتشارَ الشَيْبِ في رَأْسِهِ كانْتِشارِ النّارِ في الهَشيمِ . وفي هذا التَّعْبيرِ اسْتِعارةٌ بَليغَةٌ ، فَقَدْ شَبَّهَ انْتِشارَ الشَّيْبِ وكَثْرَتَهُ باشْتِعالِ النّارِ في الحَطَبِ ، وأَسْنَدَ الفِعْلَ إلى الرَّأْسِ الّذي هُوَ مَحَلُّ انْتشارِ الشَّيْبِ لِلْمُبالَغَةِ .

﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ : وقَدْ كُنْتُ فيما مَضى مُسْتَجابَ الدَّعْوةِ ، كُلَّما دَعَوْتُكَ أَجَبْتَني ؛ فَلَمْ تُخيِّبْ دُعائي في وَقْتٍ مِنَ الأَوْقاتِ ، بَلْ عَوَّدْتَني الإحْسانَ والجَميلَ ، فاسْتَجِبْ دُعائي هَذا كَما كُنْتَ تَسْتَجيبُهُ فيما مَضَى .

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ ﴾

هذا مِنْ تَتِمَّةِ الدُّعاءِ ، أرادَ بِهِ تَبْيينَ شِدَّةِ الحاجَةِ إلى الوَلَدِ ، فيَقولُ : وإنِّي خَشيتُ مِنْ أَقاربي الَّذينَ يَلُونَ الأَمْرَ بَعْدَ مَوْتي أنْ لا يُحْسِنوا خِلافَتي ، ولا يَقوموا مَقامي في الدَّعْوَةِ إلى دينِكَ كَما كُنْتُ أَفْعَلُ . ومِمَّا أَطْمَعَهُم في خِلافَتي أنَّ امْرَأَتي عاقِرٌ لا تَلِدُ ، فاسْتَجِبْ دُعائي وامْنَحْني مِنْ عَطْفِكَ وكَرَمِكَ وَلَداً صالِحاً .

﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾

يَكونُ وارِثاً لي ولأَجْدادِهِ مِنْ أَبْناءِ يَعقوبَ في النُّبُوَّةِ والعِلْمِ ، ويَقودُ بني إسْرائيلَ بالعَدْلِ ، وَيكونُ مَرْضِيّاً عِنْدَكَ وعِنْدَ خَلْقِكَ ، فالمُرادُ بالوِراثَةِ النُّبُوَّةُ والدِّينُ لا المالُ وعَرَضُ الدُّنيا .

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ ﴾

اسْتَجابَ اللهُ دُعاءَ نَبيِّهِ زكريّا ـ عَلَيْهِ السَّلامَ ـ الّذي أَحْسَنَ في دُعائِهِ ، حينَ قَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ إظْهارَ ضَعْفِهِ وحاجَتَهُ ، وأنّ اللهَ تَعالى لَمْ يَرُدَّ دُعاءً لَهُ مِنْ قَبْلُ ، وأنّ في هذا الدُّعاءِ مَصْلَحةً لِلدِّينِ ، فاسْتَجابَ اللهُ لَهُ وبَشَّرَهُ بأنَّهُ سَيَرْزُقُهُ وَلَداً يُسَمِّيهِ اسْما لَمْ يَسْبِقْ لأحَدٍ أنْ تَسَمّى بِهِ مِنْ قَبْلِهِ وهو : يحيى ، عَلَيْهِ السَّلامُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ مِنْ إكرامِ اللهِ لِرُسُلِهِ وَأَنْبيائِهِ ورَحْمَتِهِ لَهُمْ التَّنْويهُ بِهِمْ وذِكْرُ أَخْبارِهِمْ في هذا القُرْآنِ العَظيمِ ، ومِنْ ذَلِكَ ما قَصَّهُ عَلينا مِنْ خَبَرِ زَكريّا عَلَيْهِ السَّلامُ .

٢ـ إخْفاءُ الدُّعاءِ والتَّذَلُّلُ للهِ تعالى أَفْضَلُ مِنْ إظْهارِهِ ، وأَقْرَبُ للإخْلاصِ .

٣ـ اسْتِحْبابُ أن يُظْهِرَ الدّاعي قَبْلَ دُعائِهِ حاجَتَهُ وضَعْفَهُ .

٤ـ الحِرْصُ على الدِّينِ ، وَعلى أنْ يَلِيَ أَمْرَ النّاسِ مَنْ يَعْدِلُ بَيْنَهُم ، وَيقومُ بِحَقِّ اللهِ تَعالى فيهِمْ .

٥ـ فَضْلُ يَحيى عَلَيْهِ السَّلامُ ، بأنْ سَمّاهُ اللهُ تعالى باسْمٍ لم يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا افْتَتَحَ اللهُ عَدداً مِنْ سُوَرِ القُرْآنِ الكَريمِ بالحُروفِ المُقَطّعَةِ ؟

٢ـ اذْكُرْ مَزايا إخْفاءِ الدُّعاءِ عَنِ النّاس .

٣ـ بيِّنِ البَلاغةَ في قَوْلِهِ تعالى : ﴿واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً﴾ .

٤ـ ماذا قَدّمَ زَكريّا ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ قَبْلَ دُعائِه ؟ وما فائِدَةُ ذَلِكَ ؟

٥ـ بيِّنْ مَعْنى ما يلي : وَهَنَ العَظْمُ ، وَليّاً ، سَمِيّاً .

٦ـ جاءَ في الآياتِ ما يَدُلُّ على حِرْصِ زَكريّا عَليْهِ السّلامُ على الدَّعْوَةِ إلى اللهِ . وضِّحْ ذلكَ مَعَ ذِكْرِ الدّليل .

نَشاطٌ :

- أمَرَنا رَسولَ اللهِ ﷺ أَنْ نَجْزِمَ في الدُّعاءِ . اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً يَدُلُّ على ذَلِكَ .

* * *

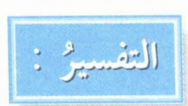
الدَّرسُ الحادي والعِشْرونَ

سورةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ الثّاني

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَنّى يَكونُ	كَيْفَ يَكونُ .
عِتِيّاً	غايةَ الكِبَرِ والشَّيْخوخةِ .
سَوِيّاً	سَليماً لا عِلَّةَ بكَ مِنْ خَرَسٍ أو مَرَضٍ .
المِحْراب	مَكانِ العِبادَةِ .
فأَوْحى إليْهِمْ	أَشارَ إليْهِمْ .
بُكْرَةً وعَشِيّاً	أَوَّلَ النَّهارِ وآخِرَهُ .
حَناناً	رَحْمَةً وعَطْفاً .
جَبّاراً عَصِيّاً	مُتَكَبِّراً مُخالِفاً لِربِّهِ .



التفسير :

لَمَّا أخْبَرَ اللهُ زَكريّا أنّهُ أجابَ دُعاءَهُ وَقَبِلَ رجاءَهُ ، وأنّهُ سَيَهَبُهُ وَلَداً لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً ، كانَ ذلِكَ لِزكريّا عَجَباً .

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ ﴾

قالَ زَكريّا عليْهِ السَّلامُ : يا ربِّ كَيْفَ يَكونُ لي وَلَدٌ ، وامْرَأَتي عاقِرٌ لا تَلِدُ ، وأنا قَدْ كَبِرْتُ ، وبَلَغْتُ في الشَّيْخوخةِ نِهايةَ العُمْرِ ، والإنسانُ في هذهِ الحالْ يَتَأَتّى منه الإنجابُ .

وهذا السُّؤالُ مِنْ زكريّا لَيْسَ اسْتبعاداً لِقُدْرَةِ اللهِ ، وكَيْفَ يَسْتَبعِدُهُ وهُوَ قد دعا بِهِ ، ولَكنَّهُ أرادَ أنْ يَطْمَئِنَّ ويَعْرِفَ الوَسيلةَ التي سَيُرْزَقُ بها هذا الغلامَ .

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ ﴾

قالَ اللهُ تعالى لِزكريّا : الأَمْرُ كما بَشَّرْتُكَ بِهِ ، وإنَّ إيجادَ الوَلَدِ مِنْكَ ومِنْ زَوجَتِكَ سَهْلٌ يَسيرٌ عَليَّ ، فَكما خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ ، ولمْ تكنْ شَيْئاً مَذْكوراً ، فأنا قادرٌ على تَحْقيقِ ما بَشَّرْتُكَ بِهِ ، وإنْ كانَ في العادَةِ مُسْتَحيلاً وغَيْرَ مألوفٍ ، والتَّعْبيرُ عَنْ هذا الأمْرِ بأنَّهُ هَيِّنٌ بالنِّسْبَةِ إلى مِقْياسِ النَّاسِ ، وَإلاَّ فَلَيْسَ في الخَلْقِ هَيِّنٌ وصَعْبٌ على اللهِ تعالى .

وَفي الآيةِ الْتِفاتٌ مِنَ الغَيْبةِ إلى التَّكَلُّمِ ، وذلكَ في قولِهِ ﴿قالَ ربُّكَ هُوَ عليَّ هَيِّنٌ﴾ لِئلاّ يُظَنَّ خُصوصيَّةُ كونِهِ هَيِّناً على اللهِ بهذهِ الحالةِ .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ ﴾

طَلَبَ زَكريّا عَلامةً تَدُلُّ على تَحْقيقِ ما وُعِدَ بِهِ ، لِتَطْمَئِنَّ نَفْسُهُ ، فأَخْبَرَهُ اللهُ أنَّ عَلامةَ ذلِكَ أنْ يَحْبِسَ لِسانَهُ عَنِ الكَلامِ مَعَ الآخَرينَ ثلاثَ ليالٍ مُتواليةً مَعَ أيّامِها ، مِنْ غَيْرِ عِلّةٍ أوْ خَرَسٍ .

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾ ﴾

فَخَرَجَ زَكريّا مِنَ المَكانِ الّذي كانَ يَتعبّدُ فيهِ ، وأَشارَ إلى قَوْمِهِ أنْ سَبِّحوا اللهَ تعالى ، واذْكُروهُ في أوّلِ النَّهارِ وآخِرِه .

﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ ﴾

يُلاحَظُ ما في الكَلامِ مِنْ حَذفٍ دَلَّ عليهِ ما ذُكِرَ ، أي فَوُلِدَ يَحيى ، وبَلَغَ السِّنَّ الَّذي يُؤْمَرُ فيهِ ،

وقالَ اللهُ لَهُ : يا يَحيى خُذِ التَّوْراةَ بِجدٍّ وَحَزْمٍ ، ولِكَيْ يكونَ كَذلِكَ ، فَقَدْ رَزَقَهُ اللهُ الحِكْمَةَ ، والفِقْهَ في الدِّينِ ، والاجتهادَ في الخَيْرِ ، وهُوَ ما يزالُ صَبِيّاً صَغيراً لَمْ يَبْلُغْ سِنَّ الرُّشْدِ .

﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ ﴾

ورزَقَهُ اللهُ رَحْمَةً وشَفَقَةً على النّاسِ وعَطْفاً عَلَيْهِم ، ورزَقَهُ بَرَكَةً عظيمةً ، وجَعَلَهُ طائِعاً لَهُ مُجْتَنِباً المعاصيَ وما يُغْضِبُ اللهَ ، فلمْ يَقَعْ في مَعْصيةٍ بَلْ لَمْ يَهِمَّ بِفِعْلِ مَعْصِيَةٍ قطُّ .

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾

ورزَقَ اللهُ يَحيى البِرَّ بِوالديْهِ ، فَكانَ طائِعاً لَهُما مُحْسِناً إليْهِما ، ولمْ يَكُنْ مُتَكَبِّراً مُخالِفاً لأَمْرِ اللهِ أوْ لأَمْرِ والديْهِ .

﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ .

وسَلامٌ وأمانٌ لِيَحْيى مِنَ اللهِ مِنْ حينِ مَوْلِدِهِ إلى وَقْتِ مَوْتِهِ ثُمَّ مَبْعَثِهِ . وخُصَّتْ هذهِ الأوْقاتُ الثلاثَةُ بالذِّكْرِ لأنَّ الإنسانَ فيها يكونُ في غايةِ الضَّعْفِ والحاجةِ إلى اللهِ ، فأمَّنَ اللهُ تعالى فيها يَحْيى مِنَ الوَحْشَةِ والأهْوالِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ قُدْرَةُ اللهِ على جَعْلِ المَرْأَةِ تَلِدُ بَعْدَ أنْ كانَتْ عاقِرا لا تُنْجِبُ .

٢ـ لا حَرَجَ في طَلَبِ مَعْرِفةِ كيفيَّةِ حُصولِ الفِعْلِ للاطْمِئْنانِ .

٣ـ وُجوبُ أَخْذِ شَرْعِ اللهِ والعَمَلِ بِهِ بجدٍّ وحَزْمٍ .

٤ـ وُجوبُ بِرِّ الوالدينِ وطاعَتِهما والحَنانِ عَلَيْهِما .

٥ـ ذِكْرُ الصِّفاتِ العالِيَةِ الّتي طُبِعَ عَلَيْها نَبيُّهُ يَحيى عَلَيْهِ السَّلامُ .



أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا طَلَبَ زَكريّا آيةً على حُصولِ ما بَشّرَهُ اللهُ بِهِ ؟

٢ـ اذْكُرْ خَمْساً مِنْ صِفاتِ يَحْيى عَليْهِ السّلامُ المَذْكورةِ في الآياتِ .

٣ـ لِمَ خُصَّتِ الأَوْقاتُ الثّلاثةُ (الوِلادةُ ـ المَوْتُ ـ البَعْثُ) بِحُصولِ الأَمانِ والسَّلامِ فيها مِنَ اللهِ تعالى لِيَحْيى عَليْهِ السّلامُ ؟

٤ـ صِلْ بينَ كلِّ لفظٍ ومَعناهُ ممّا يلي :

وَحَناناً مِنْ لَدُنّا	بَرَكَةً عظيمةً
زكاةً	مُحْسِناً لوالِدَيْهِ
وكانَ تَقيّاً	رَحْمةً وَعَطْفاً
وبَرّا بوالديْهِ	طائِعاً للهِ مجتنباً لِمَعاصيهِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبِ الآيةَ الدّالّةَ على أنَّ اللهَ إذا أَرادَ شَيْئاً قالَ لَهُ كُنْ فيكونُ .

٢ـ ارْجِعْ إلى المُصْحَفِ ، واقْرَأ الآيَةَ الحاديةَ والأَرْبعينَ مِنْ سورَةِ آلِ عِمْرانَ ، وَوازِنْ بَيْنَ أَلفاظِها وأَلفاظِ الآيةِ (١٠) مِنْ هذهِ السّورَةِ ، واكْتُبْها في دَفْتَرِكَ .

٣ـ ارْجِعْ إلى كِتابٍ في قَصَصِ الأَنْبياءِ ، واقْرَأْ مِنهُ قِصّةَ وَفاةِ يحيى عَليْهِ السّلامُ . واسْتَخْرِجِ العِبْرَةَ مِنْها .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّاني والعِشْرونَ

سورةُ مَرْيَمَ - القِسْمُ الثَّالِثُ

وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

انْتَبَذَتْ	اعْتَزَلَتْ وانْفَرَدَتْ .
حِجاباً	سِتْراً .
روحَنا	جِبْريلَ عليهِ السَّلامُ .
سَوِيّاً	كامِلَ البُنْيَةِ .
زَكِيّاً	طاهِراً مِنَ الذُّنوبِ .
ولَمْ يَمْسَسْني بَشَرٌ	وَلَمْ أتزوَّجْ .
بغيّاً	فاجِرَةً .

التفسيرُ :

القِصَّةُ الثانيةُ في سورةِ مَرْيَمَ هِيَ قِصَّةُ وِلادةِ المَسيحِ عيسى ابنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾

هذا شُروعٌ في قِصَّةِ مَرْيَمَ وابنِها عيسى عَلَيْهِما السَّلامُ ، بَعْدَ انتهاءِ قِصَّةِ زَكَرِيّا وابنِهِ يَحْيى علَيْهِما السَّلامُ . وبَيْنَ القِصَّتينِ تَشابُهٌ كَبيرٌ ، وإنْ كانَتْ هذهِ أغْرَبَ وأعْجَبَ .

والخِطابُ لِلنَّبيِّ ﷺ أنْ يَذْكُرَ لِلنّاسِ قِصَّةَ مَرْيَمَ كما وردَتْ في القُرْآنِ الكَريمِ . وتَبْدَأُ القِصَّةُ باعْتِزالِ مَرْيَمَ قَوْمَها إلى مَكانٍ يَقَعُ في الجِهَةِ الشَّرْقيَّةِ مِنَ البَلْدَةِ ، بِقَصْدِ الابتعادِ عنهُمْ لِلتفرُّغِ لِلْعِبادَةِ دُونَ أنْ يُشْغِلَها أحَدٌ .

﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ ﴾

جَعلَتْ مَرْيَمُ بَيْنَها وبَيْنَ النّاسِ سِتْرا وحاجِزاً ، وبَيْنَما هِيَ في خَلْوَتِها أَتاها جِبْريلُ عليْهِ السَّلامُ بِصورَةِ رَجُلٍ تامِّ الخِلْقَةِ جَميلِ الصُّورَةِ ، وذَلِكَ لِتأْنَسَ بكلامِهِ ولا تَفْزَعُ مِنْهُ لَوْ ظَهَرَ لها بِصورَتِهِ المَلَكِيَّةِ ، وكانَ جِبْريلُ ـ عَليْهِ السّلامُ ـ إذا تَمثَّلَ بِصورَةِ بَشَرٍ يَتَمثَّلُ بِصورة حَسَنَةٍ جَميلةٍ ، كما ثَبَتَ في السِّيرةِ النَّبويةِ .

وأَضافَ سُبْحانَهُ الرُّوحَ إليهِ في قَوْلِهِ (روحَنا) لِلتَّشْريفِ ، وسُمِّيَ جِبْريلُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ روحاً لأنَّ الدِّين يَحْيا بِوَحْيِهِ .

﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ .

لَمّا ظَهَرَ لها جِبْريلُ ـ عَليْهِ السَّلامُ ـ بِهَيئَةِ رَجُلٍ ، وهِيَ في مَكانٍ مُنْعَزِلٍ عَنْ قَوْمِها ، وبَيْنَها وبَيْنَهم حِجابٌ ، خافَتْ مِنْهُ وخَشِيَتْ أنَ يَكونَ يُريدُ بها سُوءاً ، فاسْتعاذَتْ باللهِ تَعالى مِنْهُ أنْ يَحْفَظَها بِرَحْمَتِهِ ، ولِذا ذَكَرَتِ اسْمَهُ تَعالى الرَّحْمنَ ، وذَكَّرتْ هذا الآتي بِتَقوى اللهِ ، وأخْبَرَتْهُ بالْتِجائِها إلى الرَّحْمنِ سُبْحانَهُ ، فإنْ كانَ تَقياً تَرَكَها وشَأْنَها ، ولَمْ يَمَسَّها بِسُوءٍ ، فَجَوابُ الشَّرْطِ مَحذوفٌ ، والتَّقْديرُ : إنْ كُنْتَ تَتَّقي اللهَ فلا تُؤْذِني .

﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾

قالتْ مَرْيَمُ : كَيْفَ يكونُ لي غُلامٌ ، وعلى أيِّ صِفَةٍ يُوجَدُ هذا الغُلامُ مِنِّي ، ولَسْتُ مُتَزوِّجَةً ولا زانيةً ، ولا يَكونُ الوَلَدُ إلاّ مِنْ إحدى هاتَيْنِ الطّريقَتيْنِ .

والبَغِيُّ المَرأَةُ الفاجِرَةُ يَبْغيها ، أيْ يَطْلُبُها الرِّجالُ لِلْفاحِشَةِ .

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ .

قالَ جِبْريلُ عَليْهِ السّلامُ مُجيباً مَرْيَمَ ، ومُزيلاً دَهْشَتَها وعَجَبَها : الأَمْرُ كما قالَ ربُّكِ ، أنّكِ

سَتَحملينَ بهذا الوَلَدِ مِنْ دونِ أنْ يَمَسَّكِ بَشَرٌ ، وهُوَ أَمْرٌ هَيِّنٌ ويَسيرٌ على اللهِ ، وإنْ كانَ مُسْتَحيلاً في عُرْفِ النّاسِ ومَألوفِهِم ، وفي إيجادِ الغُلامِ بهذهِ الطّريقةِ آيةٌ عَظيمةٌ تَدُلُّ على قُدْرَةِ اللهِ سُبحانَهُ ، فإنّهُ خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ ولا أُمّ ، وخَلَقَ عيسى مِنْ أمٍّ دونَ أبٍ ، وفي هذا وذاكَ دَليلٌ واضِحٌ على عَظَمتهِ سُبحانَهُ ، كما أنَّ في خَلْقِ النّاسِ مِنْ ذَكَرٍ وأنثى آيةً عَظيمةً على قُدْرَةِ اللهِ تعالى وحِكْمَتهِ .

﴿ورحمةً منّا﴾ لِلْبَشرِ ، لِمَنْ يَهْتَدي مِنْهُم بهدْيِهِ ، ويَتّبِعُ دينَهُ الحَقَّ المُرْسَلَ بهِ منَ اللهِ ، وهذا أمْرٌ مَفْروغٌ مِنْهُ ، لا بدَّ مِنْ جَرَيانِهِ وحُصولِهِ ؛ لِتَقْديرِ اللهِ تَعالى إيّاهُ ؛ فَكُلُّ ما قدّرَهُ اللهُ تعالى سَيكونُ ولا رادَّ لِقضائِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ قُدْرَةُ المَلائكةِ على التَّشَكُّلِ بِصورَةِ بَشَرٍ بِإِذْنِ اللهِ تعالى .

٢ـ فَضْلُ مَرْيَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْها .

٣ـ لَيْسَ كُلُّ مَنْ جاءَه المَلائكَةُ فَهُو نبيٌّ ، فَقَدْ جاء جِبْريلُ مَرْيَمَ ولَيْسَتْ نَبيّةً .

٤ـ الإيمانُ باللهِ ، وحُسْنُ عِبادَتِهِ يُوصِلان إلى العِفَّةِ والحَياءِ .

٥ـ مَشْروعيةُ الاسْتِعاذَةِ باللهِ مِمّا يُخافُ مِنْهُ .

٤ـ التَّقْوى تَرْدعُ عَنْ إيذاءِ الآخَرينَ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا ابْتعدتْ مَرْيَمُ عَنْ قَوْمِها ؟

٢ـ لِماذا فَزِعَتْ مَرْيَمُ عِنْدَما رَأَتْ جِبْريلَ عَليْهِ السَّلامُ ؟

٣ـ ماذا قالَ جِبْريلُ ـ عَليْه السَّلامُ ـ لِمَرْيَمَ لِيُطَمْئِنَها ويُزيلَ خَوْفَها ؟

٤ـ لماذا اسْتَغْرَبَتْ مَرْيَمُ مِمّا بَشَّرَها بهِ جِبْريلُ عَليْهِ السَّلامُ ؟

٥ـ اذْكُرْ بِلُغَتِكَ الحِوارَ الّذي دارَ بَيْنَ مَرْيَمَ عَليْها السَّلامُ وجِبْريلَ عَليْهِ السَّلامَ .



١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ مِنْ سورةِ آلِ عِمْرانَ الدّالَّةَ على صَلاحِ مَرْيَمَ عَلَيْها السَّلامُ .

٢ـ ارْجِعْ إلى كتابِ السِّيرةِ النَّبويّةِ لابنِ كَثيرٍ ، واسْتَخْرِجْ مِنْهُ حادِثَةً تَمَثَّلَ فيها جِبْريلُ ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ بِصورةِ رَجُلٍ حَسَنِ المَنْظَرِ ، وَدَوِّنْها في دفتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّالِثُ والعِشْرونَ

سورةُ مَرْيمَ - القِسْمُ الرَّابِعُ

۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **قَصِيّاً** : بَعيداً .
- **فَأَجاءَها** : أَلْجَأَها .
- **المَخاضُ** : آلامُ الوِلادَةِ وبِدايتُها .
- **نَسْياً مَنْسيّاً** : شَيْئاً حَقيراً مَتْروكاً .
- **سَرِيّاً** : جَدْوَلَ ماءٍ .
- **جَنِيّاً** : غَضّاً طَرِيّاً .
- **وَقَرّي عَيْناً** : طِيبي نَفْساً ولا تَحْزَني .
- **فَرِيّاً** : مُنْكَراً عَظيماً .
- **المَهْدِ** : الفِراشِ الّذي يُهيّأُ للصّبيِّ .



ذَكَرَتْ آياتُ الدّرْسِ السّابقِ بِشارةَ جِبْريلَ لِمَريمَ عَليْهما السَّلامُ . وَفي هَذهِ الآياتِ تَتِمَّةُ أمْرِ حَمْلِها وولادَتِها . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴾

في الكلام مَحذوفٌ مَفْهومٌ مِنَ السِّياقِ ، وهُوَ أنّ جِبْريلَ ـ عَليْهِ السّلامُ ـ نَفَخَ في جَيْبِ دِرْعِها أيْ : فَتْحَةِ ثَوْبِها فَدَخَلَتِ النَّفْخَةُ إلى جَوْفِها فَحَمَلَتْ بِعيسى ، ولمّا شَعَرَتْ بالحَمْلِ ، وقَرُبَ مَوْعِدُ الوِلادَةِ ابْتَعدتْ عَنْ قَوْمِها حتَّى لا يُعيِّرَها أَحَدٌ .

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾

أَلْجأَها أَلَمُ الوِلادَةِ ، وبِدايةُ الوَضْعِ إلى أَنْ تَسْتَنِدَ إلى جِذْعِ نَخْلَةٍ ، وتَمَنَّتْ ـ في هذه الحالِ ـ أنْ تَكونَ قَدْ ماتَتْ قَبْلَ أنْ تَرى هذا الشَّيْءَ ، وأنّها لَمْ تكنْ شَيْئاً يُذْكَرُ ، خَشْيَةَ ما سَيقولُهُ النّاسُ فيها ، ويَتَّهِمونَها بِهِ مِنْ زِنىً وفُجور ، وهِيَ المَعْروفَةُ بَيْنَهم بِعبادَتِها وتَقْواها .

﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ ﴾

فَناداها ابْنُها الَّذي لَمْ يُولَدْ إلاّ مِنْ لَحَظاتٍ مُثَبِّتاً إيّاها ، مُزيلاً هَمَّها ، داعِيا إيّاها أَنْ تُفكِّرَ بما سَيقولُهُ النّاسُ ، ولَفَتَ نَظَرَها إلى أنَّ اللهَ قَدْ أَجْرى لَها مِنْ تَحْتِها جَدْولاً مِنَ الماءِ ، آيةً باهِرَةً وكَرامةً لها .

﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ ﴾

وطَلَبَ مِنْها أنْ تَهُزَّ جِذْعَ النَّخْلَةِ ، فَفَعَلَتْ فَتَساقَطَ عَلَيْها تَمْرٌ ناضِجٌ وَرُطَبٌ شَهِيٌّ ، والرُّطَبُ مِنْ أَحْسَنِ أنْواعِ الطّعامِ لِلْمَرْأَةِ النُّفَساءِ الحَديثةِ الوِلادَةِ . وكانَ سُقوطُ الرُّطَبِ عَلَيْها آيةً أُخْرى ؛ فَقَدْ ذَكَرَ المُفسِّرونَ أَنَّ النَخْلَةَ كانَتْ يابِسَةً غَيْرَ مُثْمِرَةٍ قَبْلَ أنْ تَهُزَّها ، وأنَّ الوَقْتَ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ رُطَبٍ ناضِجٍ جَنِيٍّ ، وكلُّ هذا لِتَسْكينِ نَفْسِها ، وإذْهابِ ما عَرَضَ لها مِنْ ضيقٍ ، وتَخْفيفِ آلامِ الوِلادَةِ عَنْها .

﴿ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ .

فَكُلي مِنَ الرُّطَبِ واشْرَبي مِنْ ماءِ الجَدْولِ ، واهْنَئي ، وطيبي نَفْساً ، وإذا رَأَيْتِ أحداً أيّاً كانَ مِنَ البَشَرِ ، فَقولي لَهُ ﴿إنّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمنِ صَوْماً﴾ عَنِ الكلامِ . والصَّوْمُ في اللُّغَةِ هُوَ الامْتِناعُ عَنِ

الشَّيْء طَعاما أوْ كَلاماً أوْ غَيْرِهما ، ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إنْسِيّا﴾ أُمِرَتْ أنْ تُفْهِمَ مَنْ تراهُ مَعنى هذا القَوْلِ بالإِشارَةِ لا بالكَلام ، وعَدمُ كلامِها تَخَلُّصٌ مِنْ مُجادلَةِ السُّفَهاءِ ، واكْتِفاءٌ بكلامِ وَليدِها نِيابةَ عَنْها ، فَيَكونُ ذلِكَ آيةً باهِرَةً .

وقَدْ أَلْقى كَلامُ وَليدِها في نَفْسِها الهُدوءَ والطُّمَأْنينةَ ، فَقدِ اسْتَيْقَنَتْ أنَّ اللهَ سَيَدْفَعُ بهِ عَنْها كُلَّ ما يُمْكِنُ أنْ تُواجِهَهُ مِنْ صِعابٍ ، وكذلكَ كانَ .

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ ﴾

بَعْدَ أنِ اطْمَأَنَّتْ مَرْيَمُ لِما رأتْ مِنْ آياتٍ ، وعَلِمتْ أنَّ اللهَ سَيُدافِعُ عَنْها ، رجعَتْ إلى قَوْمِها حامِلَةً ابْنَها الوليدَ على يَدِها ، قادِمَةً مِنَ المَكانِ القَصيِّ الّذي كانتْ فيهِ ، فلمّا رأَوْها قالوا لَها : لَقَدْ فَعَلْتِ أَمْراً مُنْكراً عَظيماً ، وزادوا تَوْبيخَهُمْ لها بقَوْلِهِمْ :

﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾

أيْ يا شَبيهةَ هارونَ في الصّلاحِ والتَّقْوى ، وهُوَ رَجُلٌ صالِحٌ مِنْ قَوْمِها كانتْ تُشبَّهُ بهِ في صلاحِهِ ، كَيْفَ تَأْتينَ هذا الأَمْرَ المُنْكَرَ العَظيمَ ، وأَنْتِ المَعْروفةُ بالتَّقْوى كما عُرِفَ بها هارونُ ، وأنتِ ابنةُ أبوينِ صالِحيْنِ ؛ فأبوكِ لَمْ يُعرفْ عَنْهُ سُوءٌ ، ولَمْ يَتَّصِفْ بِشَرٍّ أوْ فَسادٍ ، وأُمُّكِ لم تَكُنْ امْرَأَةً فاجِرَةً مُنْحَرِفةً . فَأَنْتِ مِنْ بيئةٍ صالِحة طيِّبة . فإتيانُ المُنْكرِ مِنْكِ أفْظَعُ وأشَدُّ ؟

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ ﴾

لَمْ تُجِبْهُمْ مَعَ عَظيمِ حاجَتِها إلى رَدِّ كلامِهِمْ ، وتَبيينِ حَقيقةِ أمْرِها ، الْتِزاما مِنْها بما أُمِرَتْ بهِ مِنْ عَدَمِ الكَلامِ ، وأشارَتْ إلى ابنِها الطِّفْلِ عيسى ـ عليهِ السَّلامُ لِيسأَلوهُ ـ فاسْتَغْربوا مِنْها ، فقالوا : كَيْفَ نُكَلِّمُهُ ، ولَمْ نَعْهَدْ صَبيّاً تَكلَّمَ في مَهْدِهِ ، وظَنّوا أنّها تَسْخَرُ مِنْهُمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ المُسْلِمُ الصّالِحُ يَرى أنَّ المَوْتَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ أنْ يَشْتَهِرَ بَيْنَ النّاسِ بِمَعْصِيةٍ ، لأنَّ ارتِكابَ المَعْصِيةِ مِنْه أَشَدُّ سُوءاً مِنْ غيرِهِ .

٢ـ في عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ آياتٌ عِظامٌ حَيْثُ حَمَلَتْ بهِ أُمُّهُ مِنْ غَيرِ أَبٍ ، وكَلَّمَ النّاسَ وهُوَ في المَهْدِ صَبِيّاً .

٣ـ كانَتْ مَرْيَمُ امْرَأَةً صالِحَةً تَقِيَّةً ، فَحَفِظَها وَرَعاها وَبَرّأَ ساحَتَها .

٤ـ إثباتُ كراماتِ الأوْلياءِ حيْثُ أجْرى اللهُ لِمَرْيَمَ عَيْنَ ماءٍ تَشْرَبُ مِنْها ، وأسْقَطتِ النَّخْلَةُ اليابسةُ عليْها الرُّطب الجنّي .

٥ـ إنَّ الله تعالى يصْنَعُ لِعبادِهِ الصّالِحين مِنَ الكَراماتِ ما يُثَبِّتُهُمْ على الحقِّ ، ويُنْسيهِمُ الحُزْنَ .

٦ـ الالْتِزامُ بأمْرِ اللهِ مِفْتاحٌ لِلْفَرَجِ وذهابِ الضُّرِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا تَمنَّتْ مَرْيَمُ المَوْتَ ؟

٢ـ مَنِ الّذي نادى مَرْيَمَ ؟ وبماذا بَشّرها ؟

٣ـ ما الأمورُ الخارِقَةُ الّتي حَصلَتْ معَ مَرْيَم حينَ ولادَتِها ؟ وما فائِدَتُها ؟

٤ـ مَنْ هارونُ المَقْصودُ في الآيةِ ؟ وهَلْ مَرْيَمُ أُخْتُهُ حَقيقةً ؟

٥ـ ما فائِدَةُ ذِكْرِ صَلاحِ أمِّ مَرْيَمَ وأبيها في مَقامِ تَوْبيخِها ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آياتِ سورةِ (التّحريم) التي تَحدّثتْ عنْ مَرْيمَ عَلَيْها السَّلامُ .

٢ـ ارْجِعْ إلى كِتاب في الأغْذِيةِ والنَّباتاتِ ، واسْتَخْرِجْ مِنهُ فَوائِدَ الرُّطَبِ ومَزاياهُ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الرَّابعُ والعِشرونَ

سورةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ الخامِسُ

قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

جَبّاراً شقيّاً : مُتكبِّراً بعيداً عَنِ الخيْرِ .

يَمْتَرونَ : يَخْتَلِفونَ .

سُبْحانَهُ : تَنْزيهاً للهِ تعالى عَنِ النَّقائِصِ .

الأحْزابُ : الحِزْبُ : الفِرْقَةُ المُنْفَرِدَةُ بِرَأْيِها عَنْ غيرِها .

نَرِثُ الأَرْضَ : ننفردُ بِملكيَّتِها حَيْثُ لا يَمْلِكُها أَحَدٌ .

التفسيرُ :

وتَمْضي الآياتُ في بَيانِ حَقيقةِ عيسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَبْدِ اللهِ ورَسولِهِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ .

أَنْطَقَ اللهُ تعالى عيسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَهُوَ طِفْلٌ في المَهْدِ فَقالَ : ﴿إنّي عَبْدُ اللهِ﴾ فكانَ أَوَّلَ

ما خاطَبَ بهِ النَّاسَ الاعترافُ بِعُبودِيّتِهِ للهِ تَعالى ، وتَقْديمُهُ على غَيْرِهِ لإبطالِ زَعْمِ ربوبيّتِهِ ، ثُمَّ بَيَّنَ أنَّ اللهَ قَدَّرَ لَهُ أنَّهُ سَيكونُ نَبيّاً ، وأنَّهُ سيُنزِّلُ عليْهِ كِتاباً هُو الإنجيلُ ، وَعَبَّرَ عَنِ المُسْتَقْبَلِ بالماضي لإفادَةِ تَحقُّقِهِ . وهَكذا بَرّأَ اللهُ تعالى مَرْيَم مِمَّا اتُّهِمَتْ بهِ ، على لِسانِ وَلَدِها عيسى عَبْدِ اللهِ ورسولِهِ عَليْهِ السَّلامُ .

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) ﴾

أي : وَجَعلَ فيَّ البَرَكةَ والخَيْرَ والنَّفْعَ لِلْعِبادِ أيْنَما كُنْتُ ، وأَمَرَني بأداءِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ ما دُمْتُ حيّاً في هذهِ الدُّنْيا ، وخُصَّتِ الصَّلاةُ والزَّكاةُ بالذِّكرِ لأهميّتِهِما .

﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) ﴾

وجَعَلني بارّاً بوالِدَتي مُحْسِناً لَها ، ولمْ يَجْعَلْني مُتكَبِّراً على أَحَدٍ ، ولا بَعيداً عَنِ الخَيْرِ . وخَصَّ البرَّ بِوالِدَتِهِ لأنَّهُ لا أَبَ لَهُ يَبَرُّهُ . وفي هَذهِ العِبارَةِ مِنْهُ تَبْرِئَةٌ لأُمِّهِ ، وتَأْكيدٌ لِطهارَتِها وعَدَمِ ارْتِكابِها الفاحِشَةَ ، كما أنَّ في عِباراتِهِ السَّابِقَةِ ما يُشيرُ إلى ذَلِكَ ، فاللهُ تَعالى لا يَصْطَفي نَبيّاً ، ويُنَزِّلُ عَليْهِ كِتاباً ، وهُوَ مَطْعونٌ في نَسَبِهِ ، وغَيْرُ مُعْتَرَفٍ بهِ في قَوْمِهِ .

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ﴾

وخصَّني اللهُ تعالى بالسَّلامِ والسَّلامَةِ ، والأَمْنِ في يَوْمِ وِلادتي ، وفي يَوْمِ مَماتي ، ويَوْمِ خُروجي حَيّاً مِنْ قَبْري يَوْمَ القيامَةِ .

وفي كلامِ عيسى ـ عَليهِ السَّلامُ في مَهْدِهِ ـ إعْلانُ عُبوديّتِهِ للهِ ، ونَفْيُ كَوْنِهِ إلَهاً ، أوِ ابنَ إلهٍ ، إنّما هُوَ عَبْدٌ للهِ يُولَدُ وَيموتُ كَسائرِ البَشَرِ .

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) ﴾ .

ذَلِكَ هُوَ القَوْلُ الحَقُّ في عيسى ابنِ مَرْيَمَ ، الَّذي اخْتَلَفَ النَّاسُ في شَأْنِهِ ، وتَنازَعوا في أَمْرِهِ ، فَقالَ اليَهودُ عَنْهُ : إنّهُ ساحِرٌ ، وابنُ زِنا ، وقال النَّصارى عَنْه : إنّهُ إلهٌ أوابنُ إلهٍ أو ثالِثُ ثَلاثةٍ ، وقَدْ كَذَّبَهُمُ اللهُ تَعالى بما سَبَق ، وبقولِهِ :

﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥) ﴾

هذا تَنْزيهٌ للهِ ـ سُبحانَهُ ـ أنْ يَكونَ لَهُ وَلَدٌ ، فإنّهُ لا يَسْتَقيمُ ، ولا يَصِحُّ أنْ يُنْسَبَ الوَلَدُ إليهِ ، وهُوَ المُنَزَّهُ عَنْ كلِّ النَّقائِصِ ، ووجودُ الوَلَدِ صِفَةُ نَقْصٍ لا صِفَةُ كَمالٍ . ومِنْ مَظاهِرِ كَمالِ قُدْرَتِهِ ـ سُبحانَهُ ـ أنَّه إذا أَرادَ إيجادَ أَمْرٍ مِنَ الأُمورِ يَقولُ لَهُ : ﴿كُنْ فيكونُ﴾ . فَمَنْ كانَ هذا شَأْنَهُ لا يَحْتاجُ إلى وَلَدٍ .

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾

ومِمَّا بيَّنَهُ عيسى ابن مَرْيَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عِنْدما تَحَدَّث في المَهْدِ ، إخْبارُ قَوْمِهِ أنَّ اللهَ ربُّهُ وربُّهُم ، وَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبادَةِ . والإيمانُ باللهِ تعالى ، والإقْرارُ لَهُ بالرُّبوبيّةِ ، وعِبادَتُهُ وَحْدَهُ ، هُوَ الطَّريقُ المُسْتَقيمُ ، والدّينُ الحَقُّ الَّذي يَجِبُ اتِّباعُهُ ، والسَّيْرُ فيهِ .

﴿ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

اخْتَلَفَتْ فِرَقُ أَهْلِ الكتابِ في عيسى عليْهِ السَّلامُ ، فَطَعَنَ اليَهودُ فيهِ ، وزَعَمَ بَعْضُ النَّصارى أنّهُ إلهٌ ، أو ابنُ إلهٍ ، ويَوْمَ القيامةِ حينَ يَتَيقّنونَ الحَقَّ في شَأْنِهِ ، وأنَّهُ عَبْدُ اللهِ ورَسولُهُ سَيُعَذّبونَ على كُفْرِهِم باللهِ ، وإشْراكِهِمْ مَعَهُ غَيْرَهُ ، وادّعائِهِمْ أنّ عيسى ابنُ اللهِ ، فالوَيْلُ والهَلاكُ لَهُمْ يَوْمَ القيامةِ .

﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

هذا تَعْجيبٌ مِنْ قُوَّةِ سَمْعِهِم وبَصَرِهِم يَوْمَ القيامَةِ ، حَيْثُ تَكونُ أبْصارُهُمْ حادَّةً وأسْماعُهُمْ قويّةً ، بِخلافِ ما كانتْ عَلَيْهِ في الدُّنْيا ، حَيْثُ أَصَمّوا أسْماعَهُمْ عَنِ الحَقِّ ، وأعْمَوْا عُيونَهُمْ عَنْ رُؤْيَتِهِ ، فكانوا في ضَلالٍ واضِحٍ ظاهِرٍ ، أيْ أنّهمُ في الآخِرَةِ سَيَعْلَمونَ حَقيقةَ ما كانوا عَلَيْهِ مِنْ ضَلالٍ في الدُّنْيا ، فَلمّا لَمْ يَنْفَعْهُمْ سَمْعُهُمْ وبَصَرُهُمْ في الدّنْيا فلا يَنْفَعُهُمْ كُلُّ هذا في الآخِرَةِ .

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

وأنذِرْ أيُّها النَّبيُّ الخلائِقَ كُلَّها ، وخَوِّفْهُمْ مِنْ يَوْمِ القيامَةِ ، الّذي يَتَحَسَّرُ فيهِ المُسيءُ عَلى ما فَرَّطَ ، حِينَ يَعْلَمُ سُوءَ عاقِبَةِ أمْرِهِ ، ويَتَحسَّرُ فيهِ المُقَصِّرُ على عَدَمِ ازْديادِهِ مِنَ الخَيْرِ . وقدْ كانوا في الدُّنْيا غافِلينَ عمَّا سيُفْعَلُ بِهِمْ في الآخِرَةِ ، وغَيْرَ مُصَدِّقينَ بهِ .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

يُخْبِرُ ـ سُبحانَهُ ـ أنَّ الخَلائِقَ سَتَفْنى وتَهْلِكَ ، ولا يَبْقى مُلْكٌ في الأرْضِ لأحَدٍ سِواهُ ، وسَيَرْجِعُ الخَلْقُ إليهِ ـ سُبحانَهُ ـ لا إلى غَيْرِهِ ، وهذا تَخْويفٌ عَظيمٌ ، وَوعيدٌ شديدٌ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ تَقْريرُ عُبودِيَةِ عيسى ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ وأنَّهُ لَيْسَ إلَهاً ولا ابنَ إلهٍ .

٢ـ تَحشُرُ النَّاسِ جَميعاً يَوْمَ القيامَةِ ، فالكافِرُ يَتَحَسّرُ على سوءِ عَمَلِهِ ، والمُقَصِّرُ على عَدَمِ ازْديادِهِ ، والمُحْسِنُ على قِلّةِ إحْسانِه .

٣ـ الصِّراطُ المُسْتَقيمُ هُوَ عبادةُ اللهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ .

٤ـ الإخْبارُ بما عَلَيْهِ النَّصارى مِنَ اخْتِلافٍ في شَأْنِ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سِرُّ بدءِ كلامِ عيسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِتَقْريرِ عُبوديّتِهِ للهِ ؟

٢ـ ما سَبَبُ اخْتِلافِ أَهْلِ الكِتابِ في شَأْنِ عيسى عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ـ ما مَعْنى ﴿أَسْمِعْ بِهِم وأَبصِرْ يَوْمَ يَأْتونَنا﴾ وما سَبَبُ التَّعْجيبِ مِنْ حالِهِمْ ؟

٤ـ لِماذا يُسمَّى يَوْمُ القيامةِ : يَوْمَ الحَسْرَةِ ؟

٥ـ ما مَعنى وِراثَةِ اللهِ تَعالى الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْها ؟

نَشاطٌ :

ـ جاءَ في سورَةِ (الإخْلاصِ) نَفْيُ الوَلَدِ والوِلادَةِ عَنِ اللهِ تعالى ، اكْتُبْ ما يَدُلُّ على ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسُ والعِشْرونَ

سورَةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ السّادِسُ

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **الكِتابِ** : القُرْآنِ .
- **صِدّيقاً** : مُلازِماً لِلصِّدْقِ .
- **عَصِيّاً** : عاصِياً .
- **واهْجُرْني مَلِيّاً** : زَمَناً طَويلاً .
- **حَفِيّاً** : مُحيطا بالرِّعايةِ والإكْرامِ .

التفسيرُ :

ذَكَرَتْ آياتُ السّورَةِ خَبَرَ نَبِيِّ اللهِ زَكَرِيّا ، وَخَبَرَ نَبِيِّ اللهِ عيسى عَلَيْهِما السَّلامُ ، وَهَذهِ الآياتُ تَذْكُرُ خَبَرَ خَليلِ اللهِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ .

واتْلُ أيُّها النَّبيُّ على النّاسِ قِصَّةَ إبْراهيمَ ، فإنَّ أهْلَ الكِتابِ يَدَّعونَ أنَّهُم على مِلَّتِهِ ، فَلَعَلَّهُمْ باسْتِماعِ قِصَّتِهِ يَتْرُكونَ ما هُمْ فيهِ مِنْ شِرْكٍ وافْتِراءٍ . لَقَدْ كانَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُلازِماً لِلصِّدْقِ ، في كُلِّ شُؤونِهِ ، مُصَدِّقاً لِمَنْ سبَقَهُ مِنَ الأنْبِياءِ ، وَكانَ نَبيّاً كَريماً ، وَهُوَ أحَدُ أُولي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ .

﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ ﴾

سَلَكَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ أَبيهِ أحْسَنَ مِنهاجٍ ، والْتَزَمَ غايَةَ الأدَبِ ؛ فَبَدأَ بِمُناداتِهِ بالأُبُوَّةِ لِيُحَرِّكَ في نَفْسِهِ عاطِفَةَ الأُبُوَّةِ لَعَلَّهُ يُقْبِلُ على كَلامِهِ ، بَلْ لا تَسْمَعُ وَلا تُبْصِرُ شَيْئاً ، وَلا تَقْدِرُ على جَلْبِ نَفْعٍ وَلا دَفْعِ ضُرٍّ ، وَفي هذا السُّؤالِ تَنْبيهٌ إلى عَدَمِ اسْتِحْقاقِ الأصْنامِ أنْ تُعْبَدَ لِعَجْزِها ، وَأنَّ العِبادَةَ لا يَسْتَحِقُّها إلاَّ الخالِقُ المُنْعِمُ الغَنِيُّ .

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ ﴾

كَرَّرَ نِداءَهُ وَنُصْحَهُ بِلُطْفٍ مُبَيِّناً أنَّهُ يَمْلِكُ عِلْماً أكْثَرَ مِنْهُ ، دونَ أنْ يَصِفَهُ بالجَهْلِ ، وَدَعاهُ إلى اتِّباعِهِ لِيوصِلَهُ إلى الطَّريقِ المُنْجِي مِنَ المَهالِكِ ، وَهُوَ دينُ اللهِ الذي لا عِوَجَ فيهِ وَلا نَقْصَ .

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ ﴾

أرادَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِكَلامِهِ هذا تَنْفيرَ أَبيهِ مِمّا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ عِبادَةِ الأَصْنامِ ، فَإنَّ الدّاعِيَ لِعبادَتِها هُوَ الشَّيطانُ ، الَّذي عَصى أمْرَ رَبِّهِ الرَّحمنِ المُنْعِمِ عَلَيْهِ وَعلى غَيْرِهِ ، فَقابَلَ الرَّحْمَةَ بِالمَعْصِيَةِ مَعَ الإصْرارِ عَلَيْها ، فَهَلْ يَليقُ بالإنْسانِ أنْ يَعْبُدَ عَدُوَّ الرَّحمنِ ؟

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ ﴾

وَمِنْ فَرْطِ الإشْفاقِ عَلَيْهِ خَتَمَ كَلامَهُ بِتَحْذيرِهِ مِنْ عاقِبَةِ عِبادَهِ الشَّيْطانِ ، وَأنَّهُ يَخْشى عَلَيْهِ أنْ يَقودَهُ إلى عَذابِ اللهِ تعالى ، فَيكونَ مُقارِناً وَمُصاحِباً لِلشَّيْطانِ في العَذابِ واللَّعْنِ .

أَمّا رَدُّ الأَبِ على ابْنِهِ فَقَدْ بَيَّنَهُ اللهُ تعالى بِقَوْلِهِ :

﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ﴿٤٦﴾ ﴾

قالَ أبو إبْراهيمَ لَهُ : أَمُعْرِضٌ أنْتَ عَنْ عِبادَةِ آلِهَتي يا إبْراهيمُ ؟ وَصَدَّرَ كَلامَهُ بالاسْتِفهامِ الَّذي يُنْكِرُ بِهِ عَلى إبْراهيمَ إعْراضَهُ عَنْ آلِهَتِهِ ، وَدَعْوَتَه أَباهُ لِتَرْكِ عِبادَتِها . وَأَخَّرَ الأَبُ مُناداةَ ابْنِه باسْمِه بَعْدَ هذِهِ الجُمْلَةِ ، بِخِلافِ ما فَعَلَهُ إبْراهيمُ حَيْثُ قَدَّمَ نِداءَهُ ، وَوَصَفَهُ بالأُبوَّةِ .

ثُمَّ هَدَّدَ الأَبُ ابْنَهُ بِأَنَّهُ إنْ لَمْ يَكُفَّ عَنِ الحَديثِ عَنْ آلِهَتِهِ ، وَذِكْرِ عُيوبِها فَإنَّه سَيَرْجُمُهُ

بالحجارةِ ، ثُمَّ طلبَ منهُ أن يتركَهُ ، ويبتعدَ عنهُ زمناً طويلاً ، فكيفَ كانَ ردُّ إبراهيمَ على هذا التهديدِ الصريحِ ؟ قالَ اللهُ تعالى مُبيّناً ذلكَ :

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾

قالَ إبراهيمُ لأبيهِ : أمّا أنا فلا ينالُكَ منّي ما تكرهُ ، ولا أقابلُ السيّئةَ بمثلِها ، وسأطلبُ منْ ربّي أنْ يُوفّقَكَ للتوبةِ ، ويهديَكَ إلى الإيمانِ . ويُؤخذُ منْ هذا جوازُ الدُّعاءِ للكافرِ بالهدايةِ قبلَ موتِهِ ، إنّ ربّي كانَ بليغاً في اللُّطفِ بي والبرِّ ، ومُجيباً لدُعائي ، ومُحيطاً لي بالرِّعايةِ والإكرامِ .

﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ .

وأتركُكُمْ وأرتحلُ عنْ ديارِكمْ ، وأتبرّأُ منْ آلهتِكُمْ التي تعبُدونَها منْ دونِ اللهِ وأعبُدُ اللهَ تعالى وحدَهُ ، وأرجو ، بسببِ إخلاصي في العبادةِ للهِ ، أنْ لا يجعلَني خائباً ضائعَ السَّعْيِ .

وفي استعمالِ (عسى) التي تُفيدُ الترجّي على تواضعِهِ عليهِ السّلامُ ، وعلى أنَّ الإثابةَ والإجابةَ تفضُّلٌ منَ اللهِ تعالى .

﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾ .

فلمّا تركَ إبراهيمُ أرضَ قومِهِ ، وهاجرَ بدينِهِ بعيداً عنْهُم أبدلَهُ اللهُ تعالى خيراً منْهُمْ ، وعوّضَهُ خيراً ، فوُلِدَ لَهُ إسحقُ ، ووُلِدَ لإسحقَ يعقوبُ عليهِمُ السّلامُ ، وخصَّ إسحقَ ويعقوبَ هُنا بالذِّكرِ لإرسالِ أنبياءَ كثيرينَ في بني إسرائيلَ منْ ذُرّيّتِهِما ، وقدْ كانا نبيّيْنِ في حياةِ إبراهيمَ ـ عليهِ السّلامُ ـ فأقرَّ اللهُ عينَهُ بنُبُوّةِ ابنِهِ وحفيدِهِ قبلَ وفاتِهِ .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾

وأعطيْنا إبراهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ كُلَّ الخيرِ الدّينيِّ والدُّنيويِّ ، وجعلْنا لهُمْ ذِكراً حسناً في النّاسِ ، فأهلُ جميعِ المِلَلِ والأديانِ يُثْنونَ عليْهِمْ ، ويُصلّونَ على إبراهيمَ وآلِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ على الدّاعي اتّباعُ الأُسلوبِ الحسَنِ اللّطيفِ في الدّعْوةِ ، وبخاصّةٍ معَ منْ لهُ فضلٌ عليهِ كالأبِ والأمِّ .

٢ـ مُشْروعيّةُ اعتزالِ أهلِ الكُفرِ والفسادِ بعدَ إقامةِ الحُجّةِ عليهِم بدعْوتِهِم .

٣ـ مَنْ تَرَكَ شَيْئاً لله عَوَّضَهُ اللهُ خَيْراً مِنْهُ .

٤ـ عِبادَةُ الأَوْثانِ والأَصْنامِ تُعَدُّ عِبادَةً لِلشَّيْطانِ ، لأَنَّهُ الآمِرُ بِها ، والدَّاعي إِلَيْها .

٥ـ كانَ الرُّسُلُ السَّابِقونَ يَعْلَمون عَنِ الشَّيْطانِ ما نَعْلَمُهُ وَيَسْتَعيذون باللهِ مِنْهُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئلةِ التاليةِ :

١ـ أَـ كَمْ مَرَّةً نادى إِبْراهيمُ أَباهُ في الآياتِ ؟

ب ـ ما فائِدةُ تَكْرارِ النِّداءِ ؟

ج ـ ما الصِّيغَةُ الَّتي خاطَبَهُ بِها ؟

٢ـ تَدَرَّجَ إِبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في دَعْوَةِ أَبيهِ إِلى الإِسْلامِ في خُطُواتٍ عِدَّةٍ ، بيِّنْها بإيجازٍ .

٣ـ كَيْفَ قابَلَ والِدُ إِبْراهيمَ دَعْوَتَهُ ؟ وَماذا قالَ لَهُ ؟

٤ـ مَتى يَجوزُ الدُّعاءُ لِلْمُشْرِكِ بِالْهِدايَةِ ؟ وَهَلْ يَجوزُ أَنْ نَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ ، وَنَسْتَغْفِرَ لَهُ ؟

٥ـ بِماذا عَوَّضَ اللهُ إِبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بَعْدَ أَنْ تَرَكَ قَوْمَهُ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أَسْماءَ أُولي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ .

٢ـ اذكُرْ حَديثاً شَريفاً يَدُلُّ عَلى دُعاءِ الرَّسولِ ﷺ لِلْكُفَّارِ بِالْهِدايَةِ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

٣ـ ارْجِعْ إِلى قِصَّةِ إِبْراهيمَ في سورَةِ (الصَّافاتِ) واسْتَخْرِجْ مِنْها اسْمَ الابْنِ الآخَرِ لإِبْراهيمَ عَلَيهِ السَّلامُ ، وَأَيُّ الوَلَدَينِ وُلِدَ قَبْلَ الآخَرِ ، واكْتُبْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرْسُ السَّادِسُ والعِشْرونَ

سورةُ مَرْيَمَ - القِسْمُ السَّابِعُ

وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مُخْلصاً : اصْطَفاهُ اللهُ واخْتارَهُ .

وَقَرَّبْناهُ نَجِيّاً : مُناجياً لَنا ، مِنَ المُناجاةِ وَهِيَ المُسارَّةُ بِالكَلامِ .

خَرُّوا : سَقَطوا عَلَى الأَرْضِ .

التفسيرُ :

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ .

بَعْدَ انْتِهاءِ قِصَّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، أَمَرَ اللهُ تعالى نَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ أَنْ يَذْكُرَ للنّاسِ نَبَأَ الكليمِ موسى - عَلَيْهِ السَّلامُ - بَياناً لِقَدْرِهِ وَثَناءً عَلَيْهِ ، وَقُدِّمَ في الذِّكْرِ على إسْماعيلَ مَعَ تَأَخُّرِهِ عَنْهُ في الزَّمَنِ ، لِئَلاّ يَنْفَصِلَ ذِكْرُهُ عَنْ جَدِّهِ يَعْقوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ . وَوُصِفَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ بِأَنَّهُ : مُخْلَصٌ ، اصْطَفاهُ اللهُ واخْتارَهُ لأَنَّهُ أَخْلَصَ عِبادَةَ اللهِ مِنَ الشِّرْكِ والرِّياءِ ، وَكانَ رَسولاً نَبِيّاً ، مُرْسَلاً

إلى قَوْمِهِ لِتَبْليغ رِسالَةِ رَبِّهِ ، وَتَبْليغِ دينِهِ ، وَمُنْبأً عَنِ اللهِ . وَفي الجَمْعِ لَهُ بَيْنَ الوَصْفِ بِالرِّسالَةِ والنُّبُوَّةِ تَشْريفٌ وَتَكْريمٌ .

﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾

نادى اللهُ تعالى موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَكَلَّمَهُ ، مِنْ جانِبِ جَبَلِ الطُّورِ الأَيْمَنِ بِالنِّسْبَةِ لِموسى ؛ أيْ مِنْ جِهَةِ يَمينِ موسى عَلَيهِ السَّلامُ ، وَقَرَّبَ اللهُ تعالى موسى ، وَشَرَّفَهُ بِأَنْ كَلَّمَهُ دونَ وَساطَةٍ ، واخْتارَهُ لِمُناجاتِهِ وَتَكْليمِهِ . وَكانَ ذلِكَ في أَثْناءِ عَوْدَةِ موسى مِنْ مَدْيَنَ إلى مِصْرَ . وَيَقَعُ جَبَلُ الطّورِ في شِبْهِ جَزيرَةِ سيناءَ .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَـٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾

رَحْمَةً مِنَ اللهِ تعالى بِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَرَأْفَةً بِهِ ، واسْتِجابَةً لِدُعائِهِ حَيْثُ دَعا قائِلاً ﴿واجْعَلْ لي وَزيراً مِنْ أَهْلي هارونَ أَخي﴾ . وَهَبَ لَهُ أَخاهُ هارونَ ، وَجَعَلَهُ نَبِيّاً مَعَهُ يُؤازِرُهُ ، وَيُعاضِدُهُ ، وَيُعينُهُ ، وَكانَ هارونُ أَكْبَرَ مِنْ موسى عَلَيْهِما السَّلامُ .

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾

واذْكُرْ أَيُّها النَّبِيُّ في القُرْآنِ لِلنّاسِ خَبَرَ جَدِّكَ إِسْماعيلَ . وَفُصِلَ ذِكْرُهُ عَنْ ذِكْرِ أَبيهِ وَأَخيهِ لإِبْرازِ كَمالِ الاعْتِناءِ بِأَمْرِهِ . وَكانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَشْهوراً بِصِدْقِ الوَعْدِ ، وَبَلَغَ في الوَفاءِ بِهِ دَرَجَةً عَظيمَةً ، وَمِنْ ذلِكَ أَنَّهُ وَعَدَ بِالصَّبْرِ عَلى أَمْرِ الذَّبْحِ فَوَفى وَصَدَقَ . وَكانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ رَسولاً إلى قَبيلَةِ جُرْهُمَ الَّتي سَكَنَتْ مَكَّةَ ، يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِشَريعَةِ أَبيهِ إِبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَكانَ نَبِيّاً يُبَلِّغُ أوامِرَ اللهِ . والجَمْعُ بَيْنَ وَصْفِهِ بِالرِّسالَةِ والنُّبُوَّةِ دَليلٌ عَلى عَظَمَةِ مَكانَتِهِ عِنْدَ اللهِ .

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾

وَكانَ إِسْماعيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يَحُثُّ أَهْلَهُ ، وَذَوي قُرْباهُ ، وَعَشيرَتَهُ ، عَلى طاعَةِ اللهِ ، بِإِقامِ الصَّلاةِ المَفْروضَةِ عَلَيْهِمْ ، وأداءِ الزَّكاةِ المَطْلوبَةِ مِنْهُمْ ، وَهذا مَدْحٌ لَهُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَقَدِ اشْتَغَلَ بِتَكْميلِ غَيْرِهِ بَعْدَ تَكْميلِ نَفْسِهِ . وَلِذا نالَ رِضوانَ اللهِ ، فَقَدِ اسْتَقامَتْ أَقْوالُهُ وَأَفْعالُهُ ، واتَّصَفَ بِأَفْضَلِ صِفاتِ الكَمالِ وَأَطْيَبِها .

وَخَتَمَ اللهُ تعالى أَخْبارَ الأَنْبِياءِ بِخَبَرِ إِدْريسَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَقالَ :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ ﴾

واذْكُرْ أَيُّها النَّبِيُّ في القُرْآنِ خَبَرَ إِدْريسَ ، الَّذي كانَ مُلازِماً لِلصِّدْقِ في جَميعِ أَقْوالِهِ ، وَكانَ نَبِيّاً

كَريماً . وَلَمْ تُبيِّنِ الآياتُ شَيْئاً كَثيراً مِنْ أَحْوالِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ بَلِ اكْتَفَتْ بِذِكْرِ هَذَيْنِ الوَصْفَيْنِ : الصِّدْقِ والنُّبُوَّةِ ، ثُمَّ بَيَّنَتْ فَضْلَ اللهِ عَلَيْهِ ، وَتَكْريمَهُ لَهُ ، فقالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾

أيْ أَعْلَيْنا قَدْرَهُ بِشَرَفِ النُّبُوَّةِ ، وَإِنْزالِهِ المَكانَ العاليَ في الجَنَّةِ ، وَجَعْلِهِ في السَّماءِ الرّابعةِ ، حَيْثُ لَقِيَ النَّبيَّ ﷺ لَيْلَةَ المِعْراجِ فيها .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

اسْمُ الإشارَةِ للأَنْبياءِ المَذْكورينَ في هذهِ السُّورَةِ ، والإشارَةُ إِلَيْهِم باسْمِ الإشارَةِ الدّالِّ عَلى البَعيدِ [أُولئكَ] لِلتَّنْبيهِ عَلَى عُلُوِّ مَراتِبِهم ، وَبُعْدِ مَنازِلِهِم في الفَضْلِ والشَّرَفِ ، وَهُمْ جَميعاً مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ مَنْ نَجا مَعَ نوحٍ ، ومنهم مَنْ هُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إبْراهيمَ ، واخْتَصَّ بَعْضُهُمْ بكَونِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ إسْرائيلَ وَهُوَ يَعْقوبُ ، وَهُمْ جَميعاً مِنْ جُمْلَةِ مَنْ هَدَيناهُمْ إلى الحَقِّ ، واخْتَرْناهُمْ لِلنُّبُوَّةِ ، وَكانوا إذا سَمِعوا كَلامَ اللهِ أَسْرَعوا لِلسُّجودِ إلى رَبِّهِمْ خُضوعاً وَخُشوعاً لَهُ ، تَذْرِفُ عُيونُهُم الدَّمْعَ مَهابَةً مِنْهُ ، وَفي هذا الوَصْفِ لَهُمْ حَثٌّ عَلَى الاقْتِداءِ بِهِم . وَفي وَصفِ سُجودِهِم بالخُرورِ دَليلٌ عَلَى سُرْعَةِ اسْتِجابَتِهِم لأَمْرِ اللهِ ، فَلَفْظُ الخُرورِ يَعني : السُّقوطَ عَنْ غَيْرِ اتِّزانٍ ، كَما يَعني مُرافَقَةَ صَوْتٍ للسَّجودِ ، وَهُوَ صَوْتُ التَّسبيحِ والذِّكْرِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أَهَمِّيَةُ الصِّدْقِ في الوَعْدِ .

٢ـ فَضيلَةُ السُّجودِ الذي يُرافِقُهُ البُكاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ .

٣ـ اسْتِحْبابُ وجُودِ الرِّفْقَةِ الصّالِحَةِ في المَهامِّ الصَّعْبَةِ لِتَشُدَّ الأَزْرَ ، وَتُقَوّيَ عَلَى الصُّمودِ .

٤ـ ثَناءُ اللهِ على أَنْبيائِهِ موسى وَهارونَ واسْماعيلَ وَإدرْيسَ ، وَذِكْرُ ما اخْتَصَّ بِهِ كُلاً مِنْهُمْ .



أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما فائِدَةُ وَصْفِ موسى وَإِسْماعيلَ بالرِّسالَةِ والنُّبُوَّةِ ؟

٢ـ ما المُرادُ بِجانِبِ الطُّورِ الأيْمَنِ ؟ وَأيْنَ يَقَعُ جَبَلُ الطُّورِ ؟

٣ـ بماذا وَصَفَ اللهُ تعالى إسْماعيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ أـ ما مَعْنى ﴿وَرَفَعْناهُ مكاناً عَلِيّاً﴾ ؟

ب ـ مَنِ الذي رَفَعَهُ اللهُ مَكاناً عَلِيّاً ؟

٥ـ ما فائِدَةُ الإشارَةِ إلى الأنْبياءِ المَذْكورينَ في السُّورَةِ بِأُولئِكَ ؟

٦ـ بماذا وَصَفَتِ الآيةُ الأنْبياءَ المَذكورينَ في السُّورَةِ ؟

٧ـ ذَكَرَتِ الآياتُ ما امْتَنَّ اللهُ بِهِ عَلى موسى عَلَيْهِ السَّلامُ . اذْكُرْ ذلِكَ مَعَ الدّليلِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةً تَدُلُّ على أنَّ المُناجاةَ كانَتْ في سيناءَ .

٢ـ اكْتُبِ الآياتِ من سورةِ الصّافّاتِ التي تُبَيِّنُ صَبْرَ إسْماعيلَ وَتَسْليمَهُ لأَمْرِ اللهِ عِنْدَما أَخْبَرَهُ أَبوهُ أنَّهُ أُمِرَ بِذَبْحِهِ .

٣ـ اكْتُبْ أَسْماءَ الأنْبياءِ المَذْكورينَ في هذهِ السُّورَةِ ، وَحاوِلِ اسْتِخْراجَ عَلاقَةِ القَرابَةِ بَيْنَهُم ، كَما فَهِمْتَ مِنَ الآياتِ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ والعِشْرونَ

سورَةُ مَرْيَمَ - القِسْمُ الثّامِنُ

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا (٦٠) جَنَّٰتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِالْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا (٦١) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (٦٣) وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا (٦٥) وَيَقُولُ الْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا (٦٧)﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

خَلْفٌ : قَوْمٌ جاءوا بَعْدَ مَنْ سَبَقوهُم .

الشَّهَواتِ : مَلاذُّ النُّفوسِ .

غَيّا : سوءاً وَهَلاكاً .

مَأْتِيّاً : مُنْجزاً .

لَغْواً : مالا فائِدَةَ فيهِ مِنَ الكلامِ .

بُكْرَةً وَعَشِيّاً : أَوَّلَ النَّهارِ وَآخِرَهُ .

التفسيرُ :

بَيَّنَتِ الآياتُ السَّابِقَةُ ما كانَ عَلَيْهِ أهْلُ الصَّلاحِ مِنْ بني البَشَرِ ، وَهَذِهِ الآياتُ تُبَيِّنُ حالَ مَنْ جاءَ بَعْدَهُم ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ ﴾

فَجاءَ بعدَ هؤلاءِ الأنْبياءِ المَوْصوفينَ بِأَحْسَنِ صِفاتِ الخَيْرِ والصَّلاحِ ، ذُرِّيَّةٌ سَيِّئَةٌ ، فرَطوا في الصَّلاةِ فَتَهاوَنوا في أَدائِها في أَوْقاتِها ، أَوْ تَرَكوا بَعْضَ أَرْكانِها ، وَقَصَّروا في هَيبَتِها التّامَّةِ ، واتَّبَعوا الشَّهَواتِ ، فَهؤلاءِ سَيَجِدونَ في الآخِرَةِ عَذاباً عَظيماً في جَهَنَّمَ ، وبُعْداً عَنِ الجَنَّةِ . وَتَدُلُّ الآيَةُ عَلى أَنَّ الأُمَمَ بَعْدَ زَمانِ الرُّسُلِ تَنْحَرِفُ ، ويَضِلُّ مِنْها كَثيرونَ ؛ يَتْرُكونَ الواجِباتِ وَيَقعونَ في السَّيِّئاتِ .

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠ ﴾

وَمِنْ رَحْمَةِ اللهِ تعالى بِالنّاسِ أَنْ فَتَحَ لَهُمْ بابَ التَّوْبَةِ ؛ فَمَنْ تابَ مِنْ هَؤلاءِ الَّذين انْحَرَفوا عَنْ مَنْهَجِ الأَنْبياءِ أنابَ إلى رَبِّهِ ، وَآمَنَ بِهِ إيماناً صادِقاً ، وَعَمِلَ عَمَلاً صالِحاً ، فَأُولئِكَ يُدْخِلُهُمُ اللهُ الجَنَّةَ ، وَلا يُعاقِبُهُم عَلى ما سَبَقَ من كُفْرٍ وَتَقْصيرٍ ، فالإيمانُ يَمْحوما قَبْلَهُ ؛ والتَّوْبَةُ تَمْحو ما قَبْلَها . وَكُفْرُهُمُ السّابِقُ لا يَضُرُّهُمْ ، وَلا يَنْقُصُ مِنْ أُجورِهِم .

﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ٦١ ﴾

انْتَقَلَتِ الآياتُ إلى وَصْفِ الجَنَّةِ التي أَعَدَّها لِلْمُتَّقينَ ، وَوُصِفَت في هذهِ الآياتِ بِأَنَّها جَنّاتُ عَدْنٍ ؛ أَيْ جَنّاتُ إقامَةٍ دائِمَةٍ لا تَنقَطِعُ ، آمَنَ بِها المُتَّقونَ قَبْلَ أَنْ يَرَوْها تَصديقاً بِوَعْدِ اللهِ ، وَوَعْدُهُ ـ سُبْحانَهُ ـ آتٍ وَمُنْجَزٌ لا مَحالَةَ . وَمِنْ صِفاتِها أَنَّها :

﴿ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ٦٢ ﴾

لا يَسْمَعُ أَهْلُها فيها شَيْئاً مِنْ فُضولِ الكَلامِ ، وَلا أَلْفاظاً قَبيحَةً ، وَإِنَّما يَسْمَعونَ التَّحيَّةَ والسَّلامَ ، وَلَهُمْ فيها ما يَشْتَهونَ مِنْ أَنْواعِ النِّعَمِ دونَ تَعَبٍ وَلا انْقِطاعٍ . والتَّعبيرُ بِالبُكْرَةِ والعَشِيِّ يُقْصَدُ بِهِ دَوامُ حُصولِ النِّعَمِ ، وَرَفاهِيَةِ العَيْشِ ، إِذْ لَيْسَ في الجَنَّةِ صُبْحٌ وَمَساءٌ ، إنَّما هُمْ في النُّورِ أَبَداً .

﴿ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ٦٣ ﴾

وَهذِهِ الجَنَّةُ أَعَدَّها اللهُ لِمَنْ كانَ تَقِياً ، يَخْشى رَبَّهُ ، وَيُبادِرُ إلى فِعْلِ الطّاعَةِ ، وَهُمْ يَسْتَحِقّونَ دُخولَها كَما يَسْتَحِقُّ الوارِثُ مالَ مُوَرِّثِهِ ، والوِراثَةُ مِنْ أَقْوى أَسْبابِ التَّمْليكِ وَأَثْبَتِها .

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ٦٤ ﴾ .

سَبَبُ النُّزولِ : عَنِ ابْنِ عَبّاسَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ : يا جبريلُ ما يَمْنَعُكَ أَنْ تَزورَنا أَكْثَرَ مِمّا تَزورُنا ؟ فَنَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ[١] .

---

(١) رواهُ البخاريُّ في كتابِ التّفسير ، رقم الحديث : ٤٣٦٢ .

وَهِيَ حِكايَةُ قَوْلِ جِبْريلَ ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ أَنَّهُ لا يَنْزِلُ إلى الأَرْضِ ، وَلا يَتَحَرَّكُ إلى أَيِّ شَيْءٍ إلاّ بِأَمْرِ اللهِ ـ تَعالى ـ الَّذي لَهُ الأَمْرُ كُلُّهُ ، وَبِيَدِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ ، فَهُوَ مالِكُ ما بَيْنَ أَيْدينا ، أي المُسْتَقْبَل ، وَما خَلْفَنا أي الماضي ، وَما بَيْنَهُما مِنَ الحاضِرِ . وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ مُنَزَّهٌ عَنِ السَّهْوِ والنِّسْيانِ ؛ فَلَنْ يَغْفُلَ عَنْكَ ، وَهُوَ المُتَفَضِّلُ عَلَيْكَ بِالرِّسالَةِ ، وَإنْ حَصَلَ تَأَخُّرٌ في نُزولِنا فَذلِكَ بِأَمْرِ اللهِ وَتَقْديرِهِ ، وَلِحِكْمَةٍ أَرادَها اللهُ تَعالى . وَفي إعادَةِ لَفْظِ الرَّبِّ مُضافاً إلى النَّبِيِّ ﷺ تَشْريفٌ لَهُ .

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾

فاللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ هُوَ رَبُّ الكائِناتِ كُلِّها ، مِنْ سَماواتٍ ، وأَرْضٍ ، وَما بَيْنَهُما مِنْ عَوالِمَ ، فَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلعِبادَةِ ، فَعَلَيْكَ أَيُّها النَّبِيُّ ، وَعلى مَنْ تَبِعَكَ التَّوَجُّهُ إلَيْهِ بِها ، والصَّبْرُ عَلى ما تَقْتَضيهِ هذِهِ العِبادَةُ مِنْ تَكاليفَ وَمَشاقَّ .

﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ أَيْ أَنَّكَ لا تَعْلَمُ للهِ شَبيهاً وَلا مَثيلا ، فَلَيْسَ للهِ مَنْ يُشارِكُهُ أَو يُماثِلُهُ في أُلوهِيَّتِهِ وَعِزَّتِهِ وَجَبَروتِهِ ، وَلا في اسْمِهِ : (اللهُ) ، فَقَدِ اخْتَصَّ بِهِ سُبْحانَهُ .

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ ﴾

يَنْتَقِلُ سِياقُ الآياتِ إلى بَيانِ حالِ الكافِرينَ الَّذينَ كَذَّبوا بِالبَعْثِ والنُّشورِ ، إذِ المُرادُ بالإنسانِ هُنا الكافِرُ الذي لا يُصَدِّقُ بِالبَعْثِ ، وَيَقولُ مُنْكِراً لَهُ : أَبَعْدَ أَنْ أَموتَ وَأُصْبِحَ تُراباً سَأُخْرَجُ مِنْ قَبْري حَيّاً ؟

﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ .

وَلَوْ تَذَكَّرَ هذا الإنْسانُ الكافِرُ أَوَّلَ خَلْقِهِ لَما أَنْكَرَ البَعْثَ ، وَلَعَلِمَ أَنَّ اللهَ الَّذي خَلَقَهُ مِنَ العَدَمِ قادِرٌ أَنْ يُعيدَهُ بَعْدَ الفَناءِ ، فَلَقَدْ خَلَقَهُ اللهُ مِنَ العَدَمِ ، وَأَوجَدَهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكوراً .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، مِنها :

١ـ التَّرْهيبُ مِنْ تَرْكِ الصَّلاةِ أَوِ التَّقْصيرِ في أَدائِها والاشْتِغالِ عَنْها بِالشَّهَواتِ .

٢ـ التَّوْبَةُ تَمْحو ما قَبْلَها .

٣ـ كُلُّ ما في الجَنَّةِ طَيِّبٌ وَحَسَنٌ .

٤ـ تقْريرُ سُلْطانِ اللهِ عَلى كُلِّ الخَلْقِ وَقُدْرَتِهِ عَلَيْهِمْ مَهْما عَظُمَتْ قُوَّتُهُم ، وارْتَفَعَتْ مَنْزِلَتُهُمْ .

٥ـ فَضْلُ المَلائِكَةِ في وُقوفِهِم مَعَ أَمْرِ اللهِ .

٦ـ الاسْتِدلالُ عَلى البَعْثِ بِبَدْءِ الخَلْقِ ، فالإعادَةُ أَهْوَنُ مِنَ الإيجادِ بالنِّسْبَةِ لِلبَشَرِ .

التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى إضاعَةُ الصَّلاةِ ؟

٢ـ ما جَزاءُ مَنْ يَتوبُ عَنِ اتِّباعِ الشَّهَواتِ وَيَعْمَلُ صالِحاً ؟

٣ـ ما سِرُّ التَّعبيرِ عَنْ حُلولِ أهلِ الجَنَّةِ فيها بالوِراثَةِ ؟

٤ـ أـ اذْكُرْ سَبَبَ نُزولِ قَولِهِ تعالى ﴿وما نَتَنَزَّلُ إلا بأمرِ ربِّكَ . . . . .﴾

ب ـ وَما مَعنى الآيةِ ؟

٥ـ ما الدَّليلُ الَّذي ذَكَرَتْهُ الآيةُ الكَريمَةُ عَلى قُدْرَةِ اللهِ عَلى البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ ؟

٦ـ ماذا طَلَبَتِ الآياتُ الكَريمَةُ مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ ؟

تَعَلَّمْ :

يُقالُ للذُّرِّيَةِ الصّالِحَةِ : (خَلَفٌ) بِفَتْحِ اللاّمِ ، وَلِلذُّرِّيَةِ الطّالِحَةِ السَّيِّئَةِ (خَلْفٌ) بِسُكونِ اللاّمِ .

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْترِكَ حَديثاً شَريفاً يَدُلُّ عَلى أَنَّ التَّوبَةَ تَمْحو ما قَبْلَها .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والعِشْرونَ

سورةُ مَرْيَمَ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **جِثِيّاً** : جَمْعُ جاثٍ ، وَهُوَ الجالِسُ عَلى رُكْبَتَيْهِ .
- **شيعةٍ** : جَماعةٍ مُتَقارِبَةٍ في الرّأْيِ والمَيْلِ .
- **عِتِيّاً** : عِصْياناً وَطُغياناً .
- **صِلِيّاً** : دُخولاً واحْتِراقاً .
- **وارِدُها** : مارٌّ عَلَيْها .
- **حَتْماً مَقْضِيّاً** : قَضاءً نافِذاً مُبْرَماً .
- **نَدِيّاً** : مَجْلِساً .
- **أثاثاً ورِئْياً** : مَتاعاً وَمَنْظَراً .
- **فَلْيَمْدُدْ لَهُ** : فَلْيُمْهِلْهُ اسْتِدْراجاً .
- **وَخَيْرٌ مَرَدّاً** : مَرْجِعاً وَعاقِبَةً .



التفسيرُ :

تَتَحَدَّثُ هذهِ الآياتُ عَنْ الأهوالِ التي تُحيطُ بِالكافِرينَ المُعانِدينَ ، وَما يُلاقونَهُ مِنْ عَذابٍ شَديدٍ في يَوْمِ القِيامَةِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ﴾ .

هذا قَسَمٌ مِنْهُ ـ سُبْحانَهُ ـ بِرُبوبِيَّتِهِ ، مُضافاً إلى ضَميرٍ عائِدٍ عَلَى النَّبيِّ ﷺ لِتَأْكيدِ البَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ ، حَيْثُ سَيُحْشَرُ المُكَذِّبونَ بِهِ مَعَ شَياطِينِهِمُ الَّذينَ صَرَفوهُمْ عَنِ الهِدايَةِ ، وَجَذَبوهُم إلى الغِوايَةِ ، ثُمَّ سَيُحْضَرونَ حَوْلَ جَهَنَّمَ ، وَهُمْ قُعودٌ عَلَى رُكَبِهِم مِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ والهَوْلِ ، لا يَسْتَطيعونَ القِيامَ عَلَى أرْجُلِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الأَمْرِ .

﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ يَحْشُرَ اللهُ الكَفَرَةَ المُجْرِمينَ مَعَ الشَّياطينِ الَّذينَ أضَلُّوهُمْ ، يَنْزِعُ اللهُ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْ فِرَقِ الكُفْرِ والضَّلالِ أشَدَّهُمْ ضَلالاً وَكُفْراً ، وَهُمُ السَّادَةُ والقادَةُ وَأهْلُ الرَّأيِ ، لِيَقْذِفَ بِهِمْ في النَّارِ ، وَهكَذا يَبْدَأُ العَذابُ بالأعْصى فَمَنْ دونَهُ .

وَلَفْظُ (لَنَنْزِعَنَّ) يُفيدُ القَسْوَةَ والعُنْفَ في أخْذِ الكُبَراءِ والقادَةِ ، فَهؤلاءِ لَمْ يَعُدْ لَهُمْ احْتِرامٌ وَلا مَكانَةٌ ؛ فَهُمْ يُنْزَعونَ مِنْ أماكِنِهِم نَزْعاً ، وَيُقْذَفونَ في جَهَنَّمَ قَذْفاً .

﴿ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ ﴾

ثُمَّ لَنَحْنُ نَعْلَمُ ، أتَمَّ العِلْمِ وَأكْمَلَهُ ، مَنْ هُمْ أشَدُّ اسْتِحقاقاً لِلتَّعذيبِ في نارِ جَهَنَّمَ ، كَرُؤساءِ الشِّيَعِ الضَّالَّةِ ، فَإنَّ عَذابَهُمْ مُضاعَفٌ لِضَلالِهِمْ وإضْلالِهِمْ .

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾

المُخاطَبُ بِهذِهِ الآيَةِ البَشَرُ جَميعاً ، فَإنَّهُ ما مِنْ أحَدٍ مِنْهُم بَرٍّ وَلا فاجِرٍ إلا سَيَمُرُّ عَلَى النَّارِ ، المُؤْمِنُ لِلعُبورِ والكافِرُ لِلقَرارِ . وَهذا أمْرٌ مَحتومٌ مَقطوعٌ بِهِ أوْجَبَهُ اللهُ تعالى عَلَى ذاتِهِ ، وَقَضى بِهِ فَلا بُدَّ أنْ يَكونَ كَما أمَرَ اللهُ تعالى .

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ .

أي نُنَجِّي مِنْ جَهَنَّمَ المُتَّقينَ فَيَمُرُّونَ عَلَيْها مُروراً سَريعاً ، وَيَبْقى الظّالمونَ الَّذين ظَلَموا أنفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ ، وَتَكْذيبِ رُسُلِهِ ، هؤلاءِ يَبْقَوْنَ في جَهَنَّمَ جاثينَ عَلَى رُكَبِهِمْ .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ ﴾ .

تُبيِّنُ الآيَةُ حالَ المُشْركينَ عِنْدَما تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ القُرآنِ البيِّنَةِ المَعْنى ، الواضِحَةِ الدَّلالَةِ ، فَهُمْ يُكَذِّبونَ بها ، وَيَتَفاخَرونَ عَلى المُؤْمِنينَ فَيقولونَ لَهُم : مَنْ أَحْسَنُ ؟ أَنَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ ؟ وَهُمْ يَرَوْنَ أَنْفُسَهُم في مَكانِ إقامَةٍ أفْضَلَ ، وَعَيْشٍ أَطْيَبَ ، وَمَجْلِسٍ أَحْسَنَ ، مِنْ فُقَراءِ المُؤْمِنينَ ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّ هَذِهِ الظَّواهِرَ تَدُلُّ عَلى أفْضَلِيَّتِهِمْ عِنْدَ اللهِ ، فَرَدَّ اللهُ تعالى عَلَيْهِم بِقَولِهِ :

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ ﴾

أَوَلَمْ يَتَدَبَّروا أحْوالَ كَثيرٍ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ ، الَّذينَ كَفَروا بآياتِنا أَهْلَكْناهُم بِكُفْرِهِمْ ، عِلْماً أنَّهُمْ كانوا أَحْسَنَ مَتاعاً وَأَجْمَلَ صورَةً وَمَنْظَراً مِنْ هَؤلاءِ ، وَكَما أَهْلَكْنا السّابِقينَ نُهلِكُ اللاّحِقينَ ، فَلا يَغْتَرَّ هَؤلاءِ بما لَدَيْهِم مِنَ النَّعيمِ والمَتاعِ ، فَلَيْسَتْ بَسْطَةُ الرِّزْقِ ، وَعُلُوُّ المَنْزِلَةِ في الدُّنيا ، دَليلاً عَلَى رِضى اللهِ .

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ ﴾ .

قُلْ أَيُّها النَّبِيُّ لِهؤُلاءِ الزَّاعِمينَ أَنَّهُمْ عَلَى الحَقِّ : مَنْ كانَ في الضَّلالَةِ فَإنَّ اللهَ يَمُدُّ لَهُمْ في طُغْيانِهِم ، وَيُمْهِلُهُمْ حَتى يَحِلَّ بِهِمُ العَذابُ الدُّنْيَوِيُّ بِنَصْرِ المُؤْمِنينَ عَلَيْهِمْ وَإيذائِهِمْ بِالقَتْلِ أَوِ الأَسْرِ ، أَوْ حَتّى يَنْقَضِيَ أَجَلُهُمْ ، وَيُشاهِدوا السَّاعَةَ ، وَسَيَعْلَمونَ حينَما يَرَوْنَ العَذابَ المُعَدَّ لَهُمْ أَنَّ مُوازينَهُمْ كانَتْ خاطِئَةً ، وَأَفْكارَهُمْ ضالَّةً ، وَأَنَّهُمْ أَصْحابُ المَكانِ السَّيِّيءِ ، والأَضْعَفُ جُنْداً وَأَعْوَاناً .

﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾

هذا بَيانُ حالِ المُهْتَدينَ بَعْدَ بَيانِ حالِ الضَّالِّينَ ، فاللهُ تعالى يَزيدُهُمْ هِدايَةً وَتَأْييداً وَتَثْبيتاً ، وَيُعينُهُمْ عَلَى أَداءِ الأَعْمالِ الصَّالحةِ التي تَبْقى لِصاحِبِها ذُخْراً عِنْدَ اللهِ وَهِيَ أَحْسَنُ بما يَتَباهى بِهِ أَهْلُ الأَرْضِ مِنْ نِعَمٍ فانِيَةٍ زائِلَةٍ ؛ فالأَعْمالُ الصَّالِحَةُ هِيَ أَفْضَلُ ما يُثيبُ اللهُ بِهِ عَبْدَهُ ، وَهِيَ أَفْضَلُ ما يَرْجِعُ بِهِ الإِنْسانُ إلى رَبِّهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ رؤوسُ الضَّلالِ والغِوايَةِ أَشَدُّ عَذاباً مِنْ غَيْرِهِمْ .

٢ـ التَقوى سَبَبٌ لِلنَّجاةِ مِنْ عَذابِ جَهَنَّمَ ، كَما أنَّ الكُفْرَ سَبَبٌ لِعَذابِها .

٣ـ سِعَةُ الرِّزْقِ وَعُلُوِّ المَنْزِلَةِ ، وَحُصولُ الجاهِ في الدُّنيا ، لَيْسَ دَليلاً عَلى رِضى اللهِ ، بَلْ قَدْ يَكونُ اسْتِدراجاً وإمْهالاً مِنَ اللهِ .

٤ـ عَلى المُؤْمِنِ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الأعْمالِ الصَّالِحَةِ ؛ فَإنَّها أفْضَلُ عِنْدَ اللهِ ، وَأكْرَمُ ، وأبْقى أَثراً مِمَّا يَنْغَمِسُ فيهِ المُتْرَفونَ والمُتَنَعِّمونَ مِنْ مَتاعٍ زائِلٍ زائِفٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا يُحْشَرُ المُجرمونَ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً ؟

٢ـ ما سَبَبُ اغْتِرارِ المُشْركينَ بِحالِهِمْ ؟

٣ـ ما مَعنى ﴿الباقياتُ الصالحاتُ﴾ ؟

٤ـ اذْكُرْ ثَلاثاً مِنْ فَوائِدِ هَذا الدَّرْسِ .

٥ـ صِلْ بَيْنَ كُلِّ لَفْظٍ وَمَعناهُ في القائِمَةِ التّالِيَةِ :

جِثِيّاً :	احْتِراقاً
عِتِيّاً :	نافِراً مُبْرَماً
صِلِيّاً :	جالِساً عَلى رُكْبَتَيْهِ
مَقْضِيّاً :	عِصْياناً وَطُغياناً

نَشاطٌ :

ـ في الآيةِ (٦٨) تَسْلِيَةٌ لِرَسولِ اللهِ ﷺ وَتَهديدٌ لِلْكافِرينَ ، بَيِّنْ ذلكَ واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والعِشْرونَ

سُورَةُ مَرْيَمَ - القِسْمُ العاشِرُ

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أفَرَأيت	أخْبِرْني .
أطَّلَعَ الغَيْبَ	هَلْ شاهَدَ أُمورَ الآخِرَةِ الغائِبَةَ عَنْهُ .
عَهْداً	ميثاقاً .
عِزّاً	شُفَعاءَ وَأنْصاراً .
ضِدّاً	أعْداءً لَهُمْ .
تَؤُزُّهمْ أزّاً	تَدْفَعُهُمْ دَفْعاً .
وَفْداً	رُكْباناً .
وِرْداً	عِطاشاً يُساقونَ إلى جَهَنَّمَ كَما تُساقُ البهائِمْ إلى الماءِ .

سَبَبُ النُّزولِ :

عنْ خَبّابِ بنِ الأرَتِّ قالَ : كانَ لي عَلَى العاصِ بَنِ وائِلٍ دَيْنٌ فَأتَيْتُهُ أتقاضاهُ مِنْهُ ، فقال :

لا أُعْطيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ، فَقُلْتُ : لا أَكْفُرُ بِهِ حَتى يُميتَكَ اللهُ ، ثُمَّ تُبْعَثُ ، قالَ : فَإني لَمَبعوثٌ بَعْدَ المَوتِ ؟ دَعْني حَتَّى أَموتَ ثُمَّ أُبْعَثُ ، فَإني إذا مِتُّ ثُمَّ بُعِثْتُ ، جِئْتَني وَلِيَ مالٌ وَوَلَدٌ فَأُعْطيتُكَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿أفرأيتَ الذي كَفَرَ . . . ﴾ إلى قَوْلِهِ : ﴿ويأتينا فَرْداً﴾[1] .

التفسيرُ :

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧) ﴾

الهَمْزَةُ لِلتَّعجيبِ والإنْكارِ أيْ : أنَظَرْتَ فَرَأَيْتَ الَّذي كَفَرَ بآياتِنا ، وَجَحَدَ بِها ، وَزَعَمَ أنَّ اللهَ سَيُعْطيهِ في الآخِرَةِ أمْوالاً وَبَنينَ ، وَرَدَّ اللهُ سُبْحانَهُ عَلَيْهِ بِقَولِهِ :

﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٧٨) ﴾

هَلْ انْكَشَفَ الغَيْبُ أَمامَهُ فاطَّلَعَ عَلَى حالِهِ في الآخِرَةِ ، وَعَلِمَ مَآلَهُ ، أَمْ أَعْطاهُ اللهُ عَهْداً بِذلِكَ ، فإنَّه لا يَتَوَصَّلُ إلى مِثْلِ هذا العِلْمِ إلاَّ بأحَدِ هذَيْنِ الطَّريقَيْنِ .

﴿ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) ﴾

رَدْعٌ لَهُ عَنِ التَّفَوُّهِ بِمِثْلِ هذا ، وَتَنْبيهٌ لَهُ عَلى خَطَئِهِ ، وَسَنُظْهِرُ افْتِراءَهُ في زَعْمِهِ ، وَنَنْتَقِمُ مِنْهُ بِزيادَةِ عَذابِهِ لافْتِرائِهِ عَلى اللهِ ، واسْتِهْزائِهِ بِآياتِهِ ، وَبَدَلَ أنْ يَمُدَّ اللهُ لَهُ بِالمالِ والوَلَدِ كَما ادّعى ، سَوْفَ يمُدُّ لَهُ في العَذابِ الشَّديدِ في نارِ جَهَنَّمَ .

﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠) ﴾

وَمِنْ مَكْرِ اللهِ بِهِ أَنَّ اللهَ سَيُعْطيهِ في الدُّنيا ما يُريدُهُ مِنْ مالٍ وَوَلَدٍ ، وَلكِنَّهُ سَيُخَلِّفُ ذلِكَ كُلَّهُ وَراءَ ظَهْرِهِ عِنْدَما يَموتُ ، وَسَيُبْعَثُ يَوْمَ القِيامَةِ فَرْداً بِلا مالٍ وَلا وَلَدٍ ، فَحالُهُ يَوْمَ القِيامَةِ عَلى عَكْسِ زَعْمِهِ .

﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا (٨١) ﴾

بَعْدَ أنْ بَيَّنَتِ الآياتُ مَصيرَ ذلِكُمُ الكافِرِ تَنْتَقِلُ لِتُبيِّنَ حالَ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ ، وَأَشْرَكَ بِهِ فَلَقَدِ اتَّخَذَ المُشْرِكونَ الأَصْنامَ آلِهَةً مِنْ دونِ اللهِ ، كَما عَبَدوا أَشْياءَ لا تَسْتَحِقُّ العِبادَةَ لِيَسْتَمِدّوا مِنْها العِزَّةَ في الدُّنيا ، وَلِتَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ اللهِ في الآخِرَةِ . وَلكِنْ لَيْسَ الأَمْرُ كَما زَعَموا .

---

(١) رواه البُخاريُّ في كتابِ الخصوماتِ ، رقم الحديث ٢٢٤٧ ، ورواهُ مسلمٌ في كتابِ صفة القيامة والجنّة والنار ، رقم الحديث : ٥٠٠٣ .

﴿ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾

رَدْعٌ لَهُمْ عَنْ ذلِكَ الاعْتِقادِ الباطِلِ ، فَإنَّ الأَصْنامَ وَكُلَّ ما عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ سَتَجْحَدُ يَوْمَ القِيامَةِ عِبادَتَهُمْ بِأَنْ يُنطِقَها اللهُ ، وَتَكونَ هَذِهِ الآلِهَةُ المَزْعومَةُ أَعْداءً لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ .

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴿٨٣﴾ ﴾

أَلَمْ تَعْلَمْ أيُّها النَّبيُّ أنّا سَلَّطْنا الشّياطينَ عَلَى الكُفّارِ ؛ تَدْفَعُهُمْ إلى الكُفْرِ دَفْعاً شَديداً ، وَتُغْريهِمْ عَلَى الشَّرِ وَتُحَرِّضُهُمْ عَلَيْهِ . وَذَلِكَ ابْتَلاءٌ مِنَ اللهِ لَهُمْ ، فَلَمْ يُقاوِموا هَؤلاءِ الشَّياطينَ ، وانْساقوا مَعَهُمْ في الضَّلالِ ، وَإنَّ تَسْليطَ الشَّياطينَ عَلَى الكافِرينَ بِسَبَبِ اتِّباعِهِمْ لَهُمْ ، وَبُعْدِهِم عَنِ اللهِ خالِقِهِمْ .

﴿ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ﴿٨٤﴾ ﴾

فَلا تَتَعَجَّلْ حُصولَ العَذابِ لَهُمْ جَزاءَ كُفْرِهِمْ ، فإنَّنا نَعُدُّ عَلَيْهِمْ أَيامَهُمْ وَأنفاسَهُمْ ، وَنُحصي لهَمْ أَعْمالَهَمْ لِنُجازِيَهُمْ عَلَيْها يَوْمَ القِيامَةِ .

﴿ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ ﴾

في هذا اليَوْمِ يَحْشُرُ اللهُ المُتَّقينَ ، وَيُساقونَ وَفْداً مُكَرّماً مُنَعَّماً ، راكِبينَ مُنْتَظِرينَ الإنْعامَ عَلَيْهِمْ .

﴿ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾ ﴾

وَيَسوقُ اللهُ الكافِرينَ إلى جَهَنَّمَ عِطاشاً ، يُساقونَ إليها سَوْقاً ، كَما تُساقُ البَهائِمُ إلى الماءِ ، وَلكِنَّهُمْ لا يَردونَ ماءً بَلْ ناراً حامِيَةً .

﴿ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾ ﴾

هؤلاءِ الكافِرونَ لا يَجدونَ في ذلكَ اليَوْمِ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ ، وَلا يَسْتَطيعونَ أَنْ يَشْفَعوا لِغَيْرِهِمْ ، لَكِنَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وعَمِلَ صالِحاً ، فَهذا يَمْلِكُ أَنْ يَشْفَعَ أَوْ يُشْفَعَ لَهُ بِإذنِ اللهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ القُرآن يَكْشِفُ شُبُهاتِ أهْلِ الباطِلِ وَيَدْحَضُها كما رَدَّ عَلَى العاصِ بْنِ وائِلٍ .

٢ـ قَدْ يُعطي اللهُ الكُفَّارَ الدُّنْيا لا لِكَرامَتِهِمْ ، بَلْ مَكْراً بِهِمْ ، وَيَحْرِمُ مِنْها الأَخْيارَ لِيَدَّخِرَ لَهُمُ الأَجْرَ والثَّوابَ .

٣ـ التَجَرُّؤُ عَلَى ادِّعاءِ عِلْمِ الغَيْبِ أمْرٌ خَطيرٌ عَواقِبُهُ وَخيمَةٌ .

٤ـ لا عَجَبَ مِمّا يُشاهَدُ مِنْ مُسارَعَةِ أهْلِ الفَسادِ إلَيْهِ ، لِوُجودِ شَياطينَ تَدْفَعُهُمْ إلَيْهِ .

٥ـ إكْرامُ اللهِ لِلمُؤْمنينَ يَوْمَ القِيامَةِ بِسَبَبِ حُسْنِ عَمَلِهِمْ ، وَإهانَةُ الكافِرينَ بِسَبَبِ سوءِ أفْعالِهِمْ .

٦ـ يُقيمُ الكُفَّارُ الاحْتِفالاتِ والرُّموزَ الشِّرْكِيَّةِ ، لِتَكونَ رَمْزَ عِزَّتِهِمْ وَوَحْدَتِهِمْ ، وَلكِنَّ الحَقيقَةَ أنَّها سَتَكونُ سَبَبَ عَذابِهِمْ وَهَلاكِهِمْ .

٧ـ الشَّفاعَةُ يَوْمَ القِيامَةِ تُعْطى لِمَنْ يَسْتَحِقُّها بِإذْنِ اللهِ وَرِضاهُ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما سَبَبُ نُزولِ قَولِهِ تعالى : ﴿أفرأيتَ الذي كفرَ بآياتنا . . . .﴾ ؟

٢ـ ما مَعْنى (كَلاّ) في آياتِ الدّرْسِ ؟

٣ـ ما عِلَّةُ اتِّخاذِ الكافِرينَ آلِهَةً مِنْ دونِ اللهِ ؟ وَهَلْ سَتُحَقِّقُ لَهُمُ الآلِهَةُ ما أَرادوا ؟

٤ـ وازِن بَيْنَ حالِ المُؤْمِنينَ والكافِرينَ مِنْ خِلالِ ما جاء في الآيَتَيْنِ الخامِسَةِ والثَّمانينَ والسَّادسَةِ والثَّمانينَ .

٥ـ ما شُروطُ جَوازِ أنْ يَشْفَعَ المَرْءُ أوْ يُشْفَعَ لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ ؟

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثَّلاثون

سورةُ مَرْيمَ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

إدّاً : مُنْكَراً عظيماً .

يَتَفَطَّرْنَ : يَتَشَقَّقْنَ .

تَخِرُّ الجِبالُ هَدّاً : تَسْقُطُ وتَنْهَدُّ .

وَدّاً : مَحَبَّةً .

قَوْماً لُدّاً : شَديدي الخُصومَةِ بِالباطِلِ .

قَرْنٍ : أُمَّةٍ .

تُحِسُّ : تَجِدُ أَوْ تَعْلَمُ .

رِكْزاً : صَوْتاً خَفِيّاً .



التفسير :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ ﴾

افْترى طَوائِفُ مِنَ النَّاسِ عَلَى اللهِ ، فزَعَموا أنَّهُ اتَّخذَ وَلَداً ، فقالَ المُشْرِكونَ : المَلائِكَةُ بَناتُ اللهِ . وَقالَ اليَهودُ : عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ . وَقالَتِ النَّصارى : المَسيحُ ابنُ اللهِ ، وَرَدَّ اللهُ تعالى عَلَيْهِمْ بِقَولِهِ :

﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ ﴾

هذا زَعْمٌ باطِلٌ وافْتِراءٌ عَظيمٌ عَجيبٌ مِنْكُمْ ، وَمُنْكَرٌ فَظيعٌ قَبيحٌ ، وَيُلاحَظُ انْتِقالُ الآيَةِ مِنَ الغَيْبَةِ في (قالوا) إلى الخِطابِ في (جِئْتُمْ) تَهْويلاً لِلأَمْرِ ، وَبَياناً لِعَظيمِ غَضَبِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ عَلَيْهِمْ .

﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾ .

تُوشِكُ السَّمواتُ ـ عَلى عَظَمَتِها وَإِحْكامِ خَلْقِها ـ أَنْ تَتَصَدَّعَ وَتَتَشَقَّقَ مِنْ فَظاعَةِ هذا القَوْلِ ، وَأَنْ تَسْقُطَ الجِبالُ وَتَنْهَدِمَ وَتَزولَ ، وَذلِكَ مِنْ هَوْلِ هذهِ الكَلِمَةِ وَشَناعَتِها ، وَهِيَ نِسْبَةُ الوَلَدِ للهِ سُبْحانَهُ ، وَذلِكَ لأَنَّ هَذِهِ المَخْلوقاتِ تُسَبِّحُ للهِ ، وَتَأْتَمِرُ بِأَوامِرِهِ ، وَتَسْجُدُ لَهُ ، وَتُطيعُهُ ، وَلِذا يَكادُ يَحْصُلُ لَها ما وُصِفَ لِفَظاعَةِ هذا القَوْلِ .

﴿ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ ﴾

أَيْ أَنَّه لا يَليقُ باللهِ تعالى أَنْ يَكونَ لَهُ وَلَدٌ ، فَإِنَّ وُجودَ الوَلَدِ يَقْتَضي أَنْ يَكونَ مِنْ جِنْسِهِ ، أَيْ إلهاً مِثْلَهُ ، وَيَكونَ الوَلَدُ عَنْ حاجَةٍ ، واللهُ سُبْحانَهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الشَّبيهِ والنَّظيرِ ، وَغَنِيٌّ عَنِ المُعينِ والنَّصيرِ .

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾

وَما مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ السَّمواتِ والأَرْضِ ، مِنَ المَلائِكَةِ والجِنِّ والإِنْسِ وَسائِرِ الخَلْقِ ، إلا هو مَمْلوكٌ للهِ ، عَبْدٌ لَهُ خاضِعٌ لأَمْرِهِ ، وَهذا رَدٌّ عَلَى مَنْ نَسَبَ الوَلَدَ للهِ ، فَلا خالِقَ إلاَّ هُوَ سُبْحانَهُ ، وَكُلُّ ما عَداهُ مَخْلوقٌ مُنْقادٌ لأَمْرِهِ خاضِعٌ لإِرادَتِهِ .

﴿ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ ﴾

أَيْ حَصَرَهُم وَأَحاطَ بِهِمْ ، فَعِلْمُ اللهُ تعالى شامِلٌ مُحيطٌ بِكُلِّ خَلْقِهِ ، يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ ، وَسَكَناتِهِمْ وَأَنْفاسَهُمْ وَحَرَكاتِهِمْ .

﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾

وَكُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ ، سَيَأتي يَوْمَ القِيامَةِ وَحيداً ، دونَ أَهْلٍ وَلا مالٍ وَلا أعْوانٍ ، فَكَيْفَ تَوَهَّمَ المُشْرِكونَ أنَّ اللهَ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ وَلَداً ، وَهُوَ سُبْحانَهُ لا يُجانِسُهُ شَيءٌ مِنْ خَلْقِهِ وَلا يُشْبِهُهُ أحَدٌ مِنْهُمْ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ ﴾

بَعْدَ ذِكْرِ أحْوالِ المُجرِمينَ التي اسْتَحَقُّوا بِسَبَبِها غَضَبَ اللهِ وَإبعادَهُمْ مِنْ رَحْمتِهِ ، ذَكَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ أحْوالَ المُؤْمنينَ ، فَأخْبَرَ أنَّهُ سَيَجْعَلُ لِمَنْ آمَنَ بِهِ ، وَعَمِلَ صالِحاً مَحَبَّتَهُ في قُلوبِ عِبادِهِ المُؤْمنينَ ، فَأَهْلُ الإيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ مُتَوادّونَ مُتَحابّونَ ، وَهذا مِنْ ثِمارِ مَحَبَّةِ اللهِ تعالى لَهُمْ ، فَهُوَ ـ سُبْحانَهُ وَتعالى ـ يُحِبُّهُمْ ويُحَبِّبُهُمْ إلى النّاسِ .

وَقَدْ وَرَدَ في الحَديثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنَّهُ قال : « إنَّ اللهَ ـ تَبارَكَ وَتَعالى ـ إذا أَحَبَّ عَبْداً نادى جِبْريلُ : إنَّ اللهَ قَدْ أحَبَّ فُلاناً فَأَحِبَّهُ ، فَيُحِبَّهُ جِبْريلُ ، ثُمَّ يُنادي جِبْريلُ في السَّماءِ إنَّ اللهَ قَدْ أحَبَّ فُلاناً فَأحِبّوهُ ، فُيُحِبَّهُ أهْلُ السَّماءِ ، وَيوضَعُ لَهُ القَبولُ في أهْلِ الأرضِ »[1] .

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾

يُخْبِرُ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّهُ جَعَلَ القُرآنَ الكَريمَ مُيَسَّراً ، سَهْلاً لِمَنْ يُريدُ قِراءَتَهُ وَحِفْظَهُ وَفَهْمَهُ ، بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبينٍ ، لِيَكونَ بِشارَةً لِلمُتَّقينَ وَمُخَوِّفاً لِلقَوْمِ المُعانِدينَ ، الشَّديدي الخُصومَةِ بِالباطِلِ ، وَفي هذا حَثٌّ عَلَى الْتِزامِ التَّقْوى ، والبُعدِ عَنِ العِنادِ والخُصومَةِ بِالباطِلِ فَإنَّها لَيْسَتْ مِنَ الأخْلاقِ المَحْمودَةِ .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ ﴾

وَتُخْتَمُ السُّورَةُ بِبَيانِ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِ اللهِ تَعالى في الظّالِمينَ ، أنَّهُ يُهْلِكُهُمْ وَيُبيدُهُمْ بِسَبَبِ تَكذيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ ، فَلا يَبْقى مِنْهُمْ أحَدٌ يُسْمَعُ صَوْتُهُ أَوْ يُرى أَوْ يُشْعَرُ بِهِ ، وَقَدْ أهْلَكَ اللهُ كَثيراً مِنَ الأُمَمِ السّابِقَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ ادِّعاءُ الوَلَدِ للهِ مُنْكَرٌ فَظيعٌ ، وَفِعْلٌ قَبيحٌ .

---

(١) رواه البخاريُّ في كتابِ التَوحيدِ ، باب رقم ٣٣ ، رقم الحديث : ٧٠٤٧ .

٢ـ الكُفْرُ باللهِ وَنِسْبَةُ السُّوءِ إِلَيْهِ تُفْسِدُ الكَوْنَ وَقَدْ تُدَمِّرُهُ ، كَما أَخْبَرَنا ﴿تَكادُ السَّمواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وتَخِرُّ الجِبالُ هَدًّا﴾ .

٣ـ لا يَجوزُ لِلمُؤْمِنِ أَنْ يَوادَّ وَيُحِبَّ الَّذينَ يُجْرِمونَ في حَقِّ اللهِ هَذِهِ الجَريمَةَ النَّكْراءَ ، بَلْ هُوَ أَعْظَمُ الجَرائِمِ التي يَرْتَكِبُها البَشَرُ .

٤ـ كُلُّ المَخْلوقاتِ مَمْلوكَةٌ للهِ خاضِعَةٌ لأَمْرِهِ .

٥ـ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ مُحيطٌ بِخَلْقِهِ ؛ لا يَغيبُ عَنْ عِلْمِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ .

٦ـ تَعريفُ اللهِ النّاسَ بِالحالَةِ التي يُبْعَثونَ عَلَيْها في يَوْمِ القِيامَةِ .

٧ـ مَصيرُ المُؤْمِنينَ في الآخِرَةِ حَيْثُ يُحْشَرونَ إلى الرَّحْمنِ وَفْدا ، وَمَصيرُ الكافِرينَ حَيْثُ يُساقونَ إلى النّارِ وِرْدا .

٨ـ الإيمانُ والعَمَلُ الصّالِحُ يُؤَدِّيانِ إلى مَحَبَّةِ اللهِ وَمَحَبَّةِ المُؤْمِنينَ .

٩ـ يَسَّرَ اللهُ تعالى القُرْآنَ لِعِبادِهِ لِيُقْبِلوا عَلَيْهِ ، وَيَعْمَلوا بِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ اذْكُرْ أَسْماءَ بَعْضِ الطَّوائِفِ الذينَ زَعموا الوَلَدَ للهِ .

٢ـ بَيَّنَتِ الآياتُ أَنَّ الادِّعاءَ بِوُجودِ وَلَدٍ للهِ أَمْرٌ خَطيرٌ عَظيمٌ . وَضِّحْ ذلكَ .

٣ـ في الآياتِ الكَريمةِ أَكْثَرُ مِنْ رَدٍّ عَلَى مَنْ زَعَمَ الوَلَدَ للهِ . بَيِّنْ هذهِ الرُّدودَ .

٤ـ ما مَعنى ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرحمنُ وُدّاً﴾ ؟

٥ـ ما فائِدَةُ تَيْسيرِ القُرآنِ ؟

٦ـ بَيَّنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ سُنَّةً مِنْ سُنَنِ اللهِ الثّابِتَةِ في خَلْقِه . وَضِّحْ هَذِهِ السُّنَّةَ مَعَ الدَّليلِ .

٧ـ ما السُّورَةُ التي تَرَدَّدَ فيها قَوْلُهُ تعالى : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرْ﴾ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةَ الكُرْسِيِّ ، وَبَيِّنِ النَّصَّ الَّذي يَتَّفِقُ مَعَ الآيَةِ (٩٤) .

٢ـ اقْرَأْ سورَةَ القَمَرِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها آيَةً تَدُلُّ عَلَى تَيْسيرِ القُرآنِ لِمَنْ أَرادَ الخَيْرَ والفائِدَةَ .

الدَّرْسُ الحادي والثَّلاثونَ

سورَةُ طه - القِسْمُ الأوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورَةُ (طه) مَكِّيَّةٌ ، وَمَوْضوعُها الرَّئيسُ تَثْبيتُ النَّبيِّ ﷺ في مُواجَهَةِ المُشْرِكينَ ، مِنْ خِلالِ الأمْرِ المُباشِرِ بذلِكَ ، والقِصَصِ . وَمُعْظَمُ السُّورَةِ عَرْضٌ لِقِصَّةِ موسى - عَلَيْهِ السَّلامُ - وَبَيانُ رِعايَةِ اللهِ لَهُ ، ثُمَّ قِصَّةِ آدَمَ ، وَما فيها مِنَ العِبْرَةِ . وَفي ثَنايا السُّورَةِ تَبْرُزُ مَشاهِدُ يَوْمِ القِيامَةِ ، وَتُخْتَمُ بِتَوْجيهاتٍ رَبَّانِيَّةٍ لِلنَّبيِّ ﷺ أَنْ يَصْبِرَ وَيَحْتَمِلَ الأذى حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

طه : الطَّاءُ والهاءُ حَرْفانِ مِنَ الحُروفِ المُقَطَّعَةِ التي افْتُتِحَتْ بِها هَذِهِ السُّورَةُ لِلتَّنبيهِ عَلَى إعْجازِ القُرآنِ .

لِتَشْقى : لِتَتْعَبَ .

الثَّرى : التُّرابِ النَّدِيِّ .

وَأَخْفى : حَديثَ النَّفْسِ وَخَواطِرَها .

الحُسْنى : مُؤَنَّثُ الأحْسَنِ ، وَهِيَ في غايَةِ الحُسْنِ .

التفسيرُ :

﴿ طه ۝١ ﴾

بَدأتِ السُّورَةُ بِهذَيْنِ الحَرْفَيْنِ : طا ، ها ، وَهُما مِثْلُ سائِرِ الحُروفِ المُقَطَّعةِ في فواتحِ السُّوَرِ ، تُبَيِّنُ لِلنّاسِ أنَّ القُرآنَ مُؤلَّفٌ مِنْ جِنْسِ هذهِ الحرُوفِ ، وَمعَ ذلكَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أحَدٌ مِنْهُمْ أنْ يُعارِضَهُ أَوْ يَأتِيَ بِسورَةٍ مِثْلِهِ ، فَوَجبَ عَلَيْهِمُ الإيمانُ بِهِ .

﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ ﴾

هذا خِطابٌ لِرَسولِ اللهِ ﷺ لِتَسْلِيَتِهِ عَمَّا أصابَهُ مِنْ أذى المُشْرِكينَ ، وَإخْبارِهِ أنَّ اخْتيارَهُ لِلرِّسالَةِ وَإنْزالَ القُرآنِ عَلَيْهِ ، لَمْ يَكُنْ مِنْ أجْلِ شَقائِهِ ، وَإنَّما القَصْدُ مِنْ وَراءِ ذلِكَ أَنْ يُبَلِّغَ دَعْوَةَ اللهِ إلى العالَمين ، فالتَّعَبُ والمُعاناةُ والجُهْدُ المَبْذولُ مِنَ الرَّسولِ ﷺ لَيْسَ مَقْصوداً بِهِ الشَّقاءُ ، وَإنَّما إقامَةُ الحُجَّةِ .

وَتَخْصيصُ التَّذْكِرَةِ بِمَنْ يَخْشى لأنَّهُ الَّذي يَنْتَفِعُ بِهِداياتِ الآياتِ كَما في قَولِهِ تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق : ٤٥] .

﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ﴾

هذا تبيينٌ أنَّ القُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنَ اللهِ الَّذي خَلَقَ الأرْضَ ، وَخَلَقَ السّماواتِ العالِيَةَ ، المُتْقَنَةَ الصُّنْعِ ، وَفي هذا لَفْتٌ لِنَظَرِ الإنْسانِ أنْ يَتَأمَّلَ في المَخْلوقاتِ حَوْلَهُ ، وَيَسْتَدِلَّ بِها عَلى عِظَمِ خالِقِها .

والعُلى جَمْعُ العُليا ، وَهِيَ مُؤَنَّثُ الأعْلى ، وَوَصْفُ السَّماواتِ بِها لِتَأْكيدِ فَخامَتِها وَعَظَمَتِها وَعُلُوِّها .

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾

وَصَفَ نَفْسَهُ ـ سُبْحانَهُ ـ بالرَّحْمَةِ بَعْدَ أنْ ذَكَرَ خَلْقَهُ الأرْضَ والسَّماواتِ ، لِلإشارَةِ إلى أنَّ خَلْقَهُما مِنْ آثارِ رَحْمَتِهِ . والاسْتِواءُ على العَرْشِ صِفَةٌ للهِ تعالى ، يَجِبُ الإيمانُ بِها كما وَرَدَتْ ، وَتَفْويضُ العِلْمِ بِحَقيقَتِها إلى اللهِ تعالى ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ ﴾

تُبَيِّنُ الآيَةُ الكَريمةُ شُمولَ مُلْكِ اللهِ تعالى لِكُلِّ شَيءٍ ، فالمَخلوقاتُ التي في السَّمواتِ كالمَلائِكَةِ ، والتي في الأرْضِ كالحَيَواناتِ والإنْسانِ والنَّباتِ ، والتي في الجَوِّ كالطُّيورِ والسَّحابِ

والهواءِ ، والتي في جوْفِ الأرْضِ كالمَعادِنِ والمياهِ ، كُلُّها للهِ أحاطَ بها مُلكُهُ وعِلْمُهُ وقُدْرَتُهُ ، وللهِ كذلكَ ما تحتَ الثرى ، والثَّرى هُوَ التُّرابُ النَّدِيُّ ، يُقالُ ثريتِ الأرْضُ ، إذا نَدِيَتْ ولانَتْ بَعْدَ الجُدوبَةِ واليَبَسِ ، وما تحتَ الثَّرى هُوَ طَبَقاتُ الأرْضِ المُخْتَلِفَةُ إلى نِهايَتِها ، وخَصَّهُ اللهُ تعالى بالذِّكْرِ مَعَ دُخولِهِ في لَفْظِ الأرْضِ ، لِتأْكيدِ شُمولِ مُلْكِيَّتِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ لِكُلِّ شيءٍ .

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾

هذا بَيانٌ لِشُمولِ عِلْمِ اللهِ تعالى ، بَعْدَ بَيانِ شُمولِ مُلْكِهِ ، والجَهْرُ بالقَوْلِ : رَفْعُ الصَّوْتِ بِهِ ، والسِّرُّ : ما حَدَّثَ الإنسانُ بِهِ غَيْرَهُ في خَفاءٍ ، وأخْفى مِنَ السِّرِّ ما يُحدِّثُ بِهِ الإنسانُ نَفْسَهُ دونَ أنْ يُطْلِعَ عَلَيْهِ أحداً .

وَفي الآيَةِ تَنْبيهٌ عَلى اسْتِواءِ الجَهْرِ والسِّرِّ في عِلْمِ اللهِ ، وأنَّ الجَهْرَ بالذِّكْرِ والدُّعاءِ لَيْسَ لإعْلامِ اللهِ تعالى ، بَلْ يُشْرَعُ ذلِكَ لِهَدَفٍ آخَرَ كالتَّعليمِ وتَذْكيرِ الآخرينَ ، وقَطْعِ الوَسْوَسَةِ ، وإبْعادِ النَّفْسِ عَنِ الشَّواغِلِ الأُخْرى ، وحينَ يَسْتَشْعِرُ المَرْءُ قُرْبَ اللهِ مِنْهُ بِسِرِّهِ ونَجواهُ يَطْمَئِنُّ ويَأْنَسُ ويَبْتَعِدُ عَنِ المَعاصي والسَّيِّئاتِ .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾

يُبَيِّنُ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّهُ وَحْدَهُ المُسْتَحِقُّ لِلعبادَةِ بِحَقٍّ ، وأنَّ لَهُ الأسْماءَ الحُسنى الَّتي لا تَكونُ إلاَّ لَهُ ، ولا تَكونُ لِغَيْرِهِ ، فَذاتُهُ واحِدَةٌ وأسْماؤُهُ وصِفاتُهُ مُتَعَدِّدَةٌ ، كَما قالَ في آيَةٍ أُخْرى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] وفي هذا البيانِ رَدٌّ عَلى المُشْرِكينَ الَّذينَ كانوا يَقولونَ : ما بالُ مُحمّدٍ يَدعونا إلى إلهٍ واحِدٍ ، وهُوَ يَدْعو إلهَيْنِ : اللهَ ، والرَّحْمنَ ، فَهِيَ أسْماءٌ لَهُ سُبْحانَهُ ، وهِيَ حُسْنى لِدَلالَتِها عَلى أشْرَفِ المَعاني وأفْضَلِها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الغايَةُ مِنْ إرْسالِ الرُّسُلِ وإنْزالِ الكُتُبِ تعريفُ النَّاسِ بِرَبِّهِمْ ، وتَعَبُّدِهِمْ لَهُ ، وإقامَةُ الحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، ولَيْسَ المُرادُ بذلِكَ جَلْبُ الشَّقاءِ لِلرُّسُلِ والدُّعاةِ .

٢ـ القُرْآنُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ حَقّاً وصِدْقاً .

٣ـ تَعْريفُ العِبادِ باللهِ فَهُوَ مُنَزِّلُ القُرْآنِ ، خالِقُ السَّمواتِ والأرْضِ ، لَهُ كُلُّ ما في الأرْضِ والسَّماءِ ، وهُوَ عَليمٌ بِكُلِّ شيءٍ .

٤ـ اللهُ عالٍ عَلَى عرْشِهِ بائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ ، والواجِبُ عَلَى المُؤْمِنِ إثْباتُ الصِّفاتِ الَّتي أَثْبَتَها اللهُ تعالى لِنَفْسِهِ .

٥ـ القُرآنُ كِتابُ الهِدايَةِ والسَّعادَةِ .

٦ـ شُمولُ عِلْمِ اللهِ تعالى لِكُلِّ شَيءٍ ، وَإحاطَةُ مُلْكِهِ بِكُلِّ شَيءٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعنى (طَهَ) ؟ وَما الحِكْمَةُ مِن افْتتاحِ بَعضِ السُّوَرِ بِالحُروفِ المُقَطَّعَةِ ؟

٢ـ بيَّنَتِ الآياتُ حِكْمَةَ نُزولِ القُرْآنِ الكَريمِ ، فَما هيَ ؟

٣ـ ما مَعنى (العَلِيّ) ؟ وَما سِرُّ وَصْفِ السَّماواتِ بِها ؟

٤ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ ذِكْرِ الثَّرى بَعْدَ ذِكْرِ الأَرْضِ مَعَ انْدِراجِهِ فيها ؟

٥ـ أـ ما الفَرْقُ بَيْنَ السِّرِّ والجَهْرِ ؟

ب ـ هَلْ هُناكَ أَخْفى مِن السِّرِّ ؟ ما هُوَ ؟

٦ـ بيِّنِ الحالاتِ التي يُشْرَعُ فيها الجَهْرُ بالذِّكْرِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما قالَهُ الإمامُ مالِكٌ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ عِنْدَما سُئِلَ عَنْ تَفْسيرِ الآيَةِ (٥) .

٢ـ كَمْ عَدَدُ أَسْماءِ اللهِ تعالى ؟ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ عَشَرَةً مِنْها .

٣ـ ارْجِعْ إلى كِتابٍ في السِّيرَةِ ، واقْرَأْ مِنْهُ قِصَّةَ إسْلامِ عُمَرَ بْنِ الخَطّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وَتَأَمَّلْ في مَعنى الآياتِ التي قَرَأَها ، وَكانَتْ سَبَباً لإسْلامِهِ ، وَهِيَ هذهِ الآياتُ (١ـ ٨) ، وَدَوِّنْ ذلكَ في دَفْتَرِكَ .

* * *

الدَّرسُ الثَّاني والثَّلاثونَ

سورَةُ طهَ - القِسْمُ الثّاني

وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **امْكُثوا** : أقيموا في مَكانِكِمْ .
- **آنَسْتُ** : أبصَرْتُ بِوُضوحٍ .
- **بِقَبَسٍ** : بِشُعْلَةِ نارٍ عَلَى رَأْسِ عودٍ ، أَوْ ما يُشْبِهُهُ .
- **هُدىً** : هادِياً يَهديني الطَّريقَ .
- **المُقَدَّسِ** : المُطَهَّرِ المُبارَكِ .
- **طُوى** : اسْمُ الوادي .
- **فَتَرْدى** : فَتَهْلِكَ .

التفسيرُ :

القِصَّةُ الأُولى في هَذِهِ السُّورَةِ قِصّةُ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وابْتَدأَتِ الآياتُ بِذِكْرِ البِعْثَةِ والتَّكْليفِ بِالرِّسالَةِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ٩ ﴾

هذا شُروعٌ في قِصَّةِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَبَدَأتِ القِصَّةُ بالاسْتِفهام لِتَقريرِ الخَبَرِ ، وَتَثْبيتِهِ في النَّفْسِ ، وَهذا أبْلَغُ مِنْ مَجيئِهِ بِصورَةِ الخَبَرِ المُجَرَّد ، لأنَّ المَسْؤولَ يَشْتاقُ لِسَماعِ الخَبَرِ ، فَإذا سَمِعَهُ تَقرَّرَ في نَفْسِهِ . وَحَديثُ موسى : خَبَرُهُ وَقِصَّتُهُ ، وَفيها إثْباتُ وَحْدانيَّةِ اللهِ ، وَتَسْلِيَةٌ لِلرّسولِ ﷺ عَمَّا أَصابَهُ مِنْ قَوْمِهِ .

﴿ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠ ﴾ .

هَذا أَوّلُ مَشاهِدِ القِصَّةِ ، يَظْهَرُ موسى عَلَيْهِ وَهُوَ سائِرٌ مَعَ أَهْلِهِ في لَيْلَةٍ ظَلْماءَ بارِدَةٍ ، أَضَلَّ فيها الطَّريقَ ، وَكانَ عائِدا مِنْ أرْضِ مَدْيَنَ إلى مِصْرَ ، بَعْدَ أنْ أقامَ في أرْضِ مَدْيَنَ عَشْرَ سَنَواتٍ ، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ ، فَرَأى ناراً اسْتَأْنَسَ بِها ، وَطَلَبَ مِنْ أهْلِهِ ؛ أيْ زَوْجَتِهِ ، أنْ تَبْقى في مَكانِها حَتّى يَصِلَ إلى المَكانِ الَّذي رَأى فيهِ النَّارَ ، وَيَأتِيَ مِنْه بِشُعْلَةٍ أو يَجِدَ في المَكانِ مَنْ يدُلُّهُ عَلَى الطَّريقِ .

والتَّعبيرُ عَنْ إبْصارِ النّارِ بـ(آنَسْتُ) لأنَّ مَنْ كانَ في مِثْلِ حالِ موسى ـ عَلَيْه السَّلامُ ـ يَسيرُ في الصَّحراءِ لَيْلاً بِلا هادٍ وَلا ضَوْءٍ ، إذا أبْصَرَ ما يدُلُّ عَلَى وُجودِ مَنْ يُعينُهُ سُرَ واستَأنَسَ . وَمُخاطَبَةُ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِزَوْجَتِهِ بالجَمْعِ في قَولِهِ (امْكُثوا) تَفْخيمٌ لِشَأْنِها ، وَطَلَبُهُ مِنْها أنْ تَبْقى في مَكانِها ، إراحَةٌ لَها وَحَذَرٌ عَلَيْها .

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ ﴾

فَلَمَّا وَصَلَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلى مَكانِ النَّارِ ، نودِيَ مِنَ اللهِ تعالى .

﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ ﴾

أيْ خالِقُكَ وَرازِقُكَ وَمُدَبِّرُ أمْرِكَ ، وَأمَرَهُ ـ سُبْحانَهُ ـ بِخَلْعِ نَعْلَيْهِ لِيُباشِرَ بِقَدَمَيْهِ الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ ، وَلأنَّ الحَفاءَ أظْهَرُ لِلتَّواضُعِ ، وَحُسْنِ الأَدَبِ ، فَفي الآيَةِ أَمْرٌ وَبَيانٌ ، أَمْرٌ بِخَلْعِ النَّعْلِ ، وَبَيانُ فَضْلِ المَكانِ ؛ فَهُوَ الوادي المُقَدَّسِ طوى .

وَيَسْتَمِرُّ الخِطابُ الإلهِيُّ لِموسى عَلَيْهِ السَّلامُ :

﴿ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣ ﴾

إنِّي اصْطَفَيْتُكَ لِلنُّبوَّةِ والرِّسالَةِ ، فَأصغِ سَمْعَكَ لِما يُوحَى إلَيْكَ ، فَإنَّهُ أمْرٌ عَظيمٌ هائِلٌ يَحْتاجُ إلى التَّأَهُّبِ وَكَمالِ الانْتِباهِ والإصْغاءِ .

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾ .

هذا تَفْصيلُ ما أَوْحاهُ اللهُ تعالى إلى موسى عَلَيْهِ السَّلامُ : عَرَّفَهُ بِأَنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ الإلهُ الواحِدُ المَعْبودُ بحَقٍّ ، فَلا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ والطَّاعَةَ سِواهُ ، والعِبادَةُ : غايَةُ التَّذَلُّلِ والانْقِيادِ لَهُ في كُلِّ ما يُكَلِّفُ بِهِ .

ثُمَّ خَصَّ ـ سُبْحانَهُ ـ الصَّلاةَ بِالذِّكْرِ ، وَأَفرَدَها بالأَمْرِ مَعَ انْدِراجِها ضِمْنَ الأَمْرِ بالعِبادَةِ ، لِمَزيدِ فَضْلِها عَلَى سائِرِ العِباداتِ ، وَلاشْتِمالِها عَلَى أَلْوانٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ صُوَرِ الطَّاعَةِ . وَمَعنى (لِذِكْري) أيْ لِتَذْكُرَني بِها ، وَتَبْقى دائِمَ الصِّلَةِ بِرَبِّكَ .

ثُمَّ أَخْبَرَهُ عن قِيامِ السَّاعَةِ ، وَحُصولِ الأَجْرِ والثَّوابِ .

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ ﴾

أيْ إنَّ السَّاعَةَ التي هِيَ وَقْتُ البَعْثِ والحِسابِ والجَزاءِ كائِنَةٌ وَحاصِلَةٌ لا شَكَّ فيها ، وَإِني أُخْفيها فَلا أُعْلِمُكُمْ أيَ شَيْءٍ عَنْها ، وَلَوْلا ما في الإخْبارِ بِإتيانِها دونَ تَحديدِ وَقْتِها مِنَ المَصْلَحَةِ لَما أخْبَرْتُ بِهِ ، فَهِيَ آتِيَةٌ في وَقْتٍ اللهُ أَعْلَمُ بِهِ ، لِتَنالَ كُلُّ نَفْسٍ جَزاءَ عَمَلِها مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ .

والحِكْمَةُ مِنْ إخْفاءِ وَقْتِ السّاعَةِ ، وَوَقْتِ المَوْتِ أَنَّ اللهَ تعالى حَكَمَ بِعَدَمِ قَبولِ التَّوْبَةِ عِنْدَ حُصولِهِما ، وَلَوْ عَرَفَ النَّاسُ وَقْتَ السَّاعَةِ أَوْ وَقْتَ المَوْتِ لاشْتَغَلوا بِالمعاصي ، ثُمَّ تابوا قَبْلَ ذلِكَ ، فَإِخْفاؤُهُما لِيَظَلَّ الإِنْسانُ عَلَى حَذَرٍ وَتَرَقُّبٍ واسْتِعْدادٍ مِنْ أَنْ تَبْغَتَهُمُ السَّاعَةُ أَوِ المَوْتُ .

﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾

فَلا يَصْرِفَنَّكَ ، وَيشْغَلكَ عَنِ الإيمانِ بالسَّاعةِ ، وَمُراقَبَتِها ، والاسْتِعْدادِ لَها بِالعَمَلِ الصّالِحِ ، مَنْ كان كافِراً بِها ، غَيْرَ مُعْتَقِدٍ بِوُقوعِها اتِّباعاً لِهَواهُ ، فَتَهْلِكَ مَعَهُ إنْ فَعَلْتَ ذلِكَ ، والخِطابُ لِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والمُرادُ بِهِ أُمَّتُهُ ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ مَعْصومٌ .

وَفي الآيَةِ إشارَةٌ إلى أَنَّ كُلَّ داعِيَةٍ إلى الخَيْرِ لا بُدَّ لَهُ مِنْ وُجودِ مَنْ يَعوقُهُ ، وَيَكْفُرُ بِهِ وَيُحاوِلُ حَرْفَهُ عَنِ الخَيْرِ ، وَفيها تَحْذيرٌ مِنْ كُلِّ داعٍ إلى الباطِلِ ، فَإِنَّهُ يَقودُ إلى العَذابِ والهَلاكِ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، مِنها :

١ ـ مِنَ الغَيْبِ الصَّادِقِ الَّذي يَجِبُ الإيمانُ بِهِ ما أُخْبِرْنا بِهِ في هذِهِ السُّورَةِ عَنْ قِصَّةِ موسى .

٢ـ اللهُ تَبارَكَ وَتعالى يَتَكَلَّمُ كَما يَشاءُ ، كَيْفَ شاءَ ، وَقْتَ ما يَشاءُ ، كَما كَلَّمَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ .

٣ـ كُلُّ الرُّسُلِ جاؤوا بِتَوْحيدِ الخالِقِ وَعِبادَتِهِ وَحْدَهُ لا شَريكَ ، بِذلِكَ أُمِروا ، وَبِهِ أُرْسِلوا .

٤ـ كُلُّ الرُّسُلِ أُمِروا بِالصَّلاةِ ، وَأُعْلِموا بِوُقوعِ السَّاعَةِ .

٥ـ العاقِلُ الفَطِنُ يَبْحَثُ عَمَّنْ يَهْديهِ وَيَدُلُّهُ عَلَى مُرادِهِ ، وَيُساعِدُهُ عَلَى قَضاءِ مَصالِحِهِ .

٦ـ إِخْفاءُ وَقْتِ السَّاعَةِ عَنِ الخَلْقِ لِيَسْتَعِدُّوا لَها ، وَيَعْمَلوا مِنْ أَجْلِها .

٧ـ اتِّباعُ دُعاةِ الباطِلِ يَقودُ إِلى الهَلاكِ وَالتَّرَدِّي .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسْئِلَةِ التالِيَةِ :

١ـ لِماذا بَدَأَتْ قِصَّةُ موسى بِالاسْتِفْهامِ ؟

٢ـ بَيِّنْ وَجْهَ التَّعْبيرِ في (آنَسْتُ) بَدَلاً مِنْ : رَأَيْتُ .

٣ـ لِماذا أُفْرِدَتْ إِقامَةُ الصَّلاةِ بِالأَمْرِ مَعَ انْدِراجِها في الأَمْرِ بِالعِبادَةِ ؟

٤ـ ما الحِكْمَةُ مِنْ إِخْفاءِ وَقْتِ السَّاعَةِ ؟

٥ـ لِمَنِ الخِطابُ في ﴿فَلا يَصُدَّنَّكَ﴾ ؟ وَما مَعْنى الآيَةِ .

٦ـ اذْكُرْ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ الدَّليلَ عَلَى كُلٍّ مِمّا يَأْتي :

أ ـ اللهُ تَعالى رَبُّ الخَلْقِ أَجْمَعينَ .

ب ـ لا مَعْبودَ بِحَقٍّ إِلاّ اللهُ .

ج ـ السَّاعَةُ حاصِلَةٌ لا مَحالَةَ .

د ـ هُناكَ مَنْ يَصُدُّ النَّاسَ عَنِ الإيمانِ بِالسَّاعَةِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيَةً أُخْرى غَيْرَ الآيَةِ (١٠) تَدُلُّ عَلَى هذا المَشْهَدِ مِنْ قِصَّةِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ جَوابَ الرَّسولِ ﷺ عِنْدَما سَأَلَهُ جِبْريلُ عَنِ السَّاعَةِ .

الدَّرسُ الثَّالِثُ والثَّلاثونَ

سورةُ طهَ ـ القِسْمُ الثَّالِثُ

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَتَوَكَّأُ عَلَيْها : أَعْتَمِدُ عَلَيْها عِنْدَ السَّيْرِ .

وَأَهُشُّ بِها : أَضْرِبُ بِها عَلَى وَرَقِ الشَّجَرِ لِيَسْقُطَ .

مَآرِبُ : مَنافِعُ ومَصالِحُ .

سيرَتَها الأُولى : حالَتَها الَّتي كانَتْ عَلَيْها .

جَناحَكَ : جَنْبَكَ .

طَغى : جاوَزَ الحَدَّ في التَّمَرُّدِ .

وَزيراً : مُعيناً وَظَهيراً .

أَزْري : قُوَّتي .



بَعْدَ بَيانِ عَظَمَةِ اللهِ تعالى ، وَأنَّهُ رَبُّ موسى ، والإلهُ الذي يَجبُ أن يُعْبَدَ ، يَأْتي الإخْبارُ عَنِ التَّأييدِ والتَّزويدِ بالأدِلَّةِ والبَراهينِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾

الاسْتِفهامُ لِلتّقْريرِ . فاللهُ تعالى عَليمٌ بِما في يَمينِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، والمَقصودُ مِنَ السُّؤالِ التَّنبيهُ عَلَى أنَّها عَصاً عادِيَةٌ ، فَإذا قَلَبَها اللهُ تعالى حَيَّةً ، عَلِمَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنَّها مُعْجِزَةٌ عَظيمَةٌ فازْدادَ يَقيناً وَطُمأنينَةً وَأُنْساً .

﴿ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾

أَجابَ موسى بِنِسْبَةِ العَصا إلى نَفْسِهِ ، ثُمَّ بَيَّنَ وَظيفَتَها ، وَأنَّهُ يَعْتَمِدُ عَلَيْها لِتُساعِدَهُ حالَ السَّيْرِ ، وَيَضْرِبُ بِها وَرَقَ الشَّجَرِ لِيَسْقُطَ فَتَأكُلَهُ الغَنَمُ ، وَأنَّ لِلعَصا حاجاتٍ وَمَنافِعَ أُخْرى .

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ .

طَلَبَ اللهُ عزَّ وَجَلَّ مِنْ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ أنْ يُلْقِيَ عَصاهُ ، لِيَرى ما يَكونُ بَعْدَ ذلِكَ .

﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾

فَلَمَّا أَلْقاها موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فُوجِئَ بِأنَّها حَيَّةٌ عَظيمَةٌ تَمشي عَلَى الأَرْضِ بِخِفَّةٍ وَسُرْعَةٍ ، والحَيَّةُ : اسْمٌ عامٌّ يُطلَقُ عَلَى الصَّغيرِ والكَبيرِ والذَّكَرِ والأُنْثى .

﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾

لَمَّا انْقَلَبَتِ العَصا حَيَّةً بِقُدْرَةِ اللهِ تعالى ، خافَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وتَمَلَّكَهُ ما يَحْصُلُ لِلبَشَرِ عِنْدَ مُشاهَدَةِ الأَهْوالِ والمَخاوِفِ ، فَثَبَّتَهُ اللهُ تعالى ، وَأَمَرَهُ أنْ يَأْخُذَها دونَ خَوْفٍ مِنْها . فَإنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ سَيُعيدُها إلى حالَتِها السَّابِقَةِ الَّتي كانَتْ عَلَيْها ، وَهِيَ العَصا .

﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾

وَأَدْخِلْ يَدَكَ في فَتْحَةِ قَميصِكَ ، واجْعَلْها إلى جَنْبِكَ تَحْتَ إبطِكَ ، ثُمَّ أَخْرِجْها تَخْرُجْ بَيْضاءَ لامِعَةً ، لَها نورٌ ساطِعٌ ، وَهذِهِ مُعجِزَةٌ أخْرى لَكَ ، وَلَيْسَتْ عَيْباً وَلا مَرَضاً وَلا بَرَصاً .

﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾

أيْ فَعَلْنا هذا لِنُرِيَكَ بِهاتَيْنِ المُعْجِزَتَيْنِ بَعْضَ آياتِنا العَظيمَةَ ، الدَّالَّةَ عَلَى صِحَّةِ رِسالَتِكَ ، فَيَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ وَلا تَضْطَرِبَ حينَ تَتَحوَّلُ العَصا إلى حَيَّةٍ أمامَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، ، وَلِتَكونَ هذِهِ دَلائِلَ وَبَراهينَ عَلَى صِدْقِ نُبُوَّتِكَ .

﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾

وَهُنا يَأتي التَّكْليفُ الإلهِيُّ لِموسى ـ عَلَيهِ السَّلامُ ـ بِتَبْليغِ دينِ اللهِ ، فَأمَرَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنْ يَذْهَبَ إلى فِرْعَونَ مَلِكِ مِصْرَ ، لِيَدْعُوَهُ إلى الاسْتِقامَةِ ، والخَيْرِ ، وَرَفْعِ الظُّلْمِ عَنِ الرَّعِيَّةِ ، فَإنَّه قد تجاوَزَ الحَدَّ في التَّجَبُّرِ والطُّغيانِ وادّعى الرُّبوبِيَّةَ .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ ﴾

عَلِمَ موسى أنَّهُ قَدْ كُلِّفَ بِأمْرٍ عَظيمٍ . فَدَعا رَبَّهُ أن يَشْرَحَ صَدْرَهُ ، وَيَهدِيَ قَلْبَهُ ، لِيَتَحَمَّلَ ما يُتَوَقَّعُ مِن الشَّدائِدِ ، وَأنْ يُسَهِّلَ لَهُ أمْرَهُ في تَبليغِ الدَّعْوَةِ وَإيصالِ الرِّسالةِ ، فإنَّهُ أجَلُّ الأُمورِ وَأعْظَمُها .

﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ ﴾ .

وَسَألَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ رَبَّهُ كَذلِكَ أنْ يُعينَهُ على حُسْنِ الإفْصاحِ والبَيانِ المُقْنِعِ ، وَأنْ يُطْلِقَ لِسانَهُ بِالنُّطْقِ ، وَيَدرأَ عَنْهُ صُعوبَةَ الإفْصاحِ ، وَثِقَلَ الكلامِ ، حَتى يَفْهَمَ النَّاسُ كَلامَهُ الواضِحَ المُبينَ .

﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ﴾

وَطَلَبَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ رَبِّهِ أنْ يُرْسِلَ مَعَهُ مُعيناً مِنْ أهْلِهِ ، وَناصِراً لَهُ يَحْمِلُ مَعَهُ أعْباءَ الرِّسالَةِ ، وَهُوَ أخوهُ هارونُ ، واخْتارَ أخاهُ لأنَّهُ أقْرَبُ إلى البِرِّ وَأدْعى لِلألْفَةِ .

﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾

بَيَّنَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنَّهُ طَلَبَ مِنَ اللهِ أنْ يُرْسِلَ مَعَهُ أخاهُ هارونَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِيُعينَهُ عَلَى الشَّدائِدِ ، وَيُقَوِّيَ بِهِ نَفْسَهُ وَيَحمِلَ مَعَهُ أعْباءَ الرِّسالةِ ، وَيَكُونَ شَريكاً لَهُ فيها حَتى يُؤدِّياها عَلَى الوَجْهِ الأكْمَلِ .

﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾

في هذهِ الآياتِ تَعليلُ طَلَبِ موسى إرْسالَ هارونَ عَلَيْهِما السَّلامُ مَعَهُ ، وَهُوَ أنْ يَتَعاوَنا عَلَى طاعَةِ اللهِ ، بِتَنْزيهِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ عَمّا لا يَليقُ بِهِ ، والمُداوَمَةِ عَلَى ذِكْرِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ والثَّناءِ عَلَيْهِ بِما يَليقُ بِجَلالِهِ ، فَإنَّ اللهَ ـ سُبْحانَهُ ـ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِما عالِمٌ بِأحْوالِهِما وَحاجاتِهِما .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ يُرْسِلُ اللهُ رُسُلَهُ بالآياتِ العَظيمَةِ التي تَدُلُّ عَلى صِدْقِهِمْ ، كَما أُرْسِلَ موسى بالعَصا واليَد .

٢ـ دَعا موسى رَبَّهُ بِأَنْ يَهَبَهُ ما يُؤَهّلَهُ لِتَحَمُّلِ الرِّسالَةِ وَعِبْءِ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُؤَهَّلَ لِلدَّعْوَةِ إلى اللهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يُحَقِقَ دَعْوَةَ موسى مِنْ شَرْحِ الصَّدْرِ ، وَتَيْسيرِ الأَمْرِ ، وَفَصاحَةِ القَوْلِ ، وَوُجودِ الوَزيرِ . . .

٣ـ اسْتِحْبابُ مُباشَرَةِ الأُمورِ المَحْمودَةِ ، وَعَمَلُ الأَشْياءِ الحَسَنَةِ باليَمين .

٤ـ مَشْروعِيَّةُ الدُّعاءِ قَبْلَ مُزاوَلَةِ العَمَلِ ، وَطَلَبُ الإعانَةِ مِنَ اللهِ عَلَيْه .

٥ـ الاسْتِعدادُ لِلعَمَلِ قَبْلَ الشُّروعِ فيه .

٦ـ اسْتِحبابُ طَلَبِ الرَّفيقِ المُعينِ عَلَى الخَيْرِ والطّاعَةِ ، وَبِخاصَّةٍ عِنْدَما يَقومُ المُسْلِمُ بِأَمْرٍ عَظيمٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما فائِدَةُ رُؤيَةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مُعْجِزَةَ العَصا واليَدِ قَبْلَ مُقابَلَتِهِ فِرْعَونَ ؟

٢ـ ما فائِدَةُ وُجودِ هارونَ مَعَ موسى عَلَيْهِما السَّلامُ ؟

٣ـ اذْكُرْ ثَلاثاً مِنَ العِبَرِ المُسْتَخْلَصَةِ مِنْ آياتِ هذا الدَّرْس .

٤ـ اذْكُرِ الأَشْياءَ الَّتي طَلَبَها موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ رَبِّهِ بَعْدَ أَمْرِهِ بالسَّيْرِ إلى فِرْعَوْنَ مُرَتَّبَةً حَسْبَ وُرودِها في الآياتِ .

٥ـ ما الآيتانِ اللَّتانِ زوّدَ اللهُ تعالى بِهِما موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عندما أُمِرَ بِتَبْليغِ دينِ اللهِ تعالى ؟

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَ حاجاتٍ يُمْكِنُ تَوظيفُ العَصا فيها .

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ طه - القِسْمُ الرّابِعُ

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

سُؤْلَكَ : ما سَأَلْتَهُ وَطَلَبْتَهُ .

اقْذفيهِ : أَلْقيهِ .

التَّابوتُ : صُنْدوقٌ مِنَ الخَشَبِ .

اليَمِّ : البَحْرِ أَوِ النَّهْرِ الكَبيرِ .

يَكْفُلُهُ : يُرَبِّيهِ .

فَتَنّاكَ : خَلَّصناكَ مِنَ المِحَنِ مِراراً .

لا تَنِيا : لا تُقَصِّرا .

يَفْرُطَ عَلَيْنا : يُعَجِّلَ بعقوبَتِنا .



التفسير :

بَعْدَ أنْ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ ما طَلَبَهُ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ رَبِّهِ عِنْدَما كَلَّفَهُ بِتبليغِ الدَّعْوَةِ ، يَأْتي تَبيينُ النِّعَمِ الَّتي أنعمَها اللهُ تَعالى عَلى موسى عَلَيْهِ السَّلامُ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾

قالَ اللهُ تَعالى لِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بَعْدَ أنْ دَعاهُ : قَدْ حَقَّقْنا لَكَ ما طَلَبْتَ مِنْ شَرْحِ الصَّدْرِ ، وَتَيْسيرِ الأَمْرِ ، وَإِطْلاقِ اللِّسانِ ، وَإرْسالِ هارونَ مَعَكَ مُعيناً وَوَزيراً ، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ أَنْعَمَ اللهُ بِها عَلى موسى عَلَيْه السَّلامُ .

﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

وَهذا تَذْكيرٌ مِنَ اللهِ تَعالى لِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِبَعْضِ ما أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ ، مِنْ غَيْرِ دُعاءٍ مِنْهُ ، وَقَبْلَ أنْ يَكونَ رَسولاً ، فَإذا كانَ اللهُ قَدْ رَعاهُ مِنْ قبلُ فَسَيَرْعاهُ مِنْ بَعْدُ فَلْيَطْمَئِنَّ .

﴿ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

هَذا بِدايَةُ التَّفصيلِ لِما أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلى موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إذْ أَلْهَمَ اللهُ تعالى أُمَّ موسى في شَأْنِهِ تَدْبيراً اقْتَنَعَتْ بِهِ تَماماً ، واسْتَقَرَّ في نَفْسِها قَوِيّاً وَأَبْهَمَ هذا الشَّيءَ أَوَّلاً في قَولِهِ ﴿ما يُوحى﴾ تَهْويلاً لِشَأْنِهِ ، وَتَعظيماً لأَمْرِهِ ، ثُمَّ فَسَّرَ لِيَكُونَ أَقَرَّ في النَّفْسِ .

والوَحْيُ : الإعْلامُ في خَفاءٍ ، والوَحْيُ الذي أَوْحى بِهِ إلى أُمِّ موسى كانَ عَنْ طَريقِ المَنامِ ، أَوْ أَنَّ جِبْريلَ قَذَفَ في رَوْعِها ما أَرادَهُ اللهُ مِنْها مِنْ غَيْرِ أنْ تُحِسَّهُ وَتَراهُ .

﴿ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

أَلْهَمَ اللهُ تَعالى أُمَّ موسى أَنْ تَضَعَهُ في صُندوقٍ مِنْ خَشَبٍ ، ثُمَّ تُلْقِيَهُ في نَهْرِ النِّيلِ ، وَسَيَتَوَلّى النَّهْرُ إيصالَهُ إلى السَّاحِلِ بِأَمْرِ اللهِ ، لِيَتَناوَلَهُ فِرْعَوْنُ الَّذي هُوَ عَدُوٌّ للهِ وَعَدُوٌّ لِموسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَقَدْ أَلْقى اللهُ حُبَّ الطِّفْلِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ في قَلْبِ المَلِكَةِ عِنْدَما رَأَتْه ، وَبِذلكَ حَفِظَ اللهُ موسى مِنَ القَتْلِ ، وَبَدَلاً مِنْ أَنْ يَفْتِكَ فِرْعَوْنُ بِهِ وَيَقْتُلَهُ ، كَما كانَ يَفْعَلُ بِسائِرِ أَطْفالِ بَني إسْرائيلَ رَعاهُ وَحَفِظَهُ ، اسْتِجابَةً لِرَغْبَةِ زَوْجَتِهِ المَلِكَةِ ، وَهكَذا تَرَبّى موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في قَصْرِ فِرْعَوْنَ تَحوطُهُ عِنايَةُ اللهِ تعالى وَرِعايَتُهُ .

﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

وَمِنْ مَظاهِرِ رِعايَةِ اللهِ لِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنَّ أُخْتَهُ بَعْدَ أَنْ أَمَرَتْها أُمُّهُ بِمَعْرِفَةِ خَبَرِهِ ، سارَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ وَتَتَبَّعُ أَثَرَهُ ، فَعَلِمَتْ أَنَّ أَخاها ـ بِقَدَرٍ مِنَ اللهِ ـ امْتَنَعَ عَنْ قَبولِ المَراضِعِ اللاّتي أَحْضَرَتْهُنَّ المَلِكَةُ لإِرْضاعِهِ ، فَأَخَذوا يَبْحَثونَ لَهُ عَنْ مُرْضِعٍ يَقْبَلُ ثَدْيَها ، فَعَرَضَتْ أُخْتُهُ عَلَيْهِمْ إِرْشادَهُمْ إِلى امْرَأَةٍ تُرْضِعُهُ وَتَرْعاهُ وَتَعْتَني بِهِ ، فَوافَقوا عَلى ما عَرَضَتْهُ عَلَيْهِمْ ، وَتَوَلَّتْ أُمُّهُ إِرْضاعَهُ ، وَقَرَّتْ عَيْنُها بِبَقائِهِ ، وَذَهَبَ عَنْها الحُزْنُ لِفِراقِهِ .

وَمِنْ مَظاهِرِ رِعايَةِ اللهِ تعالى ، وَحَفظِهِ لِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنْ أَنْجاهُ مِنَ الغَمِّ ، وَهُوَ الخَوْفُ مِنَ القِصاصِ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ رَجُلاً دونَ قَصْدٍ ، فَفَرَّ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَتَوَجَّهَ إِلى مَدْيَنَ ، وَأَقامَ سَنَواتٍ تَزَوَّجَ خِلالَها ، ثُمَّ انْطَلَقَ عائِداً إِلى مِصْرَ في الوَقْتِ الذي أَرادَهُ اللهُ لِيُكَلِّمَهُ ، وَيَخْتارَهُ لِلرِّسالَةِ ، وَهكَذا كانَ موسى يَنْتَقِلُ مِنَ ابْتِلاءٍ إِلى آخَرَ ، واللهُ سُبْحانَهُ يُنَجِّيهِ وَيُخَلِّصُهُ مِنْها .

﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ﴾

أَي اخْتَرْتُكَ لِرِسالَتي وَوَحْيي .

﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ﴾

اذْهَبْ مَعَ هارونَ بِحُجَجي وَبَراهيني وَمُعْجِزاتي ، وَلا تُقَصِّرا في ذِكْري وَتَسْبيحي ، لِيَكونَ عَوْناً لَكُما في مُواجَهَةِ الطّاغِيَةِ فِرْعَوْنَ .

﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾

تَبْيينٌ لِلمَقْصِدِ والوِجْهَةِ الَّتي سَيَذْهَبانِ إِلَيْها ، وَهِيَ الوُصولُ إِلى فِرْعَوْنَ الذي تَجاوَزَ الحَدَّ في ظُلْمِ الخَلْقِ ، وَفي الغُرورِ فادَّعى الرُّبوبِيَّةَ ، وَأَفْسَدَ في الأَرْضِ .

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾

هذا إِرْشادٌ مِنَ اللهِ تعالى لِموسى وَهارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ أَنْ يَسْتَعْمِلا أُسْلوبَ اللِّينِ في دَعْوَةِ فِرْعَوْنَ إِلى الهُدى ، لَعَلَّهُ بِهذا الاسْلوبِ اللَّيِّنِ البَعيدِ عَنِ الخُشونَةِ يَتَذَكَّرُ عَظَمَةَ اللهِ ، أَوْ يَخافُ سوءَ المَصيرِ الَّذي يَنْتَهي إِلَيْهِ أَهْلُ الطُّغْيانِ ، فَيُؤْمِنَ بِرَبِّهِ وَيَكُفَّ عَنْ غُرورِهِ وَطُغْيانِهِ .

وَفي الآيَةِ دَليلٌ عَلى أَنَّ الأَمْرَ بِالمَعروفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ ، يَنْبَغي أَنْ يَكونَ بِأُسْلوبٍ لَيِّنٍ ، وَبِكَلامٍ رَقيقٍ سَهْلٍ ، فَهذا أَوْقَعُ في النُّفوسِ ، وَأَبْلَغُ وَأَنْجَحُ وَأَبْعَدُ أَثَراً مِنَ الدَّعْوَةِ بِالخُشونَةِ

والقَسْوَةِ ، فإنَّها قَدْ تأتي بعَكْسِ المَقْصودِ . واللِّينُ في الدّعْوَةِ مَطلوبٌ حتى مَعَ أَشَدِّ النَّاسِ قَسْوَةً وَعِناداً وَأطْغاهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ سِواهُ ؟

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

أَظْهَرَ موسى وَهارونُ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ خَوْفَهُما مِنْ بَطْشِ فِرْعَوْنَ بِهِما لِما عَرَفاهُ عَنْهُ مِنَ الظُّلْمِ والبَطْشِ ؛ فَقَدْ يُعَجِّلِ بِعُقوبَتِهِما قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ تَمامَ الدَّعْوَةِ ، أَوْ أَنْ يَزدادَ طُغْياناً فَيَقولَ في حَقِّ اللهِ تعالى ما لا يَنْبَغي لِجُرْأَتِهِ وَقَساوَتِه .

﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾

طَمْأَنَهُما اللهُ تعالى ، وَبَيَّنَ لَهُما أَنَّهُ سَيَرْعاهُما وَيَحْفَظُهُما ، وَيُحيطُهُما بِعِنايَتِه ، وَهُوَ سُبْحانَهُ يَسْمَعُ ما يَقولانِ لِفِرْعَوْنَ ، وَما يَرُدُّ بِهِ عَلَيْهِما ، وَيَرى ما يَصْدُرُ مِنْهُما وَمِنْهُ ، رِعايَةً مِنْهُ لأَمْرِهِما ، لِيَطْمَئِنّا وَيُقْدِما على ما أُمِرا بِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ لُطْفُ اللهِ في قَدَرِهِ وَتَقْديرِهِ ، فَقَدْ أَمَرَ أُمَّ موسى أَنْ تُلْقِيَ ابْنَها في اليَمِّ ، لِيَصِلَ إلى قَصْرِ فِرْعَوْنَ ، فَيَقَعَ حُبُّهُ في قَلْبِ المَلِكَةِ ، فَيَكونَ ذلِكَ سَبَباً في حِفْظِهِ وَرِعايَتِهِ ، وَمَنْعِهِ مِنَ الرَّضاعِ مِنْ غَيْرِ أُمِّهِ ، لِيَكونَ سَبَباً في إعادَتِهِ إلى أُمِّهِ .

٢ـ البَلاءُ يَحُلُّ بالأَخْيارِ كَما وَقَعَ لِموسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، لِيُهَيِّئَهُمْ إلى عَظائِمِ الأُمورِ .

٣ـ عَلَى الدُّعاةِ مُواجَهَةُ الطُّغاةِ والوُقوفُ في وُجوهِهِمْ .

٤ـ رِعايَةُ اللهِ تعالى تُحيطُ بالصَّالِحينَ مِنْ عِبادِهِ .

٥ـ مَحَبَّةُ اللهِ تعالى لِعَبْدِهِ تَسْتَدْعي مَحَبَّةَ الخَلْقِ لَهُ .

٦ـ ذِكْرُ اللهِ مُعينٌ للإنْسانِ في الشَّدائِدِ والمَواقِفِ الحَرِجَةِ .

٧ـ وُجوبُ مُراعاةِ الحِكْمَةِ واللِّينِ في دَعْوَةِ النّاسِ إلى رَبِّهِمْ .

٨ـ عَدَمُ المُؤاخَذَةِ عَلَى الخَوْفِ إذا وُجِدَتْ أَسْبابُهُ .



التَّقْويمُ :

أجِبْ عن الأَسئلةِ التالية :

١ـ عَدِّدْ ما ذَكَرَتْهُ الآياتُ الكَريمَةُ مِنْ أوْجُهِ رِعايَةِ اللهِ لِموسى عَلَيْهِ السَّلامُ .

٢ـ ما فائِدَةُ التَّفْصيلِ بَعْدَ الإبْهامِ في الآياتِ ؟

٣ـ ما الفَرْقُ في المَعنى بَيْنَ ﴿فاقْذِفيهِ في التّابوتِ﴾ وَ﴿فاقْذِفيهِ في اليَمِّ﴾ ؟

٤ـ ما العِبْرَةُ التي تَأْخُذُها مِنْ قَوْلِهِ تعالى : ﴿وفتنّاكَ فُتونا﴾ ؟

٥ـ ما أَهَمِّيَةُ لِينِ القَوْلِ لِلدّاعِيَةِ ؟

٦ـ ما الذي تَخَوَّفَهُ موسى وهارونُ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ مِنْ فِرْعَوْنَ ؟ وَبِماذا رَدَّ اللهُ سُبْحانَهُ عَلَيْهِما ؟

٧ـ ما دَوْرُ كُلٍّ مِنْ أُمِّ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَأُخْتِهِ في حِفْظِ اللهِ لَهُ ؟ أَيِّدْ إجابَتَكَ بِالدَّليلِ مِنَ الآياتِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سَبَبَ قَتْلِ فِرْعَوْنَ لأَبْناءِ بَني إسْرائيلَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الخامِسُ وَالثَّلاثونَ

سورَةُ طه ـ القِسْمُ الخامِسُ

فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

خَلْقَهُ : صورَتَهُ وَشَكْلَهُ .

القُرونِ : الأُمَم .

لا يَضِلُّ : لا يغيبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ .

مَهداً : مُمَهَّدَةً كالفِراشِ لِيَحْسُنَ العَيْشُ عَلَيْها .

سَلَكَ : جَعَلَ .

أزْواجاً : أصْنافاً .

لأُولي النُّهى : لِذَوي العُقولِ السَّليمةِ .

التفسيرُ :

وَتَسْتَمِرُّ الآياتُ في بَيانِ أَحْداثِ قِصَّةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ فِرْعَوْنَ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

في هذهِ الآيةِ أمْرٌ لِموسى وَهارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ أنْ يَأتِيا فِرْعَوْنَ ، وَأنْ يُخاطِباهُ بما أُمِرا بهِ ، وَأَنْ يُخاطِباه قائِلينَ : ﴿إنّا رسولا ربِّكَ﴾ . وَفي هَذِهِ الجُمْلَةِ تَوْضيحٌ لِرسالَتِهِما ، وَتَبْيينٌ لِحَقيقَتِهِما ، وَأَنَّهُما مُرْسَلانِ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ لِدَعْوَتِهِ إلى الدّينِ الحَقِّ ، فَلَمْ يَأْتِيا بِدافِعٍ شَخْصيٍّ إنّما بِتَكْليفٍ مِنْ رَبِّ العالَمينَ ، وَأُمِرا أَنْ يَقولا لَهُ بَعْدَ ذلِكَ : ﴿فأَرْسِلْ مَعنا بني إسرائيلَ ولا تُعَذِّبْهُم﴾ أيْ أَطْلِقْ سَراحَهُمْ مِنَ الاسْتِعْبادِ ، وَكُفَّ عَنْ قَهْرِهِمْ ، وَقَتْلِ أَبْنائِهِم ، وَتَسْخيرِ نِسائِهِمْ لِلخِدْمَةِ . والجُمْلَةُ الثّالِثَةُ الّتي أُمِرا أنْ يَقولاها لَهُ هِي : ﴿قد جئناكَ بآيةٍ مِنْ ربِّكَ﴾ أيْ مَعَنا مُعْجِزَةٌ تُثْبِتُ صِدْقَنا ، وَتَشْهَدُ أنّا مُرْسَلانِ مِنْ رَبِّكَ لِهِدايَتِكَ ، وَفي هذِهِ الجُمْلَةِ تَأْكيدٌ لِرِسالَتِهِما ، والجُمْلَةُ الرّابِعَةُ : ﴿والسَّلامُ على مَنِ اتّبَعَ الهدى﴾ أيْ أنَّ السَّلامَةَ لِمَنِ اتّبعَ الهُدى ؛ بِأنْ آمَنَ باللهِ ، وهذا تَرْغيبٌ لِلدُّخولِ في الدِّينِ الحَقِّ ، وَتَبِعَهُ التَّرْهيبُ في قَوْلِهِ :

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾

هَذِهِ الجُمْلَةُ الخامِسَةُ ، وَهِيَ تَرْهيبٌ مِنَ التَّكْذيبِ والإعْراضِ عَنِ الاسْتِجابَةِ لِدَعْوَتِهِما .

وَفي هذِهِ الجُمَلِ الخَمْسِ وَتَرْتيبِها ، حِكْمَةٌ عَظيمَةٌ ، حَيْثُ بَدَأَتْ بالأَساسِ الَّذي قامَتْ عَلَيْهِ الرِّسالَةُ ، وَثَنَّتْ بِأَهَمِّ ما أُرْسِلا بِهِ ، وَثَلَّثَتْ بإقامَةِ الدَّليلِ عَلَى صِدْقِهِما ، ثُمَّ رَغَّبَتْ وَخَتَمَتْ بِالتَّحذيرِ مِنَ المُخالَفَةِ ، وَهذا تَدَرُّجٌ حَكيمٌ وارْتِقاءٌ في الدَّعوةِ .

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾

يُفْهَمُ مِنَ السِّياقِ أنَّهُما ذَهبا إلى فِرْعَوْنَ وَقالا لَهُ ما أُمِرا بِقَوْلِهِ ، وَفي هذهِ الآيَةِ بَدَأَ بِحِوارِهِما سائِلاً عَنْ رَبِّهِما ، وَأَضافَهُ إليْهِما وَلَمْ يُضِفْهُ إلى نَفْسِهِ مَعَ أَنَّهما قالا لَهُ : ﴿إنّا رسولا ربِّكَ﴾ ، فَفِرْعَوْنُ لا يُريدُ الاعْتِرافَ بِرُبوبيَّةِ غَيْرِهِ ، وَخَصَّ موسى بالنِّداءِ لأَنَّهُ المُتَكَلِّمُ ، أَوْ لِتَذْكيرِهِ بِأنّهُ رَبّاهُ وَهُوَ صَغيرٌ ، فَكَيْفَ يَنْسُبُ لِنفسهِ رَبّاً غَيْرَهُ .

﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

رَدَّ عَلَيْهِ موسى ـ عليهِ السَّلامُ ـ قائِلاً : رَبُّنا هُوَ الذي أَبْدَعَ كُلَّ شَيْءٍ خَلقَهُ ، وَأَعْطى كُلَّ مَخْلوقٍ صورَتَهُ وَشَكْلَهُ اللائِقَ ، والمُناسِبَ لِوَظيفَتِهِ ، ثُمَّ هُدِيَ إلى طَريقِ الانْتِفاعِ بِما أَعْطاهُ ، وَعَرَّفَهُ كَيْفَ يَتَوصَّلُ إلى بَقائِهِ وَكَمالِهِ .

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ ﴾ .

خشي فِرْعَوْنُ أَنْ يَتأثّرَ الحاضِرونَ بِكَلامِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَوَجَّهَ إِلَيْهِ سُؤالاً في مَوضوعٍ آخَرَ ظَنَّ أَنَّ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَنْ يَسْتَطيعَ الإجابَةَ عَنْهُ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَحْوالِ الأُمَمِ الماضيةِ ، وَما جَرى عَلَيْهِم مِنَ الحوادِثِ ، وَلِماذا لَمْ يَعْبُدوا رَبَّكَ الذي أَرْسَلَكَ ؟

﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ .

أجاب موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بإسْنادِ عِلْمِ حالِ هذِهِ الأُمَمِ إلى اللهِ ، فَهِيَ عِنْدَهُ في اللَّوْحِ المحْفوظِ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لا يَغيبُ عَنْ عِلْمِهِ شَيْءٌ ، وَلا يَنْسى شَيْئاً مِمّا عَلِمَهُ ، فَقَدْ أَحْصى كُلَّ شَيْءٍ ، وَأَحاطَ بِهِ عِلْماً .

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

هذا مِنْ تَتِمّةِ جَوابِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَرادَ بِهِ إثْباتَ عَظَمَةِ اللهِ ، وَأَنَّهُ المُسْتَحِقُّ وَحْدَهُ لِلتَّعْظيمِ والخُضوعِ ، فَهُوَ الذي جَعَلَ الأَرْضَ مُمَهَّدَةً مُهيّأَةً لِلمَعاشِ ، صالِحَةً لِلانْتِفاعِ بها ، وَجَعَلَ فيما بَيْنَ حِبالِها وَوِدْيانِها طُرُقاً يَسْلُكُها النّاسُ لِيَسْتَكْمِلُوا مَنافِعَهُم ، وَيُحقِّقوا مآرِبَهُم بالانْتِقالِ بَيْنَ البِلادِ ، وَأَنْزَلَ المَطَرَ مِنَ السَّماءِ عَذْباً فُراتاً ، فَأَنْبَتَ بهذا الماءِ أَصْنافَ الزُّروعِ والثِّمارِ ، بِأَلْوانِها العَديدَةِ ، وَأَشْكالِها الكَثيرَةِ وَمَنافِعِها المُتَعدِّدَةِ ، وَطُعومِها المُتَنوِّعَةِ .

﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾

عَقَّبَ اللهُ على إجابَةِ موسى لِفِرْعَوْنَ آمِراً عِبادَهُ أَنْ يَأْكُلوا مِنْ هذِهِ النَّباتاتِ والثِّمارِ ، وَأَنْ يَتْرُكوا أَنْعامَهُمْ تَرعى في الكَلأِ الذي أَخْرَجَهُ اللهُ ، إنّ في هذا الَّذي ذَكَرناهُ لَكُمْ مِنْ نِعْمَةِ تَمْهيدِ الأَرْضِ ، وَجَعْلِ الطُّرُقِ فيها ، وَإِنْزالِ المَطَرِ عَلَيْها ، وإخْراجِ النَّباتِ مِنْها ، عِبَراً وَعِظاتٍ لِأَصْحابِ العُقولِ السَّليمَةِ .

﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

في هذِهِ الآيَةِ إِخْبارٌ مِنَ اللهِ أَنَّهُ مِنْ تُرابِ الأَرْضِ خَلَقَهُمْ بِخَلْقِ أَبيهِمْ ، وَهُمْ تَبَعٌ لَهُ وَفَرْعٌ مِنْهُ ، وَفي الأَرْضِ نُعيدُكُمْ عِنْدَ مَوْتِكُمْ ، حَيْثُ تكونُ مَوْضِعَ دَفْنِكُمْ واسْتِقرارِ أَجْسادِكُم ، وَمِنَ الأَرْضِ نُخْرِجُكُمْ مرّةً أُخْرى أَحْياءً يَوْمَ القِيامَةِ لِلحِسابِ والجَزاءِ .

بهذا أَنْهى موسى جوابَهُ لِفِرْعَوْنَ ، وَفيهِ أَوْضَحُ الأَدِلَّةِ عَلى قُدْرَةِ اللهِ تعالى وَعَظَمَتِهِ ، وَأَنَّهُ الخالِقُ المُحيي المُميتُ سُبْحانَهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ عَلَى الدَّاعِيَةِ أنْ يُحسِنَ أُسْلوبَ الدَّعْوَةِ وَخِطابَ المَدْعُوِّينَ .

٢ـ عَلَى الدَّاعِيَةِ أنْ يَفْقَهَ السُّؤالَ وَيُحْسِنَ الجَوابَ ، وَذلِكَ فَنٌّ راقٍ أتْقَنَهُ الرُّسُلُ .

٣ـ التَّعريفُ باللهِ يَكونُ بالتَّعريفِ بِصِفاتِهِ وَبِأَفْعالِهِ في مَخلوقاتِهِ .

٤ـ تَذْكيرُ العِبادِ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ ، لِتَرقيقِ القُلوبِ ، وَإلانَةِ النُّفوسِ .

٥ـ ظُهورُ كَمالِ عَظَمَةِ اللهِ في إبْداعِ الخَلْقِ وَهِدايَتِهِ ، وَتَنَزُّهِهِ عَنِ الخَطأ والنِّسيانِ .

٦ـ أصْحابُ العُقولِ السَّليمَةِ هُمُ الذينَ يَنْتَفِعونَ بالآياتِ الدّالَّةِ عَلى عَظَمَةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئِلةِ التاليةِ :

١ـ بَيِّنْ وَجْهَ الحِكْمَةِ في تَرتيبِ الجُمَلِ التي أَجابَ بِها موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَنْ أَسْئِلَةِ فِرْعَوْنَ .

٢ـ ما الفَرْقُ بَيْنَ إضافَةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَفْظَ الرَّبِّ إلى فِرْعَوْنَ ، وَإضافَةِ فِرْعَوْنَ لَفْظَ الرَّبِّ إلى موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ـ لِماذا سَأَلَ فِرْعَوْنُ عَنِ القُرونِ الأُولى ؟ وَبِماذا أَجابَهُ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ اذْكُرْ أنواعَ النِّعَمِ الَّتي عَدَّدَها موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في الآياتِ .

٥ـ ما عَلاقَةُ الإنْسانِ بِالأَرْضِ مِنْ خِلالِ آخِرِ آياتِ الدَّرْسِ ؟

٦ـ اكْتُبْ في الفَراغِ ما يُناسِبُهُ مِنَ الآياتِ لِكُلٍّ مِمّا يَأتي :

أـ والسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ . . . . . .

ب ـ أنّ العَذابَ عَلى مَنْ . . . . . وَتَوَلّى .

ج ـ الَّذي أعْطى كُلَّ شَيْءٍ . . . . . ثُمَّ هَدى .

د ـ إنَّ في ذَلِكَ لَآياتٍ لِأُولي . . . . .

نَشاطٌ :

بَيِّنْ مَدى مُلاءَمةِ تَكْوينِ الأَعْضاءِ التّالِيَةِ لِوَظائِفِها : العَيْنِ ، الأُذُنِ ، اليَدِ ، اللِّسانِ ، الأَسْنانِ ، القَلْبِ ، جَناحِ الطّائِرِ .

الدَّرسُ السَّادِسُ والثَّلاثون

سورةُ طه - القِسْمُ السّادِسُ

وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- أَبى : امْتَنَعَ .
- سُوى : مُستَوياً .
- يَوْمُ الزِّينَةِ : يَوْمُ العيدِ .
- فَجمَعَ كَيْدَهُ : فَجمَعَ سَحَرَتَهُ الَّذينَ يَكيدُ بِهِم .
- فَيُسْحِتَكُمْ : فيُبيدَكُمْ .
- وَأَسَرُّوا النَّجوى : أَخْفَوا التَّناجيَ بَيْنَهُم .
- فَأَجْمِعوا كَيْدَكُمْ : فَأَحْكِموا سِحْرَكُمْ .
- أَفْلَحَ : فازَ بِالمَطْلوبِ .



التفسير :

تَسْتَمِرُّ قِصَّةُ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَفِرْعَوْنُ ، وَفي هذا الدَّرْسِ بيانٌ لِما حَصَلَ بَيْنَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والسَّحَرَةِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ ﴾

في هذِهِ الآيَةِ إجْمالُ ما جَرى بَيْنَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَفِرْعَوْنَ . وَقَدْ فُصِّلَ في سُوَرٍ أُخْرى .
وَصُدِّرَتِ الآيَةُ هُنا بِالقَسَمِ لِلاعْتِناءِ بما تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الآياتِ الدّالّةِ عَلى صِدْقِ موسى ، وَقَدْ رَآهُ فِرْعَوْنُ بعينِهِ ، وَلكِنَّهُ بَدَلَ أنْ يَسْتَجيبَ إلى الحَقِّ سارَعَ إلى التَّكْذيبِ بِالآياتِ ، وامْتَنَعَ عَنِ الإيمانِ .

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ ﴾

خافَ فِرْعَوْنُ مِنْ تَأْثيرِ مُعْجِزاتِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ في قَوْمِهِ ، وَخَشِيَ أنْ يُؤْمِنوا باللهِ فَقالَ لِموسى عَلَيْهِ السَّلامُ : أَجِئْتَنا بَعْدَ أنْ غِبْتَ عَنَّا طامِعاً في مُلْكِ مِصْرَ والاسْتيلاءِ عَلَيْها لِتُصْبِحَ مَلِكاً لِبَني إِسْرائيلَ ، مُسْتَخْدِماً لِتَحقيقِ مُرادِكَ السِّحْرَ .

﴿ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ ﴾

فَما دامَ ما جِئْتَ بِهِ يا موسى سِحْراً فَإِنَّنا سَنُواجِهُكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ، وَنُثْبِتُ لِلنّاسِ أنَّكَ ساحِرٌ ، وَلَسْتَ بِرَسولٍ ، وَطَلَبَ مِنْ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ أنْ يُحَدِّدَ اللِّقاءَ ، عَلى أنْ يَكونَ في مَكانٍ بارِزٍ فَسيحٍ مِنَ الأَرْضِ ، يَرى فيهِ النَّاسُ ما سَيَحْدُثُ بِوُضوحٍ وَجَلاءٍ ، وَإِنَّما فَوَّضَ فِرْعَوْنُ تَحْديدَ المَوْعِدِ لِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِيُظْهِرَ الوُثوقَ بِالغَلَبَةِ ، والتَّمَكُّنَ مِنَ القُدْرَةِ عَلى المُواجَهَةِ ، وَإِرْهابَ موسى عَلَيْهِ السَّلامَ مِنْ سَحَرَتِهِ ، وَلكِنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ فاجَأَهُ بالاسْتِجابَةِ لِما طَلَبَ .

﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ ﴾ .

اخْتارَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَوْعِداً لِمُلاقاةِ السَّحَرَةِ ، في يَوْمِ العيدِ الذي يَجْتَمِعُ فيهِ النَّاسُ ، يَمْرَحُونَ ، وَيَتَزَيَّنونَ فَرَحاً وَسُروراً ، وَمَقْصِدُ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ هذا أنْ يَشْهَدَ المَوْقِفَ أَكْبَرُ عَدَدٍ مِنَ النَّاسِ ، لِيَكونَ انْتِصارُ الحَقِّ مَشْهوداً ، وَلِذا طَلَبَ أنْ يَكونَ التَّحَدِّي في وَقْتِ الضُّحى ، وَهُوَ وَقْتُ ارْتِفاعِ الشَّمْسِ لِيَكونَ مُناسِباً لِحُضورِ النَّاسِ واجْتِماعِهِم ، وَمُتَّسَعاً لِلسَّحَرَةِ أنْ يَأتوا بِجَميعِ ما عِنْدَهُمْ فَيَكونَ إبْطالُهُ لِسِحْرِهِم قاطِعاً ظاهِراً ؛ في مَكانٍ مُسْتَوٍ مَكْشوفٍ وَوَقْتٍ مُحَدَّدٍ مَعْلومٍ ، شَمْسُهُ ساطِعَةٌ ، وَبَيْنَ جَمْعٍ كَبيرٍ مِنَ النَّاسِ .

﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

أيْ سارَعَ فِرْعَوْنُ إلى الإعْدادِ لِلأَمْرِ ، فانْصَرَفَ مِنَ المَجْلِسِ ، وَبَدَأَ يَجْمَعُ السَّحَرَةَ لِلاسْتِعانَةِ بِهِمْ عَلَى مُواجَهَةِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَلَمَّا حانَ المَوْعِدُ المُحَدَّدُ أَتى فِرْعَوْنُ وَسَحَرَتُهُ .

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ ﴾ .

قالَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلسَّحَرَةِ ناصِحاً لَهُمْ ، وَمُحَذِّراً مِنَ التَّمادي في الباطِلِ : إنَّ الوَيْلَ سَيَلْحَقُكُمْ وَإنَّ العَذابَ المُبيدَ المُهْلِكَ سَيُحيقُ بِكُمْ إنْ افتَرَيْتُمْ عَلَى اللهِ الكَذِبَ ، وَزَعَمْتُمْ أنَّ ما أَتَيْتُ بِهِ مِنَ المُعْجِزاتِ سِحْرٌ ، وَقَدْ خَسِرَ كُلُّ مَنْ قالَ عَلَى اللهِ تعالى قَوْلاً باطِلاً لا حَقيقَةَ لَهُ .

﴿ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ ﴾

لما سَمِعَ السَّحَرَةُ كلامَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَكَّروا فيهِ ، واخْتَلَفوا في أَمْرِهِ : هَلْ هُوَ ساحِرٌ أمْ رَسولٌ ؟ وَتَشاوَروا في إعْدادِ الخُطَّةِ النَّاجِحَةِ لِلانْتِصارِ عَلَيْهِ ، وأَخْفَوْا حَديثَهُم عَنْ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ حَتّى لا يَعْلَمَ شَيْئاً مِنْهُ فَيَسْتَعِدَّ لِمُواجَهَتِهِم ، واتَّفَقوا ـ بَعْدَ الاخْتِلافِ والتَّنازُعِ ـ عَلَى أنْ يَكونَ قَوْلُهُم فيهِ واحِداً ، لِيَكونَ مَوْقِفُهُم أقْوى وَتَأْثيرُهُمْ في النَّاسِ أمْكَنَ ، وَقَدْ بَيَّنَتِ الآيَةُ التَّالِيَةُ ما أَخْفاهُ السَّحَرَةُ وَتَناجَوا بِهِ :

﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

اتَّفَقَ السَّحَرَةُ عَلَى هذا القَوْلِ ، وَهُوَ اتِّهامُ موسى وَهارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ بِالسِّحْرِ وَأَنَّهُما خَبيرانِ فيهِ ، يُريدانِ إخْراجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ التي هِيَ أَرْضُكُمْ ، وَأَنْ تَكونَ غَلَبَتُهُما بِالسِّحْرِ الَّذي أتْقَناهُ ، وَأَنْ يُبْطِلا مَذْهَبَكُمُ الَّذي هُوَ أَفْضَلُ المَذاهِبِ وَأَحْسَنُها ، وَهذا الرَّأْيُ مِنْهُمْ مُوافِقٌ لِرَأْيِ فِرْعَوْنَ فيهِ .

﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

أَوْصى السَّحَرَةُ بَعْضَهُمْ بَعْضاً أنْ يُحْكِموا أَمْرَهُمْ وَيُجْمِعوا عَلَيْهِ ، وَأَنْ يُواجِهوا موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في صَفٍّ واحِدٍ ، لِيَكونَ حالُهُمْ أَكْثَرَ هَيْبَةً في النُّفوسِ ، وَأَعْظَمَ وَقْعاً في القُلوبِ ، وَأَدْعى إلى الثَّباتِ والتَّرابُطِ . وَحَثُّوا أَنْفُسَهُم عَلى بَذْلِ المَجْهودِ في المُغالَبَةِ ، فَإنَّهُمْ إنْ فازوا اليَوْمَ عَلَى موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ كانَتْ لَهُمُ المَنْزِلَةُ العالِيَةُ عِنْدَ فِرْعَوْنَ ، وَظَفِروا بِما وُعِدوا بِهِ مِنَ الهَدايا والجَوائِزِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ انْقِلابُ الانْتِفاعِ مِنَ الآياتِ إلى التَّكذيبِ والامْتِناعِ بِسبَبِ الكِبْرِ والغُرورِ والطُّغيانِ .

٢ـ مِنْ مَنْطِقِ الطُّغاةِ تَحويلُ الحَقائِقِ ، واخْتِلاقُ الأَكاذيبِ عَلَى الدُّعاةِ لِتَنْفيرِ النَّاسِ مِنْهُمْ .

٣ـ مَشْروعِيَّةُ المُباراةِ والمُبارَزَةِ لإظهارِ الحَقِّ .

٤ـ تَأْثيرُ أَهْلِ الباطِلِ في المُتَرَدِّدِ أَعْظَمُ مِنْ تَأثيرِهِم في المُتَمَكِّنِ مِنْ رَأْيِهِ .

٥ـ الاجْتِماعُ والاتِّحادُ وَمُقابَلَةُ العَدُوِّ صَفّاً واحِداً مِنَ الأَسْبابِ المُؤَدِّيَةِ لِلْغَلَبَةِ والنَّصْرِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلَةِ التاليَةِ :

١ـ لِماذا افْتَرى فِرْعَوْنُ عَلَى موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَنَّهُ يُريدُ إخْراجَهُمْ مِنْ أرْضِهِمْ ؟

٢ـ لِماذا طَلَبَ فِرْعَوْنُ مِنْ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ تَحديدَ مَوْعِدِ المُقابَلَةِ ؟

٣ـ طَلَبَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ اجْتِماعَ ثَلاثَةِ أُمورٍ وَقْتَ المُقابَلَةِ مَعَ السَّحَرَةِ ، ما هِيَ ؟

٤ـ هَلْ أَثَّرَتْ نَصيحَةُ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في السَّحَرَةِ ؟ وَما دَليلُ ذلِكَ ؟

٥ـ ما أَسْبابُ النَّصْرِ والغَلَبَةِ التي حاوَلَ السَّحَرَةُ الأَخْذَ بِها ؟

نَشاطٌ :

١ـ اقْرَأْ الآياتِ المُتَعَلِّقَةَ بهذا المَوْقِفِ (مَوْقِفِ فِرْعَوْنَ) مِنْ سورَةِ الأَعْرافِ . وقِفْ مِنْها عَلى تَفصيلِ ما جَرى بَيْنَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَفِرْعَوْنَ .

٢ـ ما عَلاقَةُ ما تَوَصَّلَ إلَيْهِ السَّحَرَةُ في أَمْرِ موسى وَأَخيهِ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ وَما قالَهُ فِرْعَوْنُ عَنْهُما ، اكْتُبْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .

الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ طَهَ - القِسْمُ السّابِعُ

قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَأَوْجَسَ : سَرَى الخَوْفُ إلى نَفْسِهِ في خَفاءٍ .

تَلْقَفْ : تَبْتَلِعْ .

مِنْ خِلافٍ : أي : اليدُ اليُمنى مَعَ الرِّجْلِ اليُسرى أَوِ العَكْسُ .

فَطَرَنا : خَلَقَنا .

التَّفسيرُ :

وَتَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمَةُ في بَيانِ أمرِ المُبارَزَةِ مَعَ السَّحَرَةِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

بَعْدَ أَنْ أَجْمَعَ السَّحَرَةُ أَمْرَهُمْ وَأَتَمُّوا اسْتِعدادَهُمْ ، خيَّروا موسى - عَلَيْهِ السَّلامُ - بَيْنَ أَنْ يَبْدَأَ هُوَ ، أَوْ يَبْدَؤوا هُمْ ، وَهذا التَّخييرُ مِنْهُمْ إظهارٌ للقُوَّةِ والثِّقَةِ بالانتصارِ عليهِ سَواءٌ تَقَدَّمَ أَمْ تَأَخَّرَ .

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾

اخْتارَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ أنْ يَتَأَخَّرَ عَنْهُمْ وَيَتْرُكَ لَهُمْ فُرْصَةَ البَدْءِ ، لِيُظْهِرَ لَهُمْ عَدَمَ اكْتِراثِهِ بِسِحْرِهِمْ ، وَلِيَعْرِفَ أقْصى ما عِنْدَهُمْ مِنْ وَسائِلِ التَّمويهِ والخِداعِ ، لِثِقَتِهِ بِنَصْرِ اللهِ لَهُ ، فَسارَعَ السَّحَرَةُ إلى إلْقاءِ ما بأيْدِهِم مِنْ حِبالٍ وَعِصِيٍّ ، فَخُيِّلَ إلى موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنَّها حَيَّاتٌ تَسْعى وَتَمْشي ، لِقُوَّةِ سِحْرِهِمْ وَمَهارَتِهِمْ فيهِ .

﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾

فَأَحَسَّ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الخَوْفَ في نَفْسِهِ بِمُقْتَضى الطَّبيعَةِ البَشَرِيَّةِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الأمْرِ المُخيفِ ، وَلَكِنَّهُ أضْمَرَ هذا الخَوْفَ في نَفْسِهِ ، وَلَمْ يُظْهِرْهُ ؛ فَهُوَ واثِقٌ مِنْ نَصْرِ اللهِ لَهُ .

﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾

أوْحى اللهُ تَعالى إلى موسى عَلَيْهِ السَّلامُ أنْ لا تَخَفْ مِمّا رَأيْتَهُ ، فَأنْتَ المُنْتَصِرُ عَلَيْهِمْ بِرِعايَةِ اللهِ وَتَأْييدِهِ لَكَ .

﴿ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾

وَأوْحى إلَيْهِ أنْ ألْقِ عَصاكَ الَّتي هِيَ في يَدِكَ اليُمْنى لِتَبْتَلِعَ ما صَنَعوهُ مِنْ سِحْرٍ ، فإنَّ ما صَنَعوهُ كَيْدٌ وَبُهْتانٌ وَتَمْويهٌ ، لا يُمْكِنُ أنْ يُواجِهَ المُعْجِزَةَ الرَّبانِيَّةَ الباهِرَةَ ، وَإنَّ السّاحِرَ لا يَفوزُ أيْنَما ذَهَبَ ، وَمَهْما فَعَلَ ، لأنَّهُ يَصْنَعُ لِلنّاسِ التَّخْييلَ والتَّمويهَ والتَّزْويرَ .

﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾

الفاءُ تَدُلُّ عَلى سُرْعَةِ حُصولِ سُجودِهِم ، ذلِكَ أنَّهُمْ حينَ رَأوْا ما حَدَثَ ، عَلِموا يَقيناً أنَّهُ لَيْسَ سِحْراً ، بَلْ هُوَ مُعْجِزَةٌ لَيْسَ بِمَقْدورِ البَشَرِ فِعْلُها ، فَهُمْ يَعْرِفونَ السِّحْرَ وَقَدْ مَهَروهُ وَحَذَقوا فيهِ ، وَلِذا سارَعوا إلى السُّجودِ مُعْلِنينَ إيمانَهُمْ بِاللهِ ، وَبِرِسالَةِ هارونَ وَموسى عَلَيْهِما السَّلامُ ، فَظَهَرَ الحَقُّ وَبَطَلَ السِّحْرُ والكَيْدُ .

﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ .

أمّا فِرْعَوْنُ فَقَدْ تَمادى في عِنادِهِ وَمُكابَرَتِهِ ، وَفاجَأهُ إيمانُ السَّحَرَةِ الَّذينَ أتى بِهِمْ لِيَنْصُروهُ عَلى موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَإذا بِهِمْ يُؤْمِنونَ بِهِ أمامَ حُشودِ النّاسِ ، فَأَعْلَنَ بُطْلانَ إيمانِهِم لِصُدورِهِ مِنْهُم قَبْلَ أنْ يَأْذَنَ لَهُمْ بِهِ ، فَهُوَ رَبُّهُمُ الَّذي يَنْبَغي عَلَيْهِمْ أنْ يَسْتَأْذِنوهُ قَبْلَ فِعْلٍ كَهذا ، ثُمَّ زَعَمَ أنَّ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ هُوَ مُعَلِّمُهُمْ ، وَلِذا تَواطَأوا مَعَهُ عَلى ما حَدَثَ ، أرادَ فِرْعَوْنُ بِهذا أنْ يُشيعَ بَيْنَ النّاسِ

الشَّكَّ في صدقِ إيمانِ السَّحَرَةِ ، وَصَرْفَهُمْ عَنِ التَّأَثُّرِ بما شاهَدوا لِئَلاَّ يَتَّبِعوا السَّحَرَةَ في إيمانِهِم ، وَإِلاَّ فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَمْ يُعَلِّمْهُمُ السِّحْرَ ، فَهُمْ يَعْلَمونَ السِّحْرَ قَبْلَ أَنْ يَرَوْا موسى وَيَعرفوهُ .

ثُمَّ أَقْسَمَ فِرْعَوْنُ أَنْ يَقْطَعَ أَيْديَ السَّحَرَةِ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خِلافٍ ، اليَدَ اليُمْنى مَعَ الرِّجْلِ اليُسرى لِزيادَةِ التَّنْكيلِ بِهِمْ ، وَأَنْ يُصَلِّبَهُمْ في جُذوعِ النَّخْلِ لِيُرِيَهُمْ وَيُرِيَ النّاسَ أَنَّ تعذيبَهُ أَشَدُّ وَأَدْوَمُ مِنْ غَيْرِهِ ، أرادَ بِهذا إِرْهابَ السَّحَرَةِ وَصَرْفَهُمْ عَنِ الإيمانِ .

وَقَوْلُهُ (في جُذوعِ) لِلْمُبالَغَةِ في التَّهديدِ ، واخْتِيارُ النَّخْلِ دونَ غَيْرِهِ لأَنَّ جُذوعَهُ أَخْشَنُ مِنْ غَيْرِها ، والتَّصْليبُ عَلَيْها أَشَقُّ مِنَ التَّصْليبِ عَلى غَيْرِها ، وَأَظْهَرُ لِلرّائي لِعُلُوِّها عَلى سِواها .

﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

قالَ السَّحَرَةُ في رَدِّهِم عَلى تَهديدِ فِرْعَوْنَ لَهُمْ ، لَنْ نُقَدِّمَكَ عَلى ما ظَهَرَ لَنا مِنْ دَلائِلِ صِدْقِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَنُبُوَّتِهِ ، وَلَنْ نَخْتارَكَ عَلى الَّذي خَلَقَنا وَأَوْجَدَنا في هَذِهِ الحَياةِ الدُّنيا ، وَهذا الرَّدُّ مِنْهُمْ دَليلٌ عَلى تَمَكُّنِ الإيمانِ في قُلوبِهِمْ ، وَقُوَّةِ عَزْمِهِمْ عَلى الاسْتِمرارِ فيهِ ، وَلِذا تَحَدَّوْا قَرارَ فِرْعَوْنَ بِتَعْذيبِهِمْ بِقَولِهِمْ : فافْعَلْ ما أَنْتَ فاعِلُهُ ، وَنَفِّذْ تَهْديدَكَ لَنا ، فَإِنَّهُ لا يَتَجاوَزُ هذِهِ الحَياةَ الدُّنيا ، وَيَنْتَهي بانْتِهائِها .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ إِنَّ مُواجَهَةَ العِبادِ لِلحَقِّ وَمُصارَعَتَهُمْ لَهُ عَبَثٌ لا يَثْبُتُ في مَجالِ الصِّراعِ .

٢ـ ثِقَةُ الدّاعي إلى اللهِ بِنَفْسِهِ وَإِفْساحِهِ المَجالَ لِلآخَرينَ أَنْ يُقَدِّموا ما عِنْدَهُمْ حتى يُبْطِلَهُ .

٣ـ ما يُظْهِرُهُ السَّحَرَةُ مِنْ تَحويلِ حَقائِقِ الأَشْياءِ مُجَرَّدُ تَخْييلاتٍ لا حَقيقَةَ لَها .

٤ـ حُرْمَةُ السِّحْرِ ؛ لأَنَّهُ تَزويرٌ وَخِداعٌ وَتَضْليلٌ .

٥ـ تَوْبَةُ السّاحِرِ مَقْبولَةٌ إذا كانَتْ صادِقَةً .

٦ـ قَدْ يَتَحَوَّلُ أَعْتى النّاسِ كُفْراً إلى الإيمانِ كَما وَقَعَ لِلسَّحَرَةِ .

٧ـ مُحاوَلَةُ الطّاغِيَةِ تَغْييرَ الحَقائِقِ والتَّلبيسَ عَلى النّاسِ لِصَرْفِهِمْ عَنِ الإيمانِ .

٨ـ الْمُؤْمِنُ الحَقُّ لا يُبالي بِالتَّهديدِ والوَعيدِ ، وَيَثْبُتُ عَلَى إيمانِهِ مَهْما عَظُمَتِ المُغرياتُ أَوِ التّهديداتُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا خَيّرَ السَّحَرَةُ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ في البَدْءِ بالمُواجَهَةِ ؟

٢ـ لِماذا اخْتارَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ التّأخُّرَ عَنْهُمْ في إلْقاءِ ما بيَدِه ؟

٣ـ هَلْ يَتَعارَضُ ما أحَسَّ بِهِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ خَوْفٍ مَعَ إيمانِهِ ، وَثِقَتِهِ بِنَصْرِ اللهِ لَهُ ؟

٤ـ لِماذا آمَنَ السَّحَرَةُ بَعْدَ أنْ رَأَوْا مُعْجِزَةَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٥ـ ما مَوْقِفُ فِرْعَوْنَ مِنْ إيمانِ السَّحَرَةِ ؟ وَما الزّعْمُ الَّذي أَطْلَقَهُ ؟ وَكَيْفَ تُبطِلُ هذا الزَّعْمَ ؟

٦ـ بِماذا هَدّدَ فِرْعَوْنُ السَّحَرَةَ إنْ ثَبَتوا عَلَى إيمانِهِم ؟ وَبِماذا رَدّوا عَلَيْه ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ مَوْضوعاً في صَفْحَةٍ تُبيِّنُ فيهِ الفَرْقَ بَيْنَ السِّحْرِ والمُعْجِزَةِ ، وَعَلِّقْهُ عَلَى مَجلَّةِ الحائطِ في مَدْرَسَتِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثَّامِنُ والثَّلاثونَ

سورَةُ طَهَ ـ القِسْمُ الثَّامِنُ

إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **تَزَكَّى** : تَطَهَّرَ مِنَ الكُفْرِ والمَعاصي .
- **أَسْرِ** : سِرْ لَيْلاً .
- **يَبَساً** : يابساً .
- **دَرَكاً** : إِدْراكاً وَلَحاقاً .
- **فَغَشِيَهُمْ** : فَغَمَرَهُمْ .
- **المَنَّ** : طَعامٌ حُلْوٌ طَيِّبُ المَذاق .
- **والسَّلْوى** : طائِرٌ يُعْرَفُ بالسُّمانيِّ .
- **وَلا تَطْغَوْا** : لا تَكفُروا النِّعْمَةَ .
- **فَيَحِلَّ** : حُلولُ غَضَبِ اللهِ بِهِمْ وَنُزولُهُ بِهِمْ .
- **هَوى** : هَلَكَ .



التفسيرُ :

وَتَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمَةُ في بَيانِ ما حَصَلَ لِلسَّحَرَةِ الَّذينَ آمَنوا بِاللهِ واتَّبَعوا نَبيَّهُ ، فَإنَّ التَّهديدَ والوَعيدَ الشَّديدَ مِنْ فِرْعَوْنَ ما زادَهُم إلاّ إيماناً وَثَباتاً ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ ﴾

هذا مِنْ تَتِمَّةِ كَلامِ السَّحَرَةِ لِفِرْعَوْنَ ، بَعْدَ أنْ أعْلَموهُ أنَّهُمْ لَنْ يَتَراجَعوا عَنْ إيمانِهِمْ مَعَ تَهديدِهِ لَهُمْ ، فَقَدْ آمَنوا لِيَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذُنوبَهُمُ الَّتي اقْتَرَفوها ، وَمِنْها ما أَلْزَمَهُمْ بِهِ فِرْعَوْنُ مِنْ مُعارَضَةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ ومُقابَلَتِهِ ، واللهُ تعالى خَيْرٌ مِنْكَ يا فِرْعَوْنُ ثَواباً ، وَأَبْقى جَزاءً وَعَطاءً لِمَنْ أطاعَهُ ، وَعَذاباً لِمَنْ عَصاهُ ، وَهذا رَدٌّ مِنْهُم على قَوْلِ فِرْعَوْنَ : ﴿ولتعلَمُنَّ أيُّنا أشدُّ عذاباً وأبقى﴾ .

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

إنَّ مَنْ يَلقى رَبَّهُ يَوْمَ القِيامَةِ وَهُوَ مُجْرِمٌ باقْتِرافِهِ المَعاصِيَ وَمَوْتِهِ عَلَى الكُفْرِ ، فَإنَّهُ سَيَدْخُلُ جَهَنَّمَ ، لا يَموتُ فيها فَيَنْتَهي عَذابُهُ ، وَلا يَحيى حَياةً هَنيئَةً طَيِّبَةً .

﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾

وَمَنْ يَلْقَ رَبَّهُ مُؤْمِناً مُوَحِّداً قَدْ عَمِلَ الطّاعاتِ ، فَأُولئِكَ المَوْصوفونَ بِهذِهِ الصِّفاتِ ، لَهُمْ بِسَبَبِ إيمانِهِمْ وَعَمَلِهِمْ الصّالِحِ الدَّرَجاتُ العالِيَةُ والمَكانَةُ السّامِيَةُ .

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾

بَيانٌ لِلدَّرَجاتِ العُلى التي اسْتَحَقَّها المُؤْمِنونَ ، وَهِيَ جَنّاتٌ يُقيمونَ فيها إقامَةً دائِمَةً ، تَجْري مِنْ تَحْتِ غُرَفِها وَأَشْجارِها الأَنْهارُ التي تَمْلأُ النُّفوسَ بَهْجَةً وَمُتْعَةً ، ماكِثينَ فيها دَوْماً ، لا يَخْرُجونَ مِنْها أَبَداً ، وَذلِكَ جَزاءُ مَنْ تَطَهَّرَ مِنَ الكُفْرِ والمَعاصي ، وَآمَنَ وَأَصْلَحَ العَمَلَ . وَبِهذا انْتَهى كَلامُ السَّحَرَةِ بِما فيهِ مِنْ وَعْظٍ نافِعٍ ، وَتَرْغيبٍ في الإيمانِ والعَمَلِ الصّالِحِ ، وَهُوَ مِمّا تَعَلَّموهُ مِنْ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أَوْ أَلْهَمَهُمُ اللهُ إيّاهُ .

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

لَمّا ظَهَرَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِالبَراهينِ عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ، مَكَثَ في مِصْرَ يَدْعوهُمْ إلى الإِسْلامِ ، حَتَّى أَوْحى اللهُ تَعالى إليهِ أَنْ يَسيرَ لَيْلاً بِالمُؤْمِنينَ مِنْ قومِهِ ، حِفاظاً عَلَيْهِمْ حَتّى

لا يَتعَرَّضوا لأَذى فِرْعَوْنَ وَتَعذيبِهِ ، وَأنْ يَتَّجهَ بِهِمْ نَحْوَ البَحْرِ ، فَإذا وَصَلوهُ ضَرَبَهُ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِعَصاهُ فانْشَقَّتْ لَهُمْ فيهِ طَريقٌ يابِسَةٌ لَيْسَ فيها ماءٌ وَلا طينٌ ، فاجْتازوها غَيْرَ خائِفينَ مِنْ أنْ يُدرِكَهُمْ فِرْعَوْنُ ، وَلا يَخْشَوْنَ مِنَ الغَرَقِ .

﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

لَمّا عَلِمَ فِرْعَوْنُ بِخُروجِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ والمُؤْمِنينَ ، سارَ خَلْفَهُمْ وَمَعَهُ جُنودُهُ ، وَلَمّا انْفَلَقَ البَحْرُ بِموسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَمَنْ مَعَهُ وَعَبروهُ سالِمينَ ، اقتَحَمَهُ فِرْعَوْنُ وَجُنودُهُ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهُ سَيَبْقى عَلى هَذِهِ الحالِ ، وَلكِنْ بَعْدَ أنِ اجْتازَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَمَنْ مَعَهُ إلى الجِهَةِ الأُخْرى مِنَ البَحْرَ ، عادَ كَما كانَ ، فَعلا الماءُ عَلى فِرْعَوْنَ وَمَنْ مَعَهُ وَغَمَرَهُم حَتَّى أَغْرَقَهُمْ ، وَكانَ أَمْراً هائِلاً مُرَوِّعاً ، يَعْجَزُ البَيانُ عَنْ وَصْفِهِ .

﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

أَيْ أَنَّهُ أَضَلَّ قَوْمَهُ عَنِ الرُّشْدِ وَما هَداهُمْ إلى الخَيْرِ ، بَلْ سَلَكَ بِهِمْ مَسْلَكاً أَوْصَلَهُمْ إلى الهَلاكِ في الدُّنيا والآخِرَةِ .

﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَـٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

خاطَبَ اللهُ تعالى بَني إسْرائيلَ بَعْدَ أَنْ أَنْجاهُمْ ، مِنْ فِرْعَوْنَ وَجُنودِهِ ، مُذَكِّراً إيّاهُمْ عَظيمَ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ بِذلِكَ ، وَما جَرى فيهِ مِنْ مُعْجِزَةِ انْفِلاقِ البَحْرِ لَهُمْ ، ﴿وواعدناكُم جانبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ﴾ أَيْ وَعَدْنا موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلْمُناجاةِ وَإِنْزالِ التَّوْراةِ عَلَيْهِ جِهَةَ الطُّورِ الأَيْمَنِ في سيناءَ ، وَنُسِبَتْ المُواعَدَةَ لَهُمْ لِكَوْنِ مَنْفَعَتِها راجِعَةٌ إلَيْهِمْ ، إذْ في نُزولِ التَّوراةِ صَلاحُ دينِهِمْ وَدُنياهُمْ . ﴿ونزّلْنا عليكُمُ المَنّ والسّلوى﴾ وَأَنْعَمْنا عَلَيْكُم نِعْمَةً أُخْرى ؛ فَأَطْعَمْناكُمْ طَعاماً طَيِّباً يَسَّرْناهُ لَكُمْ ، وَجَعَلْناهُ في مُتَناوَلِ أَيْديكُمْ ، تَأْخُذون مِنْهُ ما تَحْتاجونَ دونَ عَناءٍ ، وَأَنْتُمْ في صَحراءَ قاحِلَةٍ . والمَنُّ : مادَّةٌ حُلْوَةٌ طَيِّبَةٌ كانوا يَجِدونَها عَلَى الشَّجَرِ . والسَّلْوى : طائِرٌ طَيِّبُ اللَّحْمِ هُوَ الطّائِرُ المَعْروفُ السّمانيّ أَو طائِرٍ يُشْبِهُهُ .

﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ ﴾ .

كُلوا يا بَني إسْرائيلَ مِنَ الطَّيِّباتِ التي رَزَقَكُمُ اللهُ إِيّاها ، واشْكُروهُ عَلَيْها ، وَلا تَتَجاوَزوا الحُدودَ التي شَرَعَها اللهُ لَكُمْ ، فَإِنَّكُمْ إذا فَعَلْتُمْ ذلِكَ لَزِمَكُمُ العَذابُ ، وَحَلَّ بِكُمْ سَخَطُ اللهِ ، وَمَنْ كانَ هذا حالُهُ هَلَكَ وَشَقِيَ الشَّقاءَ الدّائِمَ .

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

وإنِّي لَكثيرُ المَغْفِرَةِ لِمَنْ تابَ مِنْ شِرْكِهِ ومَعاصيهِ ، وآمنَ بي ، وعَمِلَ صالِحاً ، واسْتَمرَّ عَلى الاهْتِداءِ ، ولَمْ يُخالِفِ الحَقَّ في اعْتِقادِهِ أوْ عَمَلِهِ ، وفي الآيَةِ تَرْغيبٌ لِمَنْ وَقَعَ مِنْهُ العِصيانُ أنْ يَتوبَ ويُصْلِحَ عَمَلَهُ ويُداوِمَ على الاسْتِقامَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الإيمانُ يُثَبِّتُ الإنسانَ عَلَى البَلاءِ وَمُواجَهَةِ الأهْوالِ كَما وَقَعَ لِلسَّحَرَةِ .

٢ـ مَشْروعِيَّةُ الرَّدِّ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ لِنَفْسِهِ شَيْئاً مِنْ صِفاتِ الرَّبِّ بِما يُبْطِلُ دَعواهُ وَيَرُدُّها .

٣ـ إكْرامُ اللهِ لِلصّالِحينَ مِنْ عِبادِهِ بِخَرْقِ العاداتِ كَفَلْقِ البَحْرِ ، وَإيجادِ الطَّعامِ الطَّيِّبِ كالمَنِّ والسَّلْوى في الصَّحراءِ المُقْفِرَةِ .

٤ـ وُجوبُ شُكْرِ نِعَمِ اللهِ .

٥ـ مَغْفِرَةُ اللهِ يَسْتَحِقُّها مَنْ سَعى لَها وَعَمِلَ لِلْوُصولِ إلَيْها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلَةِ التالِيَةِ :

١ـ ما الَّذي دَعا السَّحَرَةَ لأنْ يُؤْمِنوا باللهِ ؟

٢ـ ما مَعنى ﴿لا يَموتُ فيها ولا يَحيى﴾ ؟

٣ـ ما الَّذي دَعا فِرْعَوْنَ أنْ يَخوضَ البَحْرَ ؟ وَماذا حَصَلَ مَعَهُ بَعْدَ ذلكَ ؟

٤ـ عدِّدِ النِّعَمَ الَّتي خاطَبَ اللهُ تعالى بِها بَني إسْرائيلَ في هذِهِ الآياتِ .

٥ـ ما الأَعْمالُ التي يُطْلَبُ فِعْلُها مِمَّنْ يَسْعى لِمَغْفِرَةِ ذنبِهِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اقْرَأ الآياتِ المُتَعَلِّقَةَ بهذا المَوْقِفِ (مَوْقِفِ فِرْعَوْنَ) مِنْ سورَةِ الأَعْرافِ . وَقِفْ مِنْها عَلى تَفْصيلِ ما جَرى بَيْنَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَفِرْعَوْنَ .

٢ـ ما عَلاقَةُ ما تَوَصَّلَ إلَيْهِ السَّحَرَةُ في أَمْرِ موسى وَأخيهِ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ وَما قالَهُ فِرْعَوْنُ عَنْهُما ، اكْتُبْ ذلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٣ـ اذْكُرْ آيَةً أُخْرى غيرِ الآيةِ (٨٢) تُبَيِّنُ لُزومَ تَأْكيدِ التَّوْبَةِ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ

سورةُ طَهَ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ما أعْجَلَكَ : ما حَمَلَكَ عَلَى العَجَلَةِ والسُّرْعَةِ .

فَتَنّا قَوْمَكَ : ابْتَلَيْناهُمْ .

أَسِفاً : حَزِناً .

بِمَلْكِنا : بِقُدْرَتِنا .

أَوْزاراً : أَثْقالاً .

جَسَداً : مُجَسَّداً .

لَهُ خُوارٌ : صَوْتٌ كَصَوْتِ البَقَرِ .

عاكِفينَ : مُقيمينَ .



التفسيرُ :

بعْد نَجاةِ موسى ـ عَليْه السّلامُ ـ وبَني إسْرائيلَ ، وَهلاكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِه ، واعدَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ موسى ـ عليْهِ السّلامُ ـ فسارَعَ موسى ـ عليْهِ السّلامُ ـ لِيَنالَ شَرَفَ اللِّقاءِ والمُناجاةِ . قال اللهُ تعالى :

﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

ذَهَبَ موسى ـ عَليْهِ السّلامُ ـ لِمُناجاةِ رَبّهِ ، وَغَلَبَهُ الشَّوْقُ إلى مُناجاةِ رَبِّهِ ، فَأَسْرَعَ إلى مَكانِ المُناجاةِ سابِقاً أَصْحابَهُ ، فَسَأَلَهُ رَبُّهُ سُبْحانَهُ ـ وَهُو أَعْلَمُ بِهِ ـ عَنْ سَبَبِ عَجَلَتِهِ فَقالَ :

﴿ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

هُمْ قادِمون خَلْفي يَتْبَعونَ أَثَري ، وَسَيَلْحَقونَ بي قَريباً ، وَأنا أَسْرَعْتُ إلى مُناجاتِكَ طَلَباً لِرضاكَ ، وَتَلْبِيَةً لأَمْرِكَ .

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

قالَ اللهُ تعالى لِموسى عَلَيْهِ السّلامُ : إنّا قدِ ابْتَلَيْنا قَوْمَكَ بَعْدَ خُروجِكَ مِنْ عِنْدِهِمْ وَحُضورِكَ إلى المُناجاةِ ، والابْتِلاءُ والفِتْنَةُ : الاخْتِبارُ والتَّمْحيصُ ، وَكانَ هذا الابْتِلاءُ بِأَنْ دَعاهَمُ السّامِرِيُّ ، وَهُوَ مِنْ قبيلَةِ السّامِرةِ ، وَكانَ مُنافِقا ، دَعاهُمْ إلى عِبادَةِ العِجْلِ الذي صَنَعَهُ لَهُمْ مِنَ الحُلِيِّ ، لِيَعْبُدوهُ مِنْ دونِ اللهِ . فاتَّبعهُ مُعظَمُهُمْ .

﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ ﴾ .

فلَمّا سمعَ موسى عَليْهِ السّلامُ ذلِكَ ، وَكانَ قَدْ أَتَمَّ المُناجاةَ ، وَقضى أَرْبَعينَ يَوْماً ، وَتَلَقّى التَّوراةَ ، رَجعَ إلى قَوْمِهِ وَهُوَ في أَشَدِّ الغَضَبِ والحُزْنِ على ما صَنَعوهُ مِنْ العِجْلِ ، وَبَدأَ يَلومُهُمْ عَلى ذلِكَ ، وَقالَ لَهُمْ : أَلَمْ يَعِدْكُمْ ربُّكُمْ وَعْداً حَسَناً بِأَنْ يُعْطيكُمُ التَّوْراةَ فيها هُدىً وَنورٌ ، فَكَيْفَ تَعودونَ إلى الشِّرْكِ بَعْدَ أَنْ أَنقذَكُمْ اللهُ مِنْهُ ، هلْ طالَ عَلَيْكُمُ الزَّمَنُ فَنَسيتُمُ العَهْدَ ، أَمْ أَرَدْتُمْ بِصَنيعِكُمْ هذا أَنْ يَنزِلَ عَلَيْكُمْ غَضَبُ اللهِ وَسَخَطُهُ ، فأَخْلَفْتُمْ ما وَعَدْتُموني بِهِ بِالثَّباتِ عَلى ما أَمَرْتُكُمْ بِهِ إلى أَنْ أَرْجعَ مِنَ الميقاتِ والمُناجاةِ .

﴿ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

قال بَنو إسْرائيلَ لِنَبيِّهِمْ عَلى سَبيلِ الاعْتِذارِ الذي هُوَ أَقْبَحُ مِنَ الذَّنْبِ : ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ فَعَبَدْنا العِجْلَ بأمْرِنا وَطاقَتِنا واختِيارِنا ، فَقَدْ كانَ الأمْرُ أكْبَرَ مِنْ أنْ يَدْخُلَ تَحْتَ سُلْطانِنا ، وَلَوْ خُلّينا بَيْنَنا وَبَيْنَ أنْفُسِنا ، وَلَمْ يُسَوِّلْ لَنا السّامِرِيُّ ما سَوَّلَ لَبَقينا عَلى العَهْدِ الَّذي عاهَدْناكَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ عِبادَةُ اللهِ تعالى .

وَلكِنَّا كُنَّا نَحْمِلُ أثْقالاً وَأحْمالاً مِنْ ذَهَبِ القِبْطِيّينَ ، الَّذي كُنّا قَدِ اسْتَعَرْناهُ مِنْهُم في عيدِنا لِنَرُدَّهُ إلَيْهِمْ وَلَمْ نفعَلْ ، وَشَعَرْنا بِالذَّنْبِ عَلى فِعْلِنا هذا ، وَأَرَدْنا التَّوْبَةَ مِنْهُ ، فَوَجَّهَنا السّامِرِيُّ إلى أنْ نَجْمَعَ هذا الحُلِيَّ وَنُلْقِيَهُ في النّارِ حتى نَتَخَلَّصَ مِنْهُ ، وَفَعَلَ هُوَ أيضاً الفِعْلَ نَفْسَهُ .

﴿ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ﴾

فَصاغَ لَهُمُ السّامِرِيُّ مِنْ تِلْكَ الحُليِّ المُذابَةِ جَسَدَ عِجْلٍ ، أيْ تِمْثالاً مُجسَّداً عَلى هَيْئَةِ العِجْلِ ، وَهْوَ صَغيرُ البَقَرِ ، وَأتْقَنَ صُنْعَهُ ، وَجَعَلَ فيهِ ثُقوباً وَمَنافِذَ ، فإذا هَبَّتِ الرِّيحُ صَدَرَ مِنْهُ صَوْتٌ يُشْبِهُ خُوارَ البَقَرِ ، فَلَمّا رَأى هذا العَمَلَ الَّذي افْتُتِنوا وَبُهِروا بِهِ قالوا : هذا إلهُكُمْ وَإلهُ موسى فاعْبُدوهُ ، وَإنَّ موسى نَسِيَ إلهَهُ هُنا ، وَذَهَبَ لِيَبْحَثَ عَنْهُ في الطُّورِ ، وَيُناجيهِ هُناكَ .

﴿ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾ ﴾ .

هذا إنْكارٌ عَلَيْهِمْ وَتَوبيخٌ لَهُمْ مِنَ اللهِ تعالى لِعِبادَتِهِمُ العِجْلَ . أَبَلَغَ عمى البَصيرَةِ عِنْدَهُمْ أنْ يَعْبُدوا هذا التِّمثالَ المَصنوعَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَيَتَّخِذوهُ إلهاً ، وَهُوَ لا يَسْتَطيعُ أنْ يُجيبَهُمْ إذا سَألوهُ أوْ خاطَبوهُ ، وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ شَيْئاً مِنَ الضُّرِّ أوِ النَّفْعِ ؟ فَكَيْفَ يَكونُ إلهاً يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ والتَّقْديسَ ؟

﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ ﴾ .

وَلَقَدْ قالَ هارونُ لِبَني إسْرائيلَ ناصِحاً إيّاهُمْ قَبْلَ أنْ يَرْجِعَ موسى : يا قَوْمُ إنَّما ابْتُليتُمْ وأُضْلِلْتُمْ بهذا العِجْلِ ، وإنَّ رَبَّكُمُ المُسْتَحِقُّ لِلعِبادَةِ هُوَ الرَّحمنُ ، فارْجِعوا إلى دينِكُمُ القَويمِ ، واقْتَدوا بي فيما أدْعوكُمْ إليهِ مِنْ عِبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ .

وَهذِهِ الآيَةُ تَدُلُّ عَلى أنَّ هارونَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قامَ بِواجِبِهِ في نُصْحِهِمْ وَإرْشادِهِمْ وَمُحاوَلَةِ إبْعادِهِمْ عَمّا فَعَلوهُ ، وَلكِنَّ هذِهِ النَّصيحَةَ القَيِّمَةَ مِنْهُ لَمْ تَلْقَ مِنْهُمْ أُذُناً صاغِيَةً ، بَلْ رَدُّوا عَلَيْهِ رَدّاً قَبيحاً .

﴿ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ﴾

قالوا رَدّاً عَلى نَصيحَةِ هارونَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ سَنَسْتَمِرُّ مُواظِبينَ عَلى عِبادَةِ العِجْلِ مُقيمينَ حَوْلَهُ نَعْبُدُهُ حتَّى يَعودَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إلَيْنا فَيُخْبِرَنا الحَقيقَةَ ، وَفي هَذِهِ الآياتِ دَلالَةٌ واضِحَةٌ عَلى سَفاهَةِ بَني إسْرائيلَ وَبلادَتِهِمْ وَخِفَّةِ عُقولِهِمْ ، وَتَعَلُّقِهِمْ بالذَّهَبِ والمالِ حتى دَرَجَةِ العِبادَة ، واتِّهامِهِمْ لِنَبِيِّهِمْ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالضَّلالِ والنِّسْيانِ ، وَعِصيانِهِمْ أَمْرَ نَبِيِّهِمْ هارونَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَكُلُّها ضَلالاتٌ عَظيمَةٌ اسْتَحَقّوا مَعَها سَخَطَ اللهِ وَعِقابَهُ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ يَبْتَلِي اللهُ عِبادَهُ لِيَعْلَمَ مَنْ يَثْبُتَ عَلى الحَقِّ أَوْ يَضِلَّ عَنْهُ كَما ابْتَلى قَوْمَ موسى .

٢ـ قابِلِيَّةُ البَشَرِ لِلشِّرْكِ وَعِبادَةِ غَيْرِ اللهِ ، وَإنْ كان فيهِمْ أَنْبياءُ .

٣ـ عِبادَةُ الأَصْنامِ مِنْ أعْظَمِ الضَّلالِ الذي يُواجِهُ البَشَرَ .

٤ـ اسْتِحبابُ المُسارَعَةِ لِفِعْلِ الخَيْرِ دونَ إخْلالٍ بالواجِباتِ الأُخْرى .

٥ـ لا يَثْبُتُ في الفِتَنِ والابْتِلاءاتِ إلاَّ أَصْحابُ الإيمانِ الرّاسِخِ القَوِيِّ .

٦ـ مَشْروعِيَّةُ الغَضَبِ مِنْ أَجْلِ دينِ اللهِ ، إذا انتُهِكَتْ حُرْمَتُهُ .

٧ـ الاعْتِذارُ بِإلْقاءِ اللَّوْمِ عَلى الغَيْرِ مِنْ أَقْبَحِ الأُمورِ ، وَفي ذلِكَ دَليلٌ عَلى خِفَّةِ العَقْلِ .

٨ـ وُجوبُ الأمرِ بِالمَعروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ ، وَلَوْ لَمْ يَسْتَجِبِ المُخاطَبونَ .

٩ـ قُوَّةُ موسى في مُواجَهَةِ الانْحِرافِ ، وَتَأْديبِ المُخالِفين .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما السَّبَبُ الذي حَمَلَ موسى عَلَى الإسْراعِ في مُلاقاةِ اللهِ ؟

٢ـ ما مَعنى الفِتْنَةِ ؟

٣ـ لِماذا غَضِبَ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ قَوْمِهِ ؟ وَماذا قالَ لَهُمْ ؟

٤ـ لِماذا جَمعَ بَنو إسْرائيلَ الحُلِيَّ وَألقَوْها ؟ وَماذا فَعَلَ السَّامِرِيُّ بِها ؟

٥ـ بماذا عابَ اللهُ تعالى فِعْلَ بَني إسْرائيلَ حينَ عَبَدوا العِجْلَ ؟

٦ـ ما مَوْقِفُ هارونَ ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ مِنْ فِعْلِ قَوْمِهِ ؟ وَما رَدُّهُم عَلَيْهِ ؟

نَشاطٌ :

اقْرأْ قِصَّةَ بَني إسْرائيلَ في سورَةِ البَقَرَةِ ، واسْتَخْرِجْ مِنْها الآياتِ التي تَدُلُّ عَلَى :

أـ سَفاهَةِ بَني إسْرائيلَ وَخِفَّةِ عُقولِهِمْ .

ب ـ تَعَلُّقِ بَني إسْرائيلَ بِالدُّنْيا والمالِ إلى دَرَجَةٍ عَظيمَةٍ .

ج ـ جُرْأَةِ بَني إسْرائيلَ عَلَى اللهِ تعالى وَعَلَى أنْبيائِهِمْ .

د ـ العُقوبَةِ التي أُنْزِلَتْ بِهِمْ بِسَبَبِ سوءِ أَعْمالِهِمْ .

واكْتُبْ ذلِكَ في مَجلّةِ المَدْرَسة .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الأَرْبَعونَ

سورةُ طه - القِسْمُ العاشِرُ

قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَرْقُبْ قَوْلي : تُطِعْني .
خَطْبُكَ : شَأنُكَ الخَطيرُ .
بَصُرْتُ : عَلِمْتُ .
فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أثَرِ الرّسولِ : عَلِمْتُ شَيْئاً مِنْ دينِ الرَّسولِ .
فَنَبَذْتُها : ألقَيْتُها .
سَوَّلَتْ : حَسَّنَتْ وَزَيَّنَتْ .
لا مِساسَ : لا يَمَسُّني أحَدٌ ولا أَمَسُّ أَحَداً .
لَنَنْسِفَنَّهُ : نُعَرِّضَهُ لِلرِّيحِ لِتُبَعْثِرَهُ وَتُلْقِيَهُ في البَحْرِ .



التفسيرُ :

تَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمَةُ في بَيانِ قِصَّةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَع بَني إسْرائيلَ ، وهذا هُوَ المَشْهَدُ الأَخيرُ في هذِهِ القِصَّة .

﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ ﴾ .

قالَ موسى لأَخيهِ هارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ عَلَى سَبيلِ اللَّوم والمُعاتَبَةِ : أيُّ شَيْءٍ مَنَعَكَ وَقْتَ أنْ رَأيْتَ ضَلالَهُمْ بِعِبادَةِ العِجْلِ مِنِ اتِّباعي في الغَضَبِ للهِ ، والإنكارِ عَلَيْهِم وَزَجْرِهِم ، هَلْ عَصَيْتَ أمْري لَكَ بِأنْ تُصْلِحَ شَأنَهُمْ وَأنْ لا تَتبعَ سَبيلَ المُفْسِدينَ ، فإنَّ سُكوتَكَ عَلى فِعْلِهِمْ هذا يُعَدُّ تَهاوُناً مِنْكَ مَعَهُمْ ، وَكانَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ قد أمْسَكَ بِلِحْيَةِ هارونَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَشَعْرِ رَأْسِهِ يَشُدُّهُ بِهِما .

﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾ .

قالَ هارونُ لِموسى ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ مُحاوِلاً التَّهْدِئَةَ مِنْ غَضَبِهِ ، بَعْدَ أنْ طَلَبَ مِنْهُ تَرْكَ شَعْرِ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ ، وَذَكَّرَهُ بِصِلَةِ الأُخُوَّةِ بَيْنَهُما ، وَخَصَّ الأُمَّ بِالذِّكْرِ اسْتِعْطافاً واسْتِرْقاقاً لِقَلْبِهِ : إنّي خِفْتُ أنْ أَقْسُوَ عَلى بَني إسْرائيلَ فَيَنْقَسِموا إلى فَريقَيْنِ فأَكونَ سَبَباً في تَمْزيقِ وَحْدَتِهِم ، وَتَفريقِ كَلِمَتِهِمْ ، فَتَقولَ لي يا موسى : أنْتَ فَرَّقْتَ بَيْنَ القَوْمِ وَلَمْ تُطِعْ أمْري بِالإصْلاحِ بَيْنَهُمْ ، وَلِذا حاوَلْتُ أنْ أرُدَّهُمْ إلى رُشْدِهِمْ بِالنُّصْحِ والإرْشادِ واللّينِ .

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

ثُمَّ انْتَقَلَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِالحَديثِ إلى السَّامِرِيِّ ، يَلومُهُ ، وَيُعاتِبُهُ قائِلاً لَهُ : ما شَأْنُكَ ؟ وَما هذا الأَمْرُ الخَطيرُ الَّذي صَدَرَ مِنْكَ ؟

﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ ﴾ .

قال السَّامِرِيُّ لِموسى : رَأَيْتُ أثَرَ الرَّسولِ المَلائِكِيِّ جبريلَ ، وَكَيْفَ كانَتْ الحَياةُ تَهْرُبُ في أَثَرِهِ الذي يَسيرُ عَلَيْهِ ، فَأَخَذْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِهِ ، ثُمَّ صَنَعَ العِجْلَ ، وَرَمَى بِتِلْكَ القَبْضَةِ فيهِ ، فَأخذ يَخورُ خُوارَ العِجْلِ ، فَزَيَّنَ السامِرِيُّ لِقَوْمِهِ عِبادَتَهُ مِنْ دونِ اللهِ .

﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) ﴾ .

قالَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِلسَّامِرِيِّ بَعْدَ اعْتِرافِهِ بِسوءِ صَنيعِهِ : اذْهَبْ عَنّا مَنْفِيّاً مِنْ بينِنا ، لا تُخالِطْ أحداً ، وَلا يُخالِطْكَ أحَدٌ ، مَنْبوذاً مِنَ المُجْتَمَعِ لا يُلاقيكَ أحَدٌ وَلا يُكَلِّمُكَ ، وَهذا عَذابُكَ في الدُّنيا ما دُمْتَ حَيّاً ، وَلَكَ في الآخِرَةِ عُقوبَةٌ عَظيمَةٌ لَنْ يَخْلِفَكَ اللهُ إيّاها ، وَسَيُعاقِبُكَ عِقاباً عَظيماً عَلى ضَلالِكَ وَإضْلالِكَ .

وانظُرْ إلى العِجْلِ الذي عَبَدْتَهُ أنْتَ وَأتْباعُكَ ، وَلازَمْتُمُ الإقامَةَ عِنْدَهُ ، لَنُحَرِّقَنَّهُ بِالنّارِ أمامَ أعيُنِكُمْ حتى يَصيرَ رَماداً ، ثُمَّ نُذَرّيهِ لِتُلْقِيَهُ الرِّيحُ في البَحْرِ ، فَلا يَتَبَقّى مِنْهُ عَيْنٌ وَلا أثَرٌ ، لِتَعْلَمَ أنْتَ وَمَنِ اتَّبَعَكَ أنَّهُ لَيْسَ إلٰهاً ، وَلا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ ، فَهُوَ عاجِزٌ عن حِمايَةِ نَفسِه ، فَضْلاً عَنْ حِمايَةِ مَنْ يَعْبُدُهُ .

وَهذا يَدُلُّ عَلى أن العِجْلَ المَصنوعَ مِنْ ذَهَبٍ قَدْ تَحَوَّلَ إلى شَيْءٍ آخَرَ بَعْدَ القَبْضَةِ التي أُلْقِيَتْ فيهِ مِنْ أثَرِ الرَّسولِ ، وَلِذلِكَ فَإنَّ النّارَ أحْرَقَتْهُ حتى أصْبَحَ رَماداً ، وَلَوْ كانَ بَقِيَ ذَهَباً خالِصاً لَما أثَّرَتْ فيهِ النّارُ هذا التَّأثيرَ .

﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨) ﴾ .

هذهِ الآيَةُ الكَريمَةُ مِنْ تَتِمَّةِ كَلامِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بَعْدَ أنْ بَيَّنَ لِبَني إسْرائيلَ أنَّ العِجْلَ لا يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ ، يُبيِّنُ لَهُمْ فيها أنَّ المُسْتَحِقَّ لِلعِبادَةِ بِحَقٍّ هُوَ اللهُ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ أنْ يُشارِكَهُ شَيْءٌ مِنْ مَخلوقاتِهِ ، بِوَجْهٍ مِنَ الوجُوهِ ، وَلا يُدانيهِ في كَمالِ العِلْمِ والقُدْرةِ ، وَسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ ما مِنْ شَأنِهِ أن يَعْلَمَ .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اخْتِلافُ مَنْهَجِ الإصْلاحِ بَيْنَ الدُّعاةِ بِسَبَبِ اخْتِلافِ طَبائِعِهِمْ وَتَقْديرِهِمْ لِلمَواقِفِ .

٢ـ قُوَّةُ شَخْصيَّةِ موسى حَيْثُ سَيْطَرَ عَلى المَوْقِفِ ، وَأوْقَفَ الانْحِرافَ ، وَحاسَبَ القِياداتِ التي تَسَلَّمَتْ زِمامَ الأُمورِ مِنْ بَعْدِهِ ، وَعاقَبَ المُنْحَرِفينَ .

٣ـ اتِّباعُ الهَوى والاغْتِرارُ بِالنَّفسِ يَقودُ إلى المَهالِكِ .

٤ـ عِقابُ المُجْرِمِ بِضِدِّ قَصْدِهِ ، فَقَدْ قَصَدَ السَّامِرِيُّ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيْهِ النّاسُ وَيَتَّبِعوهُ ، فَعوقِبَ بِالطَّرْدِ والنَّبْذِ ، وَعَدَمِ مُخالَطَةِ النَّاسِ لَهُ .

٥ـ مَشْروعِيَّةُ هَجْرِ المُفْسِدِ الضَّالِ وَطَرْدِهِ وَنَفْيِهِ .

٦ـ وجُوبُ تَدْميرِ الأَصْنامِ والأَوْثانِ لأَنَّها تُعْبَدُ مِنْ دونِ اللهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ لِماذا عَتِبَ موسى عَلَى هارونَ عَلَيْهِما السّلامُ ؟ وَبِماذا اعْتَذَرَ هارونُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَنْ عَدَمِ شِدَّتِهِ مَعَ بَني إِسْرائيلَ .

٢ـ بِماذا أَجابَ السَّامِرِيُّ عَنْ سُؤالِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَهُ ؟ وَعَلَى ماذا يَدُلُّ جوابُهُ ؟

٣ـ أـ ما العُقوبَةُ التي نَزَلَتْ بالسَّامِرِيِّ في الدُّنيا ؟

ب ـ ما العُقوبَةُ الأُخْرَوِيَّةُ التي تَنْتَظِرُهُ ؟

٤ـ ما مَصيرُ العِجْلِ الذي عَبَدَهُ السَّامِرِيُّ وَأَتباعُهُ ؟

٥ـ كَيْفَ دَلَّلَ موسى عَمَلِيّاً عَلَى عَدَمِ اسْتِحقاقِ العِجْلِ العِبادَةَ ؟

٦ـ دَلِّلْ عَلَى قُوَّةِ شَخْصِيَّةِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ في مُواجَهَةِ المُشْكِلاتِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الدّالَّةَ عَلَى اسْتِنْكارِ هارونَ لِما فَعَلَهُ قَوْمُهُ .

٢ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الدَّرْسِ ما يَدُلُّ عَلَى طَبيعَةِ شَخْصِيَّةِ كُلٍّ مِنْ : موسى وهارونَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ والسَّامِرِيِّ وَأَتْباعِهِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الحادي والأرْبَعونَ

سورَةُ طَهَ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وِزْراً : إثْماً عَظيماً .

زُرْقاً : عُمياً .

يَتَخافَتونَ : يَتَهامَسونَ .

أمْثَلُهُمْ طَريقَةً : أعْدَلُهُم رَأْياً .

يَنْسِفُها : يَقْتَلِعُها وَيُفَرِّقُها بِالرِّيح .

قاعاً : أرْضاً مُسْتَوِيَةً .

صَفْصَفاً : مَلْساءَ .

أمْتاً : مُرْتَفِعاً .

لا عِوَجَ لَهُ : لا يَنْصَرِفُ عَنْهُ أحدٌ .

هَمْساً : صَوْتاً خَفِيّاً .

التفسيرُ :

بَعْدَ إتْمام قِصّةِ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ يُخاطِبُ اللهُ تعالى رَسُولَهُ ﷺ كَيْ يَتَدَبَّرَ هُوَ وَقَوْمُهُ ما حلَ بِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾

كَما أخْبَرْناكَ خَبَرَ موسى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مَعَ فِرْعَوْنَ وَبَني إسْرائيلَ ، نُخْبِرُكَ أخْبارَ الأُمَمِ الماضِيَةِ ، تَبْصِرَةً لَكَ ، وَزِيادَةً في عِلْمِكَ ، وَتَذْكيراً لِلْمُسْتَبْصِرينَ مِنْ أُمَّتِكَ ، وَقَدْ أَعْطيناكَ مِنْ عِنْدِنا كِتاباً مُذكِّراً ، فيهِ هذِهِ القِصَصُ والأَخْبارُ .

﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ ﴾

مَنْ أعْرَضَ عَنْ هذا الذِّكْرِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بما فيهِ مِنْ عَقائِدَ وأحْكامٍ ، فَإنّهُ بِسَبَبِ هذا الإعْراضِ يَحْمِلُ يَوْمَ القِيامَةِ إثْماً عَظيماً ثَقيلاً ، وَسَيَكونُ مَصيرُهُ النَّارَ .

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ ﴾

وَسَوْفَ يَخْلُدونَ وَيُقيمونَ في العَذابِ بِسَبَبِ الوِزْرِ الذي حَمَلوهُ ، وَبِئْسَ ذلِكَ الحِمْلُ الثَّقيلُ الذي حَمَلوهُ بإعْراضِهِمْ عَنْ هِدايَةِ القرآنِ الكَريمِ .

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾

تَبْدَأُ الآياتُ الكَريمَةُ بِبَيانِ بَعْضِ أحْداثِ يَوْمِ القِيامَةِ ، وَأوّلُ هذِهِ المَشاهِدِ يَوْمَ يَنْفُخُ إسْرافيلُ في البوقِ العَظيمِ النَّفْخَةَ الثّانِيَةَ ، وَهِيَ نَفْخَةُ البَعْثِ والحَشْرِ ، وَنَسوقُ المُكَذِّبينَ والكافِرينَ يَوْمَئِذٍ وَهُمْ عُمْيٌ لا يَرَوْنَ طَريقَهُمْ ، كَما في قَوْلِهِ : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء : ٩٧] ، والتَّعبيرُ عَنِ العَمى بالزُّرْقَةِ ، لأنَّ مَنْ يَذْهَبُ نورُ عَيْنَيْهِ تَزْرَقُّ حَدَقَةُ عَيْنِهِ .

﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾

يَتَحَدَّثُ هؤُلاءِ المُجرمونَ بِصَوْتٍ خافِتٍ هامِسٍ فيما بَيْنَهُمْ يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَنْ مِقْدارِ لُبْثِهِمْ في الدُّنيا ، فَيَقولُ بَعْضُهُمْ : ما لَبِثْتُمْ في الدُّنيا إلا عَشْرَ لَيالٍ ، اسْتِقْصاراً مِنْهُمْ لِمُدَّةِ لُبْثِهِمْ في الدُّنيا بَعْدَ أنْ تَحَقَّقَ لَدَيْهِمُ البَعْثُ الَّذي أنْكَروهُ مِنْ قَبْلُ ، وَلِشِدَّةِ ما يَرَوْنَ مِنَ الهَوْلِ والعَذابِ .

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

اللهُ تعالى هُوَ الأَعْلَمُ بما يَقولُهُ هؤُلاءِ المُتَحَسِّرونَ عَلَى الدُّنيا ، حَيْثُ يَقولُ أعْدَلُهُمْ رَأْياً وَأَحْسَنُهُمْ

طَريقَةً في القِياسِ بَيْنَ ما كانوا فيهِ ، وَما هُمْ مُقبلونَ عَلَيْهِ : ما لَبِثْتُمْ إلاّ يَوْماً واحِداً .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾

وَمِنْ مَشاهِدِ يَوْمِ القِيامَةِ ، تغيُّرُ وَجْهِ الأرْضِ ، وَهذا بَيانٌ لِحالِ الجِبالِ يَوْمَ القِيامَةِ ، فإنْ سُئِلْتَ عَنْها فَقُلْ : يَجْعَلُها اللهُ كالرَّمْلِ ، ثُمَّ يُرْسِلُ عَلَيْها الرِّيحَ فَتَذْروها وتُفَرِّقُها .

﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

فَتُصْبحُ أَرْضاً مُسْتَوِيَةً مَلْساءَ ، لا نَباتَ فيها وَلا بِناءَ .

﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ ﴾

لا انْخِفاضَ فيها وَلا ارْتِفاعَ ، وَلا اعْوِجاجَ وَلا مَيْلَ .

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾

أيْ في اليَوْمِ الذي تُنْسَفُ فيهِ الجِبالُ ، يَتَّبِعُ النّاسُ داعِيَ اللهِ إلى المَحْشَرِ ، فَيَأْتونَهُ سِراعاً ، لا يَزيغونَ عَنْهُ ، وَلا يَنْحَرِفونَ ، وَخَفَتَتْ أَصْواتُ الخَلائِقِ هَيْبَةً للهِ ، وَرَهْبَةً مِنَ المَوْقِفِ العَظيمِ ، فَلا يُسْمَعُ إلاّ صَوْتٌ خافِتٌ خَفِيٌّ .

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

في ذلِكَ اليَوْمِ الرَّهيبِ ، لا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ أَحَداً إلاّ مَنْ أَذِنَ اللهُ ـ سُبْحانَهُ وَتعالى ـ أنْ يُشْفَعَ لَهُ ، وَهُوَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الشَّفاعَةَ مِمَّنْ آمَنَ باللهِ ، وَمَنْ رَضِيَ اللهُ شَفاعَةَ الشّافِعِ فيهِ . وَهذِهِ الآيَةُ كَقَوْلِهِ تعالى : ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦] .

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾

يَعْلَمُ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ أَحْوالَ الخَلائِقِ كُلَّها ، ما سَيَأْتي مِنْها وَما مَضى ، وَلا تَخْفى عَلَيْهِ مِنْها خافِيَةٌ ، وَلا تُحيطُ عُلومُهُمْ بِمَعْلوماتِهِ جَلَّ وَعَلا ، كَما قالَ في آيةٍ أخْرى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ شُمولُ عِلْمِ اللهِ تعالى لِكُلِّ شَيْءٍ .

٢ـ سوءُ حالِ المُجْرِمينَ الَّذينَ أعْرَضوا عَنِ القُرآنِ الكَريمِ يَوْمَ القِيامَةِ .

٣ـ يَظُنُّ المرءُ بَعْدَ بَعْثِهِ أنَّ مُدّةَ لُبْثِهِ في البَرْزَخِ أيّاماً أو يَوْماً .

٤ـ عِظَمُ أهْوالِ يَوْمِ القِيامَةِ في حَشْرِ النّاسِ ، وَفي نَسْفِ الجِبالِ وَجَعْلِ الأَرْضِ قاعاً صَفْصَفاً .

٥ـ إنّ الشَّفاعَةَ تَكونُ لِمَنْ آمنَ باللهِ ، وَرَضِيَ اللهُ تعالى شَفاعَتَهُ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما عُقوبَةُ مَنْ يُعْرِضُ عَنِ القُرْآنِ يَوْمَ القِيامَةِ ؟

٢ـ لِماذا يَتَحدَّثُ أهْلُ المَحْشَرِ هَمْساً ؟

٣ـ ما السَّبَبُ في تَقديرِ المُجْرِمينَ مُدَّةَ لُبْثِهِمْ في الدُّنيا بِأَيّامٍ أوْ بِيَوْمٍ واحِدٍ ؟

٤ـ بَيِّنْ مَصيرَ الجِبالِ يَوْمَ القِيامَةِ .

٥ـ اسْتَخْرِجْ مِنَ الآياتِ الكريمةِ شُروطَ الشَّفاعَةِ يَوْمَ القِيامَةِ .

٦ـ صِفْ كُلاً مِمّا يَلي يَوْمَ القِيامَةِ مَعَ ذِكْرِ الدّليلِ مِنَ الآياتِ :

أـ المُجْرِمينَ . ب ـ الجِبالَ . ج ـ الدّاعِي . دـ الأَصْواتَ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ يَحْشُرُ اللهُ تعالى المُعْرِضينَ عَنْ ذِكْرِهِ ، مَعَ الآيةِ الدّالَّةِ عَلَى ذلِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الدّالّةَ عَلى حالِ الجِبالِ يَوْمَ القِيامَةِ كَما جاءَ في سورَةِ القارِعَةِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني والأَرْبعونَ

سورةُ طه ـ القِسْمُ الثاني عَشَرَ

۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وَعَنَتِ الوُجوهُ : ذَلَّتْ وَخَضَعَتْ .

هَضْماً : نَقْصاً مِنْ ثَوابِهِ .

وَصَرَّفْنا فيهِ : كَرّرْنا فيهِ بِأَساليبَ شَتّى .

يُقْضى إلَيْكَ : يَتِمَّ .

لا تَضْحى : لا تُصيبُكَ شَمْسُ الضُّحى .



تَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمَةُ في بَيانِ أَحْداثِ يَوْمِ القِيامَةِ ، وَتَبْدأُ بِبَيانِ صِفَةِ الوُجوهِ . قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ ﴾ .

أيْ ذَلَّتْ وَخَضَعَتِ الخَلائِقُ للهِ الحَيِّ الذي لا يَموتُ ، القائِمِ عَلَى أُمورِ عِبادِهِ بِتَدْبيرِها وَحِفْظِها ، وَقَدْ خَسِرَ كُلُّ مَنْ كَسَبَ ظُلْماً في دُنْياهُ ، وَخَيْبَةُ كُلِّ ظالِمٍ بِقَدْرِ ما كَسَبَ مِنَ الظُّلْمِ .

والتَّعبيرُ عَنْ خُضوعِ المَرْءِ بِخُضوعِ الوَجْهِ لأنَّهُ أَشْرَفُ الأَعْضاءِ ، وَأوّلُ ما تَبدو عَلَيْهِ آثارُ الخُضوعِ والذُّلِّ .

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾

في هذهِ الآيَةِ بيانٌ لأَمْرِ العَمَلِ الصّالحِ ؛ فَمَنْ يَعْمَلْ شَيْئاً مِنَ الأَعْمالِ الصّالِحَةِ ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِرَبِّهِ ، فَإنَّهُ ، في هذهِ الحالَةِ ، لا يَخافُ أنْ يَحمِلَ أوْزاراً لَمْ يَرْتَكِبْها ، وَلا أنْ يَنْقُصَ شَيْءٌ مِنْ ثَوابِهِ ، بَلْ سَيُوَفَّى أَجْرَهُ كامِلاً .

بَعْدَ ذلِكَ يَنْتَقِلُ السِّياقُ لِبَيانِ حَقيقَةِ هذا الكِتابِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ ﴾

هذهِ الآيَةُ مَعْطوفَةٌ عَلَى قَوْلِهِ تعالى : ﴿كذلكَ نَقُصُّ عليكَ مِنْ أنباءِ ما قَدْ سَبَقَ﴾ أي : وَمِثْلَ ما أنْزَلْنا الآياتِ السّابِقَةَ المُشْتَمِلَةَ عَلَى القَصَصِ أنْزَلْنا القُرآنَ كُلَّهُ ، فَما نَزَلَ مِنْهُ مُتأَخِّراً يُشْبِهُ ، في هِدايَتِهِ وإعْجازِهِ ، ما نَزَلَ مِنْهُ مُتَقَدِّماً . وَلِذا وَصَفَ اللهُ كِتابَهُ بِأنَّهُ مُتَشابِهٌ (مُتَشابِهاً مَثاني) أيْ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضاً في الجودَةِ والإتْقانِ والإحْكامِ والإعْجازِ . لَقَدْ أنزلَهُ اللهُ بِلُغَةِ العَرَبِ لِيَعْرِفوا أنَّهُ في الفَصاحَةِ والبَلاغَةِ خارِجٌ عَنْ طَوْقِ البَشَرِ ، وَلَقَدْ جاءَ فيهِ صُوَرُ الإعْجازِ والتَّخويفِ بِأساليبَ مُتَعَدِّدَةٍ لِكَيْ يَبْتَعِدَ النّاسُ عَنِ الكُفْرِ والمَعاصي ، أَوْ تُحْدِثَ لَهُمُ الآياتُ مَوْعِظَةً في القُلوبِ تُؤَدّي إلى امْتِثالِ الأَوامِرِ واجْتِنابِ النّواهي .

والتَّعبيرُ في الآيَةِ الكَريمَةِ عَنِ القُرآنِ بِالضّميرِ في (أنْزَلْناهُ) مَعَ عَدَمِ سَبْقِ ذِكْرِهِ لِكَوْنِهِ مُسْتَقِرّاً في العُقولِ ، حاضِراً في الأذْهانِ والقُلوبِ .

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ .

أيْ تَنَزَّهَ وتَقَدَّسَ وَجَلَّ وَعَظُمَ شَأْنُ اللهِ سُبْحانَهُ ، المُتَصَرِّفِ في شُؤونِ خَلْقِهِ ، وَهُوَ وَحْدَهُ الإلهُ الحَقُّ الّذي أنْزَلَ هذا القُرآنَ .

ثُمَّ أرْشَدَ اللهُ تعالى نَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ إلى كَيْفِيَةِ تَلَقّي القُرآنِ مِنْ جبْريلَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قائلاً لَهُ : لا تَتَعَجَّلْ بِقِراءَةِ القُرآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يَنْتَهِيَ جِبْريلُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ تِلاوَتِهِ عَلَيْكَ ، فَقَدْ كانَ الرّسولُ ﷺ يَقْرَأُ الآياتِ في أثْناءِ قِراءَةِ جِبْريلَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِشِدّةِ حِرْصِهِ عَلَى حِفْظِها .

ثُمَّ أَمَرَهُ أنْ يَطْلُبَ المَزيدَ مِنَ العِلْمِ مِنْ رَبِّهِ ، وَفي هذا بَيانٌ لِشَرَفِ العِلْمِ ، وَعَظيمِ مَنْزِلَتِه .

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾

في هذِهِ الآيَةِ وَما بَعْدَها ذِكْرٌ لِقِصَّةِ آدَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَفيها تَأْكيدُ عَداوَةِ الشَّيْطانِ لِلبَشَرِ ، وَكَيْفَ أَغْوى الشَّيْطانُ أَبانا آدَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَأَغْراهُ بِالمَعْصيَةِ ، وَمَعنى الآيَةِ : وَلَقَدْ وَصَّيْنا آدَمَ وَأَمَرْناهُ أنْ لا يَقْرَبَ الشَّجَرَةَ ، فَغَفَلَ عَمّا وَصَّيْناه بِهِ ، وَلَمْ يَحْفَظْهُ ، وَفَتَرَتْ هِمَّتُهُ بِسَبَبِ خَديعَةِ الشَّيْطانِ لَهُ ، وَلَمْ يَصْبِرْ عَمّا نَهَيْناهُ عَنْهُ .

ثُمّ فَصَّلَتِ الآياتُ في كَيْفِيَّةِ حُصولِ ذلِكَ :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾

واذْكُرْ وَقْتَ أنْ أَمَرْنا المَلائِكَةَ بالسُّجودِ لآدَمَ تَشْريفاً وَتَكْريماً لَهُ ، فامْتَثلوا لِلأَمْرِ إلاَّ إبْليسَ ، فَإنّهُ امْتَنعَ عَنِ السُّجودِ تَكَبُّراً وَغُروراً وَحَسَداً على هذا التَّكْريمِ ، لِظَنِّهِ أنَّهُ أفْضَلُ مِنْ آدَمَ .

وَإبْليسُ لَيْسَ مِنَ المَلائِكَةِ ، وَهُوَ مِنَ الجِنِّ كما جاءَ في آيَةٍ أخْرى : ﴿ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف : ٥٠] وَدَخَلَ في الأمْرِ مَعَ المَلائِكَةِ لأنَّهُ كانَ يَصْحَبُهُم ، وَيَعْبُدُ اللهَ مَعَهُم ، فالاسْتِثْناءُ في الآيَةِ مُنْقَطِعٌ .

﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

فَقُلْنا لآدمَ عَقِبَ امْتِناعِ إبْليسَ عَنِ السُّجودِ لَهُ ، تَحذيراً لآدَمَ وَإرشاداً لَهُ : إنَّ هذا الَّذي امْتَنَعَ عَنِ السُّجودِ عَدُوٌّ لَكَ وَلِزوجِكَ بِسَبَبِ حَسَدِهِ لَكُما ، فَإيّاكُما أنْ تُطيعاهُ ، فَيَكونَ سَبَباً لإخْراجِكُما مِنَ الجَنَّة ، فَتَشْقى يا آدَمُ وَتَتْعَبَ في طَلَبِ المَعاشِ والرِّزْقِ .

وَإسْنادُ الشَّقاءِ إلى آدَمَ وَحْدَهُ ، لأنَّهُ المَقصودُ بالحَديثِ مِنْ أوّلِ القِصَّةِ ، وَلأنَّ شَقاءَ الرَّجُلِ يَدْخُلُ فيهِ شَقاءُ أَهْلِهِ ، وَلأنَّهُ هُوَ المُكَلَّفُ في رِعايَةِ زَوْجِهِ والإنفاقِ عَلَيْها .

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ اللهُ تعالى لآدَمَ أنَّ طاعَتَهُ لإبْليسَ سَتُؤَدّي بِهِ إلى الخُروجِ مِنَ الجَنَّةِ والشَّقاءِ ، بَيّنَ لَهُ شَيْئاً مِنْ مَزايا الجَنَّةِ تَرغيباً لَهُ فيها ، وَتَحذيراً لَهُ مِنْ طاعَةِ إبْليسَ ، ففي الجَنَّةِ عَيْشٌ رَغيدٌ هَنيءٌ فَلا تَعَبَ وَلا مَشَقَّةَ ، فالغِذاءُ يَأْتيكَ بِمُجَرّدِ الرَّغْبَةِ فَلا تَجوعُ فيها أَبَداً ، والكِساءُ الفاخِرُ فيها يَأْتيكَ حَسَبَ رَغْبَتِكَ فلا تَعرى ، وَلا يُصيبُكَ الظَّمأُ ، وَلا حَرُّ الشَّمْسِ ، فَأَنْتَ فيها مُتَمَتِّعٌ بِكُلِّ مَطالِبِ الحَياةِ الهَنيئَةِ ، وَهذِهِ الأَرْبَعَةُ : الشِّبَعُ والرِّيُّ والكِسْوةُ والسَّكَنُ ، هِيَ أَهَمُّ مَطالِبِ الإنْسانِ واحْتِياجاتِهِ ، فَهِيَ في الجَنَّةِ مَضْمونَةٌ مُتوافِرَةٌ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ المُسْلِمُ بَعيدٌ عَنِ الظُّلْمِ بِصُوَرِهِ وَأَشْكالِهِ وَدَرَجاتِهِ كافَّةً .

٢ـ أهَمِيَّةُ التَّنويعِ في وَسائِلِ الدَّعْوَةِ

٣ـ اسْتِحْبابُ التَّرَيُّثِ والتَّأنّي في تِلاوَةِ القُرآنِ وَتَعَلُّمِهِ .

٤ـ التَّرغيبُ في طَلَبِ العِلْمِ والاسْتِزادَةِ مِنْهُ .

٥ـ أسْبابُ عَداءِ الشَّيطانِ للإنْسانِ .

٦ـ تَحْذيرُ الرَّحمنِ لَنا مِنَ الشَّيْطانِ .

٧ـ تَكْريمُ اللهِ لآدَمَ وَأمْرُ المَلائِكَةِ بِالسُّجودِ لَهُ .

٨ـ مَعْصِيَةُ اللهِ تُوقِعُ الإنسانَ في الشَّقاءِ والبَلاءِ .

٩ـ التَّكَبُّرُ والغُرورُ مِنَ الأَسْبابِ المُؤَدِّيَةِ إلى المَعْصِيَةِ .

١٠ـ الجَنَّةُ دارُ النَّعيمِ المُقيمِ الدَّائِمِ والرَّفاهِيَةِ وَرَغَدِ العَيْشِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعنى (وَعَنَتِ الوُجوهُ) ؟ وَما سَبَبُ تَخْصيصِ الوُجوهِ بِالذِّكْرِ ؟

٢ـ عَلَى أيِّ شَيْءٍ عُطِفَتْ جُمْلَةُ (وَكَذلِكَ أنزَلْناهُ) ؟ وَما مَعنى الآيَةِ ؟

٣ـ لِماذا رَفَضَ إبْليسُ السُّجودَ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٤ـ ما سَبَبُ تَخْصيصِ الشَّقاءِ بِآدَمَ دونَ زَوجِهِ مَعَ ذِكْرِها مَعَهُ في الآيَةِ ؟

٥ـ اذكرْ بَعْضَ ما في الجَنَّةِ مِنْ نِعَمٍ حَسْبَما ذَكَرَتْهُ الآياتُ الكَريمَةُ .

٦ـ هَلْ عَداوةُ إبْليسَ خاصَّةٌ بِالرِّجالِ دونَ النِّساءِ ؟ وَما دَليلُ ذلِكَ ؟

نَشاطٌ :

ـ اذْكُرْ آيَةً أُخرى غيرَ الآيةِ (١١٤) تُبَيِّنُ فَضْلَ العِلْمِ وَشَرَفَ تَعَلُّمِهِ .

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والأَرْبَعونَ

سورَةُ طَهَ ـ القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

فَوَسْوَسَ : أَوْقَعَ في نَفْسِهِ الخاطِرَ السَّيِّءَ .

يَبْلى : يَزولُ .

سوءاتُهُما : عَوْراتُهُما .

طَفِقا يَخْصِفانِ : أخذا يُلْصِقانِ وَيُغَطِّيانِ .

اجْتَباهُ : اصْطَفاهُ .

ضَنْكاً : ضيِّقَةً شَديدةً .

التفسيرُ :

في هَذا الدَّرْسِ تَتِمَّةُ الحَديثِ عَنْ قِصَّةِ آدمَ عَلَيْهِ السّلامُ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾

فأَوْقَعَ إبْليسُ في نَفْسِ آدمَ الخاطِرَ السّيِّىءَ ، وأَوْصَلَ كَيْدَهُ إليْهِ ، وعَرَضَ عَلَيْهِ الأكْل مِنَ الشَّجَرَةِ التي نَهاهُ اللهُ عَنِ الأكْلِ مِنْها ، وَأَوْقَعَ في نَفْسِهِ أنَّ مَنْ آكَلَ مِنْها عاشَ مُخَلَّداً لا يموتُ ، وَصارَ صاحِبَ مُلْكٍ لا يَزولُ ولا يَفْنى .

وَجَعَل إبْليسُ عَرْضَهُ هذا بِطَريقَةِ الاسْتِفْهام ؛ لِيُشْعِرَهُ بأنَّهُ ناصِحٌ لَهُ ، وَحَريصٌ على مَنْفَعَتِهِ ومَصْلَحتِهِ ، وَناداهُ باسْمِهِ لِيكونَ أكْثَرَ إقْبالاً عَلَيْهِ .

﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ .

فاسْتَجابَ آدمُ لِخِداعِ إبْليسَ وَمَكْرِهِ ، وتَغَلَّبَ عَلَيْهِ ضَعْفُهُ ، وَنَسِيَ تَحْذيرَ اللهِ لَهُ مِنْ إبْليسَ ، وَمِنْ طاعَتِهِ ونَهْيِهِ إيّاهُ أنْ يَأْكُلَ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، فَأَكَلَ مِنْها هُوَ وَزَوْجُهُ ، فَظَهَرتْ لَهُما عَوْراتُهُما ، وكانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ مَسْتورَةً عَنْهُما ، وَسُمِّيَتِ العَوْرَةُ : سَوْأَةً ، لأنَّ انْكِشافَها يَسوءُ صاحِبَها ، وأَخَذا يُلْصِقانِ على جَسَدَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ لِيَسْتُرا عَوْراتِهِما .

﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾

نَدِمَ آدمُ على ما فَعَلَ ، فَأَلْهَمَهُ اللهُ التَّوْبَةَ ، فَتابَ واسْتَغْفَرَ رَبَّهُ ، فَقَبِلَ اللهُ تَعالى تَوْبَتَهُ ، وَهَداهُ إلى الثَّباتِ عَلَيْهِما والتَّمَسُّكِ بِأَسْبابِ العِصْمَةِ .

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ .

أمَرَ اللهُ تعالى آدَمَ ومَعَهُ زَوْجَهُ وإبْليسَ أنْ يَنْزِلا إلى الأَرْضِ مُتَعادينَ مُتَباغِضينَ ، وبَيَّنَ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّ العَداوةَ بَيْنَ آدمَ وزَوْجِهُ وذرِّيَّتِهِما وبَيْنَ إبْليس وَذُرِّيَّتِهِ سَتَبْقى مُسْتَمِرَّةً على الأَرْضِ ، كَما سَتَنْشَأُ عَداوةٌ بَيْنَ بني آدَمَ بِسَبَبِ التَّخاصُمِ والتَّنازُعِ والتَّدافُعِ عَلى حُطامِ الدُّنيا . وهذا يَسْتَدْعي إرْسالَ الرُّسُلِ وتَبْيينَ الهُدَى مِنَ الضَّلالِ ، فَمَنِ اتَّبَعَ هُدى اللهِ فلا يَضِلُّ في الدُّنْيا ولا يَشْقى بالعَذابِ يَوْمَ القيامَةِ .

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾

ومَنِ انْصَرَفَ عَنِ الهُدى المُرْشِدِ إلى ذِكْرِ اللهِ ، فإنَّ لَهُ مَعيشةً ضَيِّقَةً شَديدةً في حَياتِهِ ، مَهْما كانَ في سَعَةٍ مِنَ العَيْشِ ، فإنَّهُ سَيَكونُ شَديدَ الحِرْصِ على الدُّنْيا مُتَهالِكاً عَلى الازْدِيادِ مِنْها خائِفاً مِنَ انْتِقاصِها ، لا بَرَكَةَ لَهُ فيها ، ويُحْشَرُ يَوْمَ القِيامَةِ أعْمى البَصَرِ ؛ لأنَّهُ تَعامى عَنْ آياتِ اللهِ في الدُّنْيا .

﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ ﴾

قالَ ذاكَ الكافِرُ المُعْرِضُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ : يا ربِّ لأيِّ سَبَبٍ حَشَرْتَني أعْمى ، وقَدْ كُنْتُ في الدّنيا بَصيراً أَرى الأَشْياءَ بعينيَّ ؟

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

قالَ اللهُ تَعالى مُبَيِّناً لِلْكافِرِ سَبَبَ ما أَصابَهُ : مِثْلَ ما فَعَلْتَ أَنْتَ فَعَلْنا بكَ ، فَقَدْ جاءَتْكَ الأدِلَّةُ والبَراهينُ الَّتي تَدْعوكَ إلى طاعَةِ اللهِ ، فَأَعْرَضْتَ وتَعامَيْتَ عَنْها وتَرَكْتَها كالشَّيءِ المَنْسيِّ الَّذي لا يَخْطُرُ عَلى البالِ ، فاليَوْمَ نُجازيكَ بِمِثْلِ عَمَلِكَ ، فَنَجْعَلُكَ أَعْمى عَنِ الاهْتِداءِ إلى ما يَنْفَعُكَ ، ونَتْرُكُكَ في عَماكَ وحَيْرَتِكَ كَما يُتْرَكُ المَنْسيُّ ، وَنَدْفَعُ بِكَ إلى النَّارِ لِتَصْلَى عَذابَها .

﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ .

وَبِمِثْلِ هذا الجَزاءِ العادِلِ نُجازي كُلَّ مَنْ تَجاوَزَ الحَدَّ في ارْتِكابِ المَعاصي ، وتَرَكَ الإيمانَ بِرَبِّهِ ، وَلَمْ يَنْظُرْ في الآياتِ الَّتي تَدُلُّ عَلَيْهِ سُبْحانَهُ ، وهذا العَذابُ في الآخِرَةِ أَعْظَمُ وأَدْوَمُ مِنْ أيِّ عَذابٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ أُسْلوبُ الشَّيْطانِ في إضْلالِ الإنْسانِ يَقومُ عَلى تَزْيينِ المَعاصي لَهُ .

٢ـ الارْتِباطُ بَيْنَ المَعاصي وانْكِشافِ العَوْرَةِ .

٣ـ الحَذَرُ مِنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْطانِ ، فإنّها تَقودُ إلى المَعْصِيَةِ والشَّقاءِ .

٤ـ وُجوبُ التَّوْبَةِ فَوْراً مِنْ جَميعِ المَعاصي والسَّيِّئاتِ .

٥ـ التَّنْفيرُ مِنَ المَعْصِيَةِ بِتَبْيينِ أنَّها تَقودُ إلى الضَّلالِ والغِوايَةِ .

٦ـ الإعْراضُ عَنْ آياتِ اللهِ والتَّعامي عَنْها يُورِثُ العَمى في الآخِرَةِ ، فالجَزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ .



أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ كَيْفَ زَيَّنَ إبْليسُ لآدَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الأكْلَ مِنَ الشَّجَرَةِ ؟

٢ـ أ ـ لِماذا سارَعَ آدَمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَزَوْجُهُ إلى سَتْرِ عَوْرَتَيْهِما ؟

ب ـ لماذا تُسَمّى العَوْرَةُ : سَوْأَة ؟

٣ـ ما جَزاءُ مَنِ اتّبَعَ هُدى اللهِ ؟ وما جَزاءُ مَنْ أعْرَضَ عَنْهُ ؟

٤ـ ما مَعْنى نِسْيانُ الآياتِ ؟

٥ـ اكْتُبْ في الفَراغِ الكَلماتِ القُرْآنيَّةَ الَّتي تُناسِبُ كُلاً مِمَّا يلي :

أ ـ هَلْ أدُلُّكَ على شَجَرَةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لا . . . .

ب ـ وعصى آدَمُ ربَّهُ . . . .

ح ـ ثُمّ . . . . رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وهَدى .

د ـ فَمَنِ اتَّبَعَ . . . . فَلا يَضِلُّ ولا يَشْقى .

هـ ـ وَمَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْري فإنَّ لَهُ مَعيشَةً . . . .

و ـ وَكَذلِكَ اليَوْمَ . . . .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ عَلاقةَ المَعاصي بِكَشْفِ السِّتْرِ عَنِ العاصينَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والأَرْبعونَ

سورةُ طه - القِسْمُ الرَّابِعَ عَشَرَ

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَهْدِ لَهُمْ : يَتَبَيَّنْ لَهُمْ .

لِأُولي النُّهى : لأَصْحابِ العُقولِ .

لِزاماً : لازِماً .

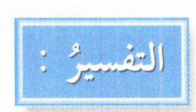
آناءَ اللَّيْلِ : ساعاتُهُ .

أَزْواجاً : أَصْنافاً .

زَهْرَةَ الحَياةِ : زينَتُها .

نَخْزَى : نُفْضَحَ .

الصِّراطِ السَّوِيِّ : الطَّريقِ المُسْتَقيمِ .



التفسيرُ :

في هَذهِ الآياتِ الكَريمَةِ الَّتي خُتِمَتْ بِها السُّورَةُ تَوْجيهاتٌ رَبَّانِيَّةٌ ، تَبْدأُ بِتَوْبيخِ الّذينَ لَمْ يَنْتَفِعوا بِآياتِ اللهِ :

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾ .

أَبَلَغَتِ الغَفْلَةُ والجَهالَةُ بِهؤلاءِ المُشْرِكينَ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَبَيَّنْ لَهُمْ ، أَنَّا أهْلَكْنا كَثيراً مِنْ أَهْلِ القُرونِ الماضِيَةِ ، الَّذينَ كانوا يَمْشونَ آمِنينَ لاَهينَ في مَساكِنِهِمْ . إنّ في هَذا الّذي أَخْبَرناهُم بِهِ ، وأَطْلَعْناهُم عَلَيْهِ مِنْ إهْلاكِ المُكَذِّبينَ السَّابِقينَ لآياتٌ عَظيمةٌ ودَلائِلُ واضِحَةٌ لأَصْحابِ العُقولِ السَّليمَةِ الَّتي تَنْهى أَصْحابَها عَنِ القبائِحِ والمُنْكَراتِ .

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ ﴾

ولولا الوَعْدُ السَّابِقُ مِنَ اللهِ لِهذِهِ الأُمَّةِ بِتَأْخيرِ العَذابِ عَمَّنْ يَسْتَحِقُّهُ إلى يَوْم القيامَةِ ، ولَوْلا الأجلُ المُسَمَّى المُحَدَّدُ في عِلْمِهِ لانْتِهاءِ أَعْمارِهِمْ ، لَما تَأَخَّرَ عَنْهُمُ العَذابُ ، بَلْ لكانَ العَذابُ لازِماً لَهُمْ نازِلاً بِهِمْ كما نَزَلَ بالسَّابِقينَ مِنْ أَمْثالِهِمْ .

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ .

فاصْبِرْ أيُّها الرَّسولُ على ما يَقولُهُ المُشْرِكونَ ، فإنَّ عَذابَهُمْ آتٍ في يَوْمٍ لا رَيْبَ فيهِ ، ونَزِّهْ رَبَّكَ ، وَعَظِّمْهُ ، واحْمَدْهُ في أَوْقاتِكَ كُلِّها قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ في أَوَّلِ النَّهارِ ، وقَبْلَ غُروبِها في آخِرِ النَّهارِ ، وفي ساعاتِ اللَّيلِ ، وَفي وَسَطِ النَّهارِ رَجاءَ أَنْ تَصِلَ بِهذا التَّسْبيحِ والذِّكْرِ إلى ما يُرْضي نَفْسَكَ الصَّابِرَةَ على أَذاهُمْ ، وَيَمْنَحُكَ مَزيدَ الثَّوابِ وَعظيمَ الأَجْرِ .

وفي هذهِ الآيةِ إشارَةٌ إلى مَواقيتِ الصَّلَواتِ الخَمْسِ ؛ فَقَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ صَلاةُ الفَجْرِ ، وقبلَ غُروبِها صَلاةُ العَصْرِ ، ومِنْ آناءِ اللَّيْلِ صَلاةُ العِشاءِ ، وأَطْرافَ النَّهارِ صَلاةُ المَغْرِبِ والظُّهْرِ ، لأَنَّ الظُّهْرَ في آخِرِ طَرَفِ النَّهارِ الأَوَّلِ ، وغُروبُ الشَّمْسِ في آخِرِ طَرَفِ النَّهارِ الأَخيرِ .

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ .

هذا نَهْيٌ عَنِ الإعْجابِ بالدُّنْيا وَزينَتِها ، يَأْتي بَعْدَ الأَمْرِ بالتَّسْبيحِ والحَمْدِ ، أيْ : لا تُطِلِ النَّظَرَ

بِقَصْدِ الرَّغْبَةِ والمَيْلِ ، إلى ما مَنَحَهُ اللهُ تَعالى أصْنافاً مِنَ المُشْركينَ ، مِنَ الجاهِ والوَلَدِ والمالِ والزِّينَةِ والبَهْجَةِ ، لِيَتَمَتَّعوا بِهِ فَتْرَةَ وُجودِهِمْ في هَذهِ الحَياةِ الدُّنْيا ، ولِنَبْتَلِيَهُم بِهَذا العَطاءِ وَنَخْتَبِرَهُم بِهذا النَّعيمِ ، حتَّى يَسْتَوجِبوا العَذابَ بِكُفْرِهِمْ ، وَجُحودِهِمْ ، ولِيَظُنُّوا أنَّ ما هُمْ فيهِ هُوَ الحالُ الصَّحيحُ ، وَلَكِنَّ ثَوابَ اللهِ في الآخِرَةِ ، وَرِزْقَهُ في الدُّنْيا خَيْرٌ وأَحْسَنُ وأَدْوَمُ مِنْ هذا النَّعيمِ الفاني .

والخِطابُ في هَذهِ الآيَةِ لِلنَّبيِّ ﷺ وأُمَّتُه تَبَعٌ لَهُ فيما خاطَبَهُ اللهُ فيهِ إلاَّ ما دَلَّتِ النُّصوصُ على خُصوصِيَّتِهِ فيه ، وإنْ كانَ الرَّسولُ ﷺ أبْعَدَ النّاسِ عَنْ إطالَةِ النَّظَرِ إلى أهْلِ الدُّنْيا وَزينَتِها ، وأزْهَدَ النَّاسِ فيها .

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾

وَهذا إرْشادٌ مِنَ اللهِ تَعالى لِنَبيِّه ﷺ أنْ يأْمُرَ أهْلَهُ وَهُمْ : أزْواجُهُ وَبَناتُهُ وأَقْرِباؤُهُ بالمُداوَمَةِ عَلى أداءِ الصَّلاةِ ، والمُحافَظَةِ عَلَيْها في أوْقاتِها ، وأنْ يُداوِمَ على أدائِها ومُلازَمَتِها ؛ فإنَّها مِنْ أعْظَمِ العِباداتِ الَّتي أَمَرَ اللهُ بها ، ولا يَصِحُّ أنْ يَشْغَلَنا عَنْها أيُّ شاغِلٍ مِنْ طَلَبِ رِزْقٍ أَوْ غَيْرِهِ ، واللهُ تَعالى لَمْ يُكَلِّفْنا أنْ نَرْزُقَ أنْفُسَنا ولا أهْلَنا ، بَلْ تَكَفَّلَ ـ سُبْحانَهُ ـ بالرِّزْقِ ، وعَلَيْنا أنْ نَأْخُذَ بالأَسْبابِ ، ونَبْحَثَ عَنِ الرِّزْقِ دُونَ أنْ يَعوقَنا عَنِ العِبادَةِ ، والعاقِبَةُ المحمودةُ لأهلِ التَّقوى والعبادَةِ .

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ ﴾

في هَذهِ الآيَةِ إخْبارٌ عَمَّا طَلَبَهُ المُشْرِكونَ مِنَ الرَّسولِ ﷺ ، وَهُوَ أنْ يأتِيَهُم بِمُعْجِزَةٍ تَدُلُّ على صِدْقِهِ في دعوى الرِّسالَةِ ، فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بأنَّ القُرْآنَ هُوَ أعْظَمُ مُعْجِزَةٍ لِنَبيِّهِ ﷺ ، فَفيهِ تَصْديقُ ما في الكُتُبِ السَّابِقَةِ ، فَضْلاً عمَّا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ أَعْلى دَرَجاتِ الفَصاحَةِ الَّتي يَعْجَزُ عَنْها البَشَرُ ، أَفَلا تَكْفيهِمْ هَذهِ المُعْجِزَةُ الباهِرَةُ .

﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾ .

وَلَوْ أنَّا أهْلَكْناهُمْ بِشِرْكِهِمْ قَبْلَ إرْسالِ مُحَمّدٍ ﷺ وإنْزالِ القُرْآنِ عَلَيْهِ لَقالوا مُحْتَجِّينَ : ربَّنا هَلاَّ أرْسَلْتَ إلَيْنا رَسولاً يَدْعونا إلى الهُدى والخَيْرِ فَنَتَّبِعَهُ قَبْلَ أنْ نَذِلَّ في الدُّنْيا بالهَلاكِ العَظيمِ ، ونُفْتَضَحُ في الآخِرَةِ .

وَهَذا الإخْبارُ مِنْهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لِعِلْمِهِ بما سَيقولُهُ المُشْرِكونَ يَوْمَ القِيامَةِ لَوْ لَمْ يُرسِلْ إلَيْهِمْ رَسولاً ، وَلِذا أَقامَ عَلَيْهِمُ الحُجَّةَ بإرْسالِ الرَّسولِ ﷺ وقَطَعِ عُذْرِهِمْ بِعَدَمِ الإيمانِ بِه .

﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَـٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾ ﴾

قُلْ أيُّها الرَّسولُ لِهؤُلاءِ الكافِرينَ : كُلُّ واحِدٍ مِنّا وَمِنْكُمْ مُتَرَبِّصٌ بالآخَرِ ، ومُنْتَظِرٌ ما سَيؤولُ إليْهِ أَمْرُ صاحِبِهِ ، وَما دامَ الأَمْرُ كَذلِكَ فَتَرَبَّصوا ، وانْتَظِروا ، فَسَتَعْلَمونَ مَنْ هُمْ أَصْحابُ الطَّريقِ المُسْتَقيمِ الَّذينَ تَجَنَّبوا الضَّلالَةَ ، واهْتَدَوْا إلى ما يُسْعِدُهُمْ في دُنياهُمْ وآخِرَتِهِمْ .

وَبِهذا التَّهْديدِ لِلْمُشْرِكينَ بِسُوءِ العاقِبَةِ تُخْتَتَمُ سُورةُ طَهَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الاتِّعاظُ بِمَصارعِ الغابِرينَ كَيْ لا يُصيبَنا ما أَصابَهُمْ .

٢ـ اللهُ يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ .

٣ـ وُجوبُ الصَّبْرِ عَلى دَعْوَةِ اللهِ ، والاسْتِعانةُ عَلى ذَلِكَ بالتَّسْبيحِ والصَّلاةِ .

٤ـ عَدَمُ التَّعَلُّقِ بالدُّنْيا وزينَتِها ، فإنَّها إلى زَوالٍ سَريعٍ ، والرِّضى بما قَسَمَ اللهُ تعالى .

٥ـ وُجوبُ أمْرِ الأَهْلِ بالصَّلاةِ والمُحافَظَةِ عَلَيْها في أَوْقاتِها .

٦ـ القُرْآنُ مُعْجزَةُ النَّبيِّ ﷺ الخالِدَةُ ، وفيهِ تَصْديقُ ما في الكُتُبِ السَّابِقَةِ .

٧ـ لا أَحَدَ أَحَبُّ إليْهِ العُذْرُ مِنَ اللهِ ، ومِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ اللهُ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ الكُتُبَ لِيُقيمَ الحُجَّةَ على العِبادِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما المُرادُ بالكَلِمةِ الَّتي سَبَقَتْ مِنَ اللهِ ، وبالأَجَلِ المُسَمّى ؟

٢ـ عَدِّدْ ما في آياتِ الدَّرْسِ مِنْ أَوامِرَ وَنَواهٍ مُرَتَّبَةً كَما جاءَتْ في الآياتِ وَفْقَ قائِمتينِ :

أـ الأَوامِرُ .

ب ـ النَّواهي .

٣ـ لِماذا نَهى اللهُ تَعالى عَنِ الاغْتِرارِ بزينَةِ الدُّنيا والتَّعَلُّقِ بها ؟

٤ـ ما المُرادُ بـ(أَهْلَكَ) ؟ وما مَعْنى (واصْطَبِرْ عَلَيْها) ؟
٥ـ ماذا اقْتَرَحَ المُشْرِكونُ ؟ وبماذا رَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ ؟
٦ـ بِماذا أبْطَلَ اللهُ حُجَّةَ المُشْرِكينَ الَّتي كانوا سَيَحْتَجُّونَ بها لَوْ لَمْ يُرسِلْ إليْهِم رَسولاً ؟
٧ـ ما مَعْنى الآيةِ الأَخيرةِ في السُّورَةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ كَيْفَ كانَ اللهُ تَعالى يَفْعَلُ بالأَقْوامِ السَّابِقينَ بَعْدَ تَكْذيبِهِمْ لِرُسُلِهِمْ .
٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ عَلاقَةَ ذِكْرِ اللهِ تعالى وَعِبادَتِهِ بِتَأْييدِ اللهِ وَمَعونَتِهِ لِلإِنْسانِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الخامِسُ والأَرْبَعونَ

سورةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

هَذهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ ، وَهِيَ مِائةٌ واثنتا عَشْرَةَ آيةً ، مَوْضوعُها الرَّئيسُ إقامةُ الأدِلَّةِ على وَحْدانيَّةِ اللهِ ، وَصِدْقِ الرَّسولِ ﷺ ، وعَلى أنَّ يَوْمَ القيامةِ حَقٌّ ، كما رَدَّتْ على شُبَهِ المُشْرِكينَ ، واحْتَوتْ على جُمْلَةٍ مِنْ قَصَصِ الأَنْبياءِ تُبَيِّنُ جِهادَهُم وَصَبْرَهُم وتَفانِيهِمْ في إبْلاغِ الدَّعْوَةِ لإسْعادِ البَشَرِيَّةِ ، وَلِذا سُمِّيتْ : سورةَ الأنبياءِ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

اقْتَرَبَ : دَنا .

أَسَرُّوا النَّجْوى : بالَغوا في إخْفاءِ كَلامِهِم .

أضغاثُ : أَخْلاطٌ .



التفسيرُ :

افْتُتِحَتْ هذهِ السُّورَةُ الكَريمَةُ بالإخْبارِ عَنْ يَوْمِ الحِسابِ لِتَنْبيهِ النَّاسِ الغافِلينَ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ ﴾

قَرُبَ ودنا الوقتُ الذي يُحاسِبُ اللهُ النَّاسَ فيهِ عَلى أَعْمالِهِمْ ، وَمُعْظَمُ النَّاسِ في غَفْلَةٍ تامَّةٍ عَنْ هذا الحِسابِ ، وَفي إِعْراضٍ مُسْتَمِرٍّ عَنِ الاسْتِعْدادِ لَهُ .

وعَبَّرَ ـ سُبْحانَهُ ـ عَنْ حُصولِ السَّاعةِ بالقُرْبِ لأنَّ كُلَّ آتٍ ، وإنْ طالَ وَقْتُ اسْتِقْبالِه وَتَرَقُّبه ، قريبٌ ، كَما قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [القمر : ١] وقالَ : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل : ١] .

﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ ﴾

إنَّ هؤلاءِ الغافِلينَ المُعْرِضينَ عَنِ الاسْتِعْدادِ لِيَوْمِ الحِسابِ ، لا يَسْمَعونَ شَيْئاً مِنَ القُرْآنِ مِمّا يُنَزِّلُهُ اللهُ على رَسولِهِ ﷺ ، إلاّ اسْتَمَعوا إلى هَذا القُرْآنِ المُنَزَّلِ حَديثاً ، وَهُمْ مُعْرِضونَ ، وَمُسْتَمِرُّونَ في لَعِبِهِمْ وَلَهْوِهِمْ .

وَلَمّا كانَ اللَّعِبُ صِفَةً لِلأَجْسادِ أَتْبَعَهُ سُبْحانَهُ بوصفِ قُلوبِهِمْ .

﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ ﴾ .

اسْتِماعَهُمْ إلى القُرْآنِ لاعِبينَ بأَجْسادِهِمْ ، فإنَّهُمْ مَعَ ذَلكَ لاهونَ غافِلونَ ، وهَذهِ حالُ القُلوبِ ، وكانَ حَقُّها أَنْ تَسْتَقْبِلَهُ بالتَّدبُّرِ والتَّذَكُّرِ .

ولَمْ يَكْتَفِ هَؤلاءِ بالإعْراضِ والغَفْلَةِ عَنْ سَماعِ القُرْآنِ ، بَلْ زادوا عَلى ذَلِكَ المُبالَغَةَ في إخْفاءِ ما يَتَحَدَّثونَ بهِ مِنْ أَمْرِ النَّبيِّ ﷺ ، كَيْداً مِنْهُم لَهُ ، ومُبالغَةً مِنْهُم في المَكْرِ والمُعاداةِ ، إلاّ أنَّ اللهَ ـ سُبْحانَهُ ـ العالِمَ بِكُلِّ سِرٍّ وَنَجْوى أَخْبَرَ رَسولَهُ ﷺ بما يُحاوِلُ هَؤلاءِ الظّالِمونَ إخْفاءَهُ فأَطْلَعَ اللهُ نَبيَّهُ ﷺ عَلَيْهِ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ : إنَّ هذا الرَّجُلَ الَّذي يَدَّعي الرِّسالةَ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، فلا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ رَسولاً ، وَلا بُدَّ مِنْ أَنْ يَكونَ ساحِراً فيما أَتى بِهِ مِنْ خَوارِقَ وَكَلامٍ مُعْجِزٍ ، فَهَلْ تَقْبَلونَ السِّحْرَ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمونَ أَنَّهُ سِحْرٌ ؟ قالوا هَذا وَهُمْ يَعْرِفونَ مُحَمَّداً ﷺ حَقَّ المَعْرِفَةِ ، وأَنَّه لَيْسَ بساحِرٍ ، وأَنَّه الصَّادِقُ الأَمينُ .

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ ﴾

بَعْدَ أنْ كَشَفَ اللهُ تعالى لِرَسولِهِ ﷺ سِرَّ المُشْرِكينَ ، وما حاولوا إخْفاءَهُ مِنْ تَناجيهِمْ ، قالَ لَهُمْ رَسولُ اللهِ ﷺ : إنّ ربّي لا يَخْفى عَلَيْهِ شيْءٌ فَهُوَ يَعْلَمُ قَوْلَ كُلِّ قائِلٍ سِرّاً كانَ أوْ جَهْراً ، سَواءٌ أكانَ القائِلُ في السَّماءِ أمْ في الأرْضِ ، وَهُوَ السَّميعُ لأَقْوالِكُمْ ، وَلِكُلِّ ما يُسْمَعُ وما لا يُسْمَعُ ، العَليمُ بأحْوالِكُمْ ، وبِكُلِّ ما في هذا الكَوْنِ .

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمِۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾

تَدُلُّ هَذهِ الآيَةُ على ما كانَ يُعانيهِ المُشْرِكونَ مِنْ تَرَدُّدٍ وتَخَبُّطٍ في شَأْنِ النَّبيِّ ﷺ ، فَبَعْدَ أنْ أَسَرُّوا النَّجوى ، وَقالوا إنَّهُ ساحِرٌ ، أعْرَضَ عَدَدٌ مِنْهُمْ عَنْ هذا الرأيِ ، وقالوا : بَلْ ما أتى بِهِ مِنْ كَلامٍ لا يَعْدو أنْ يَكونَ أضْغاثَ أحْلامٍ ، أيْ أَباطيلَ وأَخْلاطاً كالّتي يَراها النّائِمُ في مَنامِهِ ، وقالَ بَعْضُهُم أتى بالقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ ، فَهُوَ الّذي اخْتَرَعَهُ ، واخْتَلَقَهُ ، وَنَسَبَهُ إلى اللهِ ، وَقالَ جَماعةٌ مِنْهُمْ : بَلْ هُوَ شاعِرٌ ، يَقولُ كَلاماً يُخَيِّلُ لِلنّاسِ مَعانِيَ لا حَقيقَةَ لَها . فإنْ لَمْ يَكُنْ كَما قُلْنا ، وَكانَ رَسولاً حَقّاً فَلْيَأْتِنا بِأَمْرٍ خارِقٍ يَدُلُّ على صِدْقِهِ كَما كانَ حالُ المُرْسَلينَ مِنْ قَبْلِهِ ، وقَدْ نَفى اللهُ تَعالى عَنْ رَسولِهِ ﷺ كُلَّ ما اتَّهَمَهُ بِهِ الكافِرونَ مِنْ سِحْرٍ أَوِ افْتِراءٍ أو شِعْرٍ ، وَتَحدّاهُمْ أنْ يَأْتوا بِمِثْلِهِ أَوْ بِسورةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، لَكِنَّهُمْ عَجزوا عَنْ ذلكَ .

﴿ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ .

تَدُلُّ هذهِ الآيةُ عَلى رَحْمَةِ اللهِ بِهَؤلاءِ المُشْرِكينَ ، الّذينَ طَلَبوا مِنَ الرَّسولِ ﷺ آيةَ كَوْنِيَّةً ، ذَلِكَ أنَّ الأَقْوامَ السّابِقينَ طَلَبوا مِنْ رُسُلِهِمْ مُعْجِزاتٍ وَخَوارِقَ ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤمِنوا بِها بَعْدَ أنْ رَأَوْها ، فاسْتَحَقُّوا عَذابَ اللهِ الشَّديدَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ ، وَلَوْ أنَّ مِثْلَ هذهِ الخَوارِقِ حَصَلَتْ لِرَسولِ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُؤْمِنْ بها قَوْمُهُ لأَهْلِكوا كَما أُهْلِكَ السّابِقونَ ، وَلِذا اقْتَضَتْ رَحْمَةُ اللهِ وَحِكْمَتُهُ أنْ لا يَسْتَجيبَ لِطَلَبِهِمْ ، فَهُمْ بَشَرٌ كالسّابِقينَ ، وَما دامَ السّابِقونَ لَمْ يُؤْمِنوا بِهذهِ الخَوارِقِ ، فَهَؤُلاءِ لَنْ يُؤْمِنوا بها كَذلِكَ ، فَهُمْ لا يَقِلّونَ عُتُوّاً وعِناداً عَمَّنْ سَبَقَهُمْ واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عَليمٌ بما في قُلوبِهِمْ مِنْ إصْرارٍ عَلى الكُفْرِ والتَّكْذيبِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ ذَمُّ النّاسِ المُعْرِضينَ عَنِ العَمَلِ لِيَوْمِ القيامَةِ مَعَ شِدَّةِ قُرْبِها .

٢ـ أهَمِّيَةُ اسْتِحْضارِ قُرْبِ السَّاعَةِ لإتْقانِ العَمَلِ وإحْسانِهِ .

٣ـ عِلْمُ اللهِ مُحيطٌ بِكُلِّ ما في الكَوْنِ مِنْ دَقائِقَ وَخَفايا .

٤ـ اخْتِلافُ المُشْرِكينَ في شأْنِ النَّبيِّ ﷺ دَليلٌ واضِحٌ على بُطْلانِ كَلامِهِمْ .

٥ـ تَقومُ الحُجَّةُ عَلى مَنْ يَرى الآيَةَ الكَوْنِيَّةَ ، فإنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِها اسْتَحقَّ العَذابَ الفَوْرِيَّ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ تَعددتِ الآياتُ الَّتي تُبَيِّنُ قُرْبَ حُصولِ السّاعةِ ، فَما الحِكْمَةُ مِنْ ذَلِكَ ؟

٢ـ بِماذا وَصَفَ اللهُ المُشْرِكينَ حالَ اسْتِماعِهِمْ لِلآياتِ المُنَزَّلَةِ ؟

٣ـ لِماذا أسَرَّ الكُفّارُ ما تَناجَوْا بِهِ ؟

٤ـ على ماذا يَدُلُّ تَعَدُّدُ أَقْوالِ المُشْرِكينَ في النَّبيِّ ﷺ ؟

٥ـ هَلْ مُنِعَتِ الآيةُ الكَوْنيَّةُ عَنِ المُشْرِكينَ رَحْمَةً بِهِمْ ، أوْ عُقوبَةً لَهُمْ ؟ وضِّحْ ذَلِكَ .

فائدةٌ :

لَمَّا نَزَلَتْ سُورَةُ الأَنْبياءِ قالَ بَعْضُ الصَّحابَةِ : نَزَلَتِ اليَوْمَ سورَةٌ أَذْهَلَتْنا عَنِ الدُّنيا[١] .

نَشاطٌ :

١ـ تأمَّلْ في الآياتِ الثَّلاثِ الأُولى ، مُبَيِّناً وَجْهَ افْتِتاحِ السُّورَةِ بِها ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما قالَهُ فِرْعَوْنُ عَنْ مُوسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، كما جاءَ في سورَةِ طَه .

* * *

(١) ابن كثير ، تفسيرُ القرآنِ العظيم ، ٣/ ٢٣٣ .

الدَّرْسُ السَّادِسُ والأَرْبعونَ

سورةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الثّاني

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **فيهِ ذِكْرُكُمْ** : شَرَفُكُمْ وَرِفْعَتُكُمْ .
- **قَصَمْنا** : أَهْلَكْنا .
- **بأسَنا** : عَذابَنا الشَّديدَ .
- **أُتْرِفْتُمْ فيهِ** : نَعِمْتُمْ فيهِ .
- **حَصيداً** : كالنَّباتِ المَحْصودِ .
- **خامِدينَ** : كالنَّارِ الَّتي سَكَنَ لَهيبُها ،

التَّفْسيرُ :

في آياتِ هَذا الدَّرْسِ تَتِمَّةُ الحَديثِ عَنْ شُبَهِ المُشْرِكينَ ، والإِخْبارُ بِأَنَّ الرُّسُلَ مِنَ البَشَرِ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ .

في هذهِ الآيَةِ الكَريمَةِ رَدٌّ عَلى المُشْرِكينَ حِينَ طَلَبوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ آيةً كَوْنِيَّةً كَما فَعَلَ الأَوَّلونَ ،

وَهُنا يُخاطِبُهُ ربُّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ بِقَوْلِهِ : وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ أيُّها الرَّسولُ إلى الأُمَمِ السَّابِقَةِ إلاَّ رُسُلاً مِنَ البَشَرِ لِيَتَمَكَّنوا مِنَ التَّخاطُبِ والتَّفاهُمِ مَعَ مَنْ هُمْ مِنْ جِنْسِهِمْ ، واخْتَرْناهُمْ مِنَ الرِّجالِ لِيَكونوا أقْدَرَ عَلى التَّبْليغِ وَتَحمُّلِ الأَذى ، واخْتَرْنا لَهُمْ وَسيلَةَ الوَحْيِ لِتَبْليغِهِمْ ما نُكَلِّفُهُمْ بِهِ ، وإنْ كُنْتُم أيُّها المُشْرِكونَ لا تَعْلَمونَ ذلِكَ فاسْأَلوا عُلَماءَ أَهْلِ الكِتابِ : هَلْ كانَ الرُّسُلُ الَّذينَ جاؤوهُمْ بَشَراً أَمْ مَلائِكَةً ؟

﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ﴾

هذا تَأْكيدٌ لِكَوْنِ الرُّسُلِ السّابِقينَ مِنَ البَشَرِ ، وَلَيْسوا مَلائِكَةً ، أَوْ كالمَلائِكَةِ لا يَأْكُلونَ ولا يَشْرَبونَ ، وَيَعيشونَ الآمادَ الطَّويلَةَ مِنْ دُونِ قُوتٍ ، وَلكِنْ جعلْناهُمْ مِنَ البَشَرِ يَأْكُلونَ وَيَشْرَبونَ ، وَيَعْتَريهِمْ ما يَعْتَري البَشَرَ مِنْ سُرورٍ وَحُزْنٍ وَنَوْمٍ وَيَقَظَةٍ ، وَيَموتونَ عِنْدَ انْقِضاءِ آجالِهِمْ .

﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ .

ثُمَّ صَدَقْنا الأَنْبياءَ ما وَعَدْناهُمْ بِهِ مِنْ نَصْرِهِمْ ، وإهْلاكِ مُكَذِّبيهِمْ ، ونَجَّيناهُمْ مَعَ أَتْباعِهِمُ المُؤْمِنينَ ، وأَهْلَكْنا المُكَذِّبينَ لَهُمْ ، المُتَجاوِزينَ الحَدَّ في الكُفْرِ والضَّلالِ ، وَفي هَذا تَخْويفٌ لِمَنْ كَذَّبَ الرَّسولَ ، وَبُشْرى لِمَنْ آمَنَ وَصَدَّقَ .

﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

يَقولُ اللهُ تَعالى لأُولئِكَ المُشْرِكينَ المُطالِبينَ بالآياتِ الَّتي قَدْ تَكونُ سَبَبَ هَلاكِهِم : لَقَدْ أَنْزَلْنا لِهِدايَتِكُمْ وإصْلاحِكُمْ كِتاباً عَظيمَ الشَّأْنِ ، فيهِ ما تَتَّعِظونَ بِهِ ، وَفيهِ ذِكْرٌ لَكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ ؛ لأَنَّهُ نَزَلَ بِلُغَتِكُمْ ، فَهُوَ شَرَفٌ لَكُمْ ، وَرَفْعٌ لِمَكانَتِكُمْ ، وَذِكْرٌ حَسَنٌ لَكُمْ بَيْنَ النّاسِ ، أَفَلا تَتَدَبَّرونَ هذهِ النِّعْمَةَ فَتُؤْمِنونَ بِما جاءَكُم بِهِ رَسُولُكُمْ ؟

﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾

في هَذهِ الآياتِ تَفْصيلٌ لِما أُجْمِلَ في قَوْلِ اللهِ سُبْحانَهُ : ﴿وأَهْلَكْنا المُسْرِفينَ﴾ . وَبيانٌ لِكَيْفِيَّةِ إهْلاكِهِمْ ، فإنَّ كَثيراً مِنَ القُرى الظّالِمَةِ الَّتي تَجاوَزَ أَهْلُها حُدودَ الحَقِّ ، أَبَدْناها وأَهْلَها بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ ، وَأَوْجَدْنا بَعْدَهُمْ قَوْماً آخَرينَ لَيْسوا مِثْلَهُمْ . وفي اسْتِعْمالِ الفِعْلِ (قَصَمْنا) ، وَهُوَ قَطْعُ الشَّيْءِ عَنْ أَصْلِه حَتَّى يَنْفَصِلَ عَنْهُ ، دَلالَةٌ عَلى شِدّةِ الغَضَبِ المُناسِبِ لِحالِ هَؤلاءِ الظَّالِمينَ .

﴿ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

في هذهِ الآيَةِ الكَريمَةِ تَصْويرٌ لِحالِ القَوْمِ المُهْلَكينَ عِنْدَ نُزولِ العَذابِ بِهِمْ ، فإنَّهُمْ عِنْدَما شَعَروا بِما يَتَهَدَّدُهُمْ مِنَ العَذابِ ، وَأَيْقَنوا نُزولَهُ بِهِمْ ، سارَعوا إلى الخُروجِ والهَرَبِ مِنْ قُراهُم بِسُرْعَةٍ

وذُعْرٍ ، ظنّاً منهُمْ أنَّ ذلكَ الفعلَ سيُنْجيهم مِنَ العَذابِ .

﴿ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

فيُقالُ لَهُمْ على سبيلِ التَّهكُّمِ والاسْتِهْزاءِ : لا تَهْرُبوا ، وَعودوا إلى ما نَعِمْتُمْ بِهِ مِنَ العَيْشِ الهنيءِ ، وَإلى مساكِنِكُمُ الّتي كُنْتُمْ تَسْكُنونَها ، وَتَتَفاخَرونَ بِها ، لعلَّ غيرَكمْ مِنَ النَّاسِ يَقْصِدُكُمْ لِيَسْأَلَكُمْ عَمَّا نَزَلَ بِكُمْ فتُجيبوهُ عَنْ عِلْمٍ وَمُشاهَدَةٍ ، أَوْ بلسانِ حالِكُمْ ، وأنَّى لَهُمْ أنْ يَرْجِعوا ، وَقَدْ حَلَّ بِهِمُ العَذابُ ، وَذَهَبَ عَنْهُمْ عِزُّهُمْ وَشَرَفُهُمْ وَدُنياهُمْ ، وَحَضَرَ نَدَمُهُمْ وَتَحَسُّرُهُمْ ، ولذا :

﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

وَذلِكَ حينَ رَأَوُا العَذابَ مُطْبقاً عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَسْتَطيعوا الهَرَبَ ، وَيَئِسوا مِنَ النَّجاةِ ، فَدَعَوْا على أَنْفُسِهِمْ بالهَلاكِ والوَيْلِ ، وأَقَرُّوا على أَنْفُسِهِم بالظُّلْمِ .

﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

وما زالوا يُرَدِّدونَ هَذِهِ المَقالةَ ، ويَدْعونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ بالوَيْلِ والهَلاكِ ، حَتى عَمَّهُمُ العَذابُ ، وأَصْبَحوا كالنَّباتِ المَحْصودِ بالمَناجِلِ ، وَكالنَّارِ الخامِدَةِ بَعْدَ اشْتِعالِها ، جَزاءَ كُفْرِهِمْ وظُلْمِهِمْ ، وَجَزاءَ ما كَسَبَتْ أَيْديهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الأَنْبياءُ والرُّسُلُ بَشَرٌ يأْكلونَ وَيَشْرَبونَ وَلَهُمْ أَزْواجٌ وَذُرِّيَّةٌ وَلَيْسوا ملائِكَةً .

٢ـ الرُّجوعُ إلى أَهْلِ العِلْمِ والفِقْهِ بما يَشْكُلُ وَيَحْتاجُ إلى جَوابٍ .

٣ـ كِتابُ اللهِ عِزُّ هذهِ الأُمَّةِ ومُعْلِي شَأْنِها .

٤ـ صِدْقُ وَعْدِ اللهِ لِلأَنْبياءِ وأَتْباعِهِمْ بِنَصْرِهِمْ وإهْلاكِ المُكَذِّبينَ .

٥ـ قَدْ يَحِلُّ العَذابُ بالكُفَّارِ في الدُّنْيا قَبْلَ الآخِرَةِ .

٦ـ جوازُ الاسْتِهْزاءِ بالمُشْرِكِ الظَّالِمِ إذا حَلَّ بِهِ العَذابُ تَوْبيخاً لَهُ .

٧ـ شِدَّةُ الهَوْلِ تُفْقِدُ المَرْءَ رُشْدَهُ وَصَوابَهُ فَيَتَصَرَّفُ على غَيْرِ هُدىً .



أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِماذا وَصَفَ اللهُ الرُّسُلَ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ في هَذهِ الآياتِ ؟

٢ـ ما مَعْنى ﴿فيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ ؟

٣ـ ما سَبَبُ رَكْضِ الظَّالمينَ عِنْدَ رُؤْيَتِهِمُ العَذابَ ؟ وَهَلْ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ ؟

٤ـ لِماذا يَدْعوا الظَّالمونَ على أَنْفُسِهِم بالوَيْلِ ؟

٥ـ بِماذا شَبَّهَتِ الآيةُ الكَريمَةُ حالَ المُهْلَكينَ بالعَذابِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ جاءَ في الآيةِ الكَريمَةِ (٧) الحَثُّ على السُّؤالِ لِطَلَبِ العِلْمِ ، وَضِّحْ ذَلِكَ ، واكْتُبْهُ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مِنْ سورةِ إبْراهيمَ الآياتِ الَّتي فيها الوَعْدُ لِلرُّسُلِ بإنْجائِهِمْ ، وإهْلاكِ أَعْدائِهِمْ .

٣ـ تَخَيَّلْ مَنْظَرَ قَوْمٍ مِنَ الظَّالِمينَ حِينَ يَنْزِلُ بِهِمُ العَذابُ . كَيْفَ يَكونُ تَصَرُّفُهُمْ وَكلامُهُمْ ، وَدَوِّنْهُ في دَفْتَرِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّابِعُ والأَرْبَعونَ

سورةُ الأَنْبياءِ - القِسْمُ الثّالِثُ

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- لَهْواً : ما يُتَلَهّى بِهِ .
- نَقْذِفُ : نَرْمي .
- فَيَدْمَغُهُ : يَمْحَقُهُ وَيُهْلِكُهُ .
- زاهِقٌ : زائِلٌ ذاهِبٌ .
- الوَيْلُ : العَذابُ .
- لا يَسْتَحْسِرونَ : لا يَتْعَبونَ .
- لا يَفْتُرونَ : لا يضْعُفونَ .
- يُنشِرونَ : يُحيونَ المَوْتى .



التفسير :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

يُخْبِرُ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ في هَذهِ الآيةِ الكَريمةِ أنَّ خَلْقَ السَّماءِ والأَرْضِ وما بَيْنَهُما مِنْ عَجائِبِ الكَوْنِ ، ومِنْ مَخْلوقاتٍ لا يَعْلَمُها إلاّ اللهُ لَمْ يَكُنْ عَبَثاً ولَعِباً ، وإنَّما خَلَقَهُما لِيُعْبَدَ ويُطاع ، ولِيَعْرِفَ العِبادُ الخالِقَ المَعْبودَ .

﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

وأنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لَوْ أَرادَ ـ عَلى سَبيلِ الفَرَضِ والتَّقْديرِ ـ أنْ يَفْعَلَ شَيْئاً مِمّا يُتَلَهَّى بِهِ أوْ أنْ يَتَّخِذَ زَوْجَةً أوْ وَلَداً ، لاتَّخَذَهُ مِمّا يَليقُ بِمَقامِهِ العَليِّ ، لا يَمْنَعُهُ مِنْ ذَلكَ أحَدٌ ، وَلَكِنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ لَمْ يُرِدْ مِثْلَ هذا الأَمْرِ لِمُنافاتِهِ الحِكْمَةَ ، فَهُو واحِدٌ أحَدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ .

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنْ نَفى اللهُ سُبْحانَهُ عَنْ ذاتِهِ إرادَةَ اللَّهْوِ أوِ اتِّخاذِهِ ، بَيَّنَ ما يَقْتَضيهِ شَأْنُهُ وحِكْمَتُهُ ، وَهُوَ أنْ يُلْقِيَ بالحَقِّ الَّذي أُرْسِلَ بِهِ الرُّسُلُ عَلى الباطِلِ الَّذي تَشَبَّثَ بِهِ الفاسِقونَ فَيَقْهَرُهُ ويُهْلِكُهُ ويُزيلُهُ إزالَةً تامَّةً ، والوَيْلُ لِلْكافِرينَ الَّذينَ نَسَبوا إلى اللهِ ما لا يَليقُ بِهِ .

والتَّعْبيرُ القُرْآنيُّ البَليغُ يَرْسُمُ هَذهِ السُّنَّةَ الرَّبانِيَّةَ في صورَةٍ حَيَّةٍ مُتَحَرِّكَةٍ ، فَكأنَّ الحَقَّ قَذيفَةٌ تَنْطَلِقُ بِسُرْعَةٍ ، فَتَهْوي عَلى الباطِلِ وَتَشُقُّ دِماغَهُ ، فإذا هُوَ هالِكٌ ذاهِبٌ ، فإنَّ الدَّمْغَ هُوَ شَجُّ الرَّأْسِ حَتّى يَبْلُغَ الدماغَ .

﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

وَلَهُ تعالى جَميعُ مَنْ في السّماواتِ والأَرْضِ ، خَلْقاً ومُلْكاً وتَدْبيراً وتَصْريفاً وإحياءً وإماتَةً ، لا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهُم عَنْ قُدْرتِهِ وعِلْمِهِ سُبْحانَهُ ، ومَنْ عِنْدَهُ مِنْ مَخْلوقاتِهِ وَهُمُ المَلائِكَةُ ، لا يَسْتَكبرونَ عَنْ عِبادَتِهِ بلْ يَخْضَعونَ لَهُ خُضوعاً تامّاً ، ولا يَتْعَبونَ في عِبادَتِهِ ولا يَكِلُّونَ .

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

هَؤلاءِ المَلائِكَةُ يَذْكُرونَ اللهَ تَعالى وَيُنَزِّهونَهُ طَوالَ اللَّيلِ والنَّهارِ مِنْ دونَ أنْ يَضْعُفوا عَنْ ذلكَ ، أوْ يَمَلُّوا مِنْهُ ، فقدْ خُلِقوا لِلْعِبادَةِ والطَّاعَةِ .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ دَلائِلَ وحدانِيَّتِهِ وقُدْرَتِهِ ، وأنَّ مَنْ في السَّماواتِ والأَرْضِ مِلْكٌ لَهُ ، وأنَّ المَلائِكَةَ في طاعتِهِ ، عادَ إلى تَوْبيخِ المُشْرِكينَ وَذَمِّهِمْ وَتَسْفيهِ أحْلامِهِمْ ، وَأَتى التَّوْبيخُ في هَذهِ الآيَةِ على هَيْئَةِ الاسْتِفْهامِ : هَل اتَّخذَ هَؤلاءِ المُشْرِكونَ آلِهَةً مِنْ مَوادِّ الأرضِ كالحِجارةِ والذَّهَبِ والخشَبِ قادِرَةً على بَعْثِ المَوْتى ؟ كَلاَّ ، إنّها لَيْسَتْ آلِهَةً ، وَلَيْسَتْ قادرةً على شَيْءٍ ، فَضْلاً عَنْ قُدْرَتِها على الإحْياءِ . فكَيْفَ عَبَدوها ؟ إنَّ هذا لَمِنْ أَوْضَحِ الأدِلَّةِ على سَفاهَتِهِمْ وجَهْلِهِم وسوءِ تَفْكيرِهِمْ .

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

هذا بُرْهانٌ على وَحْدانيَّةِ اللهِ ، إذْ لَوْ كانَ في الوُجودِ آلِهَةٌ غَيْرُ اللهِ لَفَسَدَ نِظامُ الكَوْنِ كُلُّهُ ، لِما يَحْدُثُ بَيْنَ الآلِهَةِ مِنَ الاخْتِلافِ والتَّنازُعِ في الخَلْقِ والتَّدْبيرِ ، فَلَمَّا كانَ هذا الكَوْنُ يَسيرُ بِنظام بَديع مُحْكَم دَلَّ على أنَّ لَهُ خالِقاً واحِداً قادِراً حَكيماً ، وَهُوَ خالِقُ العَرْشِ العَظيمِ ، المُنَزَّهُ عَنْ صِفاتِ النَّقْصِ ، والَّذي لا يَحْتاجُ إلى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وهوَ مُنَزَّهٌ عَنْ أنْ يَكونَ لَهُ شَريكٌ ، وَعَنْ أنْ يكونَ لهُ زَوْجَةٌ وَوَلَدٌ ، كما يَصِفُهُ بِذلكَ الجاهِلونَ المُلْحِدونَ .

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

ولا يُسْأَلُ ـ سُبْحانَهُ ـ عَمَّا يَفْعَلُ لأنَّهُ مالِكُ كُلِّ شَيْءٍ ، ولأَنَّهُ حَكيمٌ في أَفْعالِهِ ، فلا يَسْأَلُهُ أَحَدٌ عمّا يفْعَلُهُ بِعِبادِهِ مِنْ إعْزازٍ وإذْلالٍ ، وهِدايةٍ وإضْلالٍ ، وصِحَّةٍ ومَرَضٍ ، وَهُمْ : أَيِ الخَلْقُ ، جَميعاً يُسْأَلونَ يَوْمَ القِيامَةِ عَنْ أَعْمالِهِمْ وأَقْوالِهِمْ لأنَّهُمْ عَبيدٌ .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ هَـٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

أَعادَ اللهُ تعالى الإنكارَ على المُشْرِكينَ اتِّخاذَهُمْ آلهةً مِنْ دونِ اللهِ تَقْريعاً لَهُمْ ، وإظْهاراً لِجَهْلِهِمْ ، وَوَجَّهَ نَبِيَّهُ ﷺ أنْ يُطالِبَهُمْ بالدَّليلِ على ما يَزْعُمونَهُ مِنْ جِهَةِ العَقْلِ والنَّقْلِ ، فإنَّهُ لا صِحَّةَ لِقَوْلٍ لا دَليلَ عَلَيْهِ ، ولا سِيَّما في هذا الأَمْرِ الخَطيرِ . وَهذا الوَحْيُ الإلهيُّ المُنَزَّلُ على النَّبيِّ ﷺ وهُوَ القُرْآنُ الكَريمُ ، وَهذهِ الكُتُبُ السَّماوِيَّةُ التي أُنْزِلَتْ على مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ كالتَّوراةِ والإنْجيلِ ، انْظُروا فيها لِتَجدوا الأَمْرَ بالتَّوْحيدِ والنَّهيَ عَنِ الشِّرْكِ .

ثُمَّ انْتَقلَ ـ سُبْحانَهُ ـ مِنَ الأَمْرِ بِتَبكيتِهِمْ وَمُناقَشَتِهِم إلى الأَمْرِ بالإعْراضِ عَنْهُمْ ، فإنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمونَ الحَقَّ ، وَلِذا هُمْ مُنْصَرِفونَ عَنْهُ إلى الباطِلِ والضَّلالِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الكَوْنُ مَخْلوقٌ لِيَكونَ مُعَبَّداً للهِ ، وَلَيْسَ لَهْواً وَلَعِباً .

٢ـ اللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ مُنَزَّهٌ عَنِ اللَّهوِ واللَّعِبِ والزَّوْجَةِ والوَلَدِ والشَّريكِ .

٣ـ كُلُّ مَنْ في السَّمواتِ والأَرْضِ مَخْلوقٌ مَمْلوكٌ للهِ ، وَخَلْقُهُمْ جَميعاً يَنْفي أَنْ يَكونَ فيهِمْ أَبْناءٌ للهِ .

٤ـ الباطِلُ لا يَقْوى على مُغالَبَةِ الحَقِّ ، وَهُوَ أَمامَهُ مَهْزومٌ لا مَحالَةَ .

٥ـ الاجْتِهادُ في العِبادَةِ مِنْ دونِ كَلَلٍ أَوْ مَلَلٍ تَشَبُّهاً بالمَلائِكَةِ الكِرام .

٦ـ سَفاهَةُ مَنْ عَبَدَ مَنْ لا يُحيي ويُميتُ ، ولا يَمْلِكُ نَفْعاً ولا ضَرّاً .

٧ـ اسْتِقْرارُ الكَوْنِ ونِظامُهُ دَليلٌ على وَحْدَةِ الخالِقِ سُبْحانَهُ .

٨ـ اسْتِحبابُ طَلَبِ الدَّليلِ على الأمْرِ ، فلا صِحَّةَ لِقَوْلٍ لا دَليلَ عَلَيْهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ خَلْقُ السّماءِ والأَرْضِ لَمْ يَكُنْ عَبَثاً ، إنَّما كانَ لِحِكْمَةٍ أَرادَها اللهُ . . . وضِّحْ ذلكَ .

٢ـ بَيِّنْ جَمالَ صُورَةِ غَلَبَةِ الحَقِّ على الباطِلِ كَما ذُكِرَتْ في الآيةِ الكريمةِ .

٣ـ صِفْ عِبادَةَ المَلائِكَةِ .

٤ـ في الآياتِ أَدِلَّةٌ نَقْلِيَّةٌ وعَقْلِيَّةٌ على تَوْحيدِ اللهِ ، وَنَفْيِ الشَّريكِ عَنْهُ ، بَيِّنْها .

فائدةٌ :

سُئِلَ أَحَدُ العُلَماءِ عَنِ المَلائِكَةِ : كَيْفَ يُسَبِّحونَ اللَّيلَ والنّهارَ لا يَفْتُرونَ ؟ أَلا يَشْغَلُهُمْ شَأْنٌ أَوْ حاجةٌ عَنْهُ ؟ فقالَ لِلسّائِلِ : أَلَسْتَ تأكُلُ وَتَشْرَبُ وَتَقومُ وتَجْلِسُ وتجيءُ وَتَذْهَبُ وأَنْتَ تتَنَفسُ ؟ فَكذلِكَ جُعِلَ لَهُم التَّسْبيحُ كَما جُعِلَ لَنا النَّفَسُ[1] .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سُورَةَ الإخْلاصِ وَتَفْسيرَها .

٢ـ اكْتُبْ في حُدودِ الصَّفْحَةِ مَوْضوعاً حَوْل (عِمارَةِ الكَوْنِ دَليلُ وَحْدانيةِ اللهِ) واقْرَأْهُ على زُمَلائِكَ في طابورِ الصَّباحِ .

* * *

---

(١) ابنُ الجَوْزيّ ، زادُ المسير ٥/ ٣٤٥ .

الدَّرسُ الثّامِنُ والأربعونَ

سورةُ الأنبياءِ - القِسْمُ الرّابِعُ

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مُشْفِقونَ	: خائِفونَ .
رَتْقاً	: مُلْتَصِقتَيْنِ .
فَفَتَقْناهُما	: فَصَلْناهُما عَنْ بَعْضِهِما .
رَواسيَ	: جِبالاً ثابِتَةً .
تَميدُ	: تَضْطَرِبُ .
فِجاجاً سُبُلاً	: طُرُقاً واسِعَةً .
مَحْفوظاً	: مَصوناً مِنَ الوُقوعِ أَوِ التَّغيُّرِ .
يَسْبَحونَ	: يَدورونَ .

التفسيرُ :

تَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمَةُ في بَيانِ بَشَرِيَّةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ، ووَحْدانيَّةِ اللهِ تَعالى وعَظَمَتِهِ وتَنَزُّهِهِ عَنِ الشِّرْكِ ، قال اللهُ تعالى :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾

في هَذهِ الآيةِ بيانٌ أنَّ جميعَ الرُّسُلِ قَدْ أمَروا أَقْوامَهُمْ بإخْلاصِ العِبادَةِ للهِ ، ونَبْذِ الشِّرْكِ ، فقالَ سُبْحانَهُ : وما أرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ مِنْ رَسولٍ إلاَّ وأعْلَمْناهُ بواسَطةِ الوَحْيِ أنَّه لا إلهَ يَسْتَحِقُّ العِبادَةَ بحَقٍّ ، والطَّاعةَ إلاّ اللهُ ، فَلْتَكُنِ العِبادَةُ بِصُوَرِها وأَشْكالِها كافّةً مُوَجَّهَةً إلى اللهِ وَحْدَهُ ، خالِصَةً لَهُ سُبْحانَهُ .

ثُمَّ أخبَرَ سُبْحانَهُ عمَّا افْتراهُ بَعْضُ المُشْرِكينَ مِنْ نِسْبَةِ الوَلَدِ إليْهِ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

قالَ فَريقٌ مِنَ المُشْرِكينَ : المَلائِكَةُ بَناتُ اللهِ ، كَما قالَتِ اليَهودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللهِ ، وقالَتِ النَّصارى المَسيحُ ابنُ اللهِ ، تَنَزَّهَ اللهُ - سُبْحانَهُ - عَنْ ذَلِكَ ، وعَلا عمَّا يَقولونَ عُلُوّاً كَبيراً ، وكَذَبَ هَؤلاءِ المُفْتَرونَ ؛ فإنَّ المَلائِكَةَ والأَنْبياءَ عِبادٌ للهِ تَعالى ، ومُقَرَّبونَ إليْهِ ، ومُكْرَمونَ عِنْدَهُ .

﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

هَؤلاءِ المَلائِكَةُ لا يَتَكَلَّمونَ إلاَّ بما يَأْمُرُهُمُ اللهُ بهِ ، ولا يقولونَ شَيْئاً ، ولا يَعْمَلونَ عَمَلاً إلاَّ بأَمْرِهِ وإذْنِهِ سُبْحانَهُ ، ولا يُخالِفونَ رَبَّهم في أَمْرٍ مِنَ الأَوامِرِ .

﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

وَهُوَ سُبْحانَهُ يَعْلَمُ أَحْوالَهُمْ كُلَّها ؛ صَغيرَها وكَبيرَها ، مُتَقَدِّمَها ومُتَأَخِّرَها ، ولِعِلْمِهِمْ بهذا فَهُم لا يُقْدِمونَ عَلى قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ بِغَيْرِ إذْنِهِ سُبْحانَهُ ، ولا يَشْفَعونَ إلاَّ لِمَنْ يَعلَمونَ رِضا اللهِ عَنْهُ وقَبولَ شَفاعَتِهِمْ فيهِ ، وَهُمْ ، لِخَوْفِهِم مِنَ اللهِ تَعالى وَمِنْ عِقابِهِ ، حَذِرونَ وَجِلونَ .

﴿ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

وَلَوِ ادَّعى أَحَدٌ مِنْهُمْ على سَبيلِ الفَرَضِ أَنَّهُ إلَهٌ ، فإنَّ جَزاءَهُ عَلى ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ عَظيمٌ ، حَيْثُ يُلْقَى في جَهَنَّمَ كَسائِرِ المُجْرِمينَ ، ولا يُغْني عَنْهُ ما سَبَقَ مِنْ طاعَةٍ وعِبادَةٍ ، ومِثْلَ هَذا الجَزاءِ الفَظيعِ

يُجزَى كلُّ ظالِمٍ يَتجاوزُ الحدَّ ، ويَضعُ الأُمورَ في غَيْرِ مَوْضِعِها .

وَهَذا الافْتِراضُ والتَّقديرُ لَمْ يَقَعْ لِعِلْمِهِ سُبْحانَهُ أنَّهُ لا يَصْدُرُ عَنِ المَلائِكَةِ والأَنْبياءِ مِثْلُ هذا الادِّعاءِ فَهُمْ عِبادٌ مُكْرَمونَ .

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

في هذهِ الآياتِ أدلَّةٌ كَوْنِيَّةٌ مُشاهَدَةٌ تَدُلُّ على وَحْدانيَّةِ اللهِ وتَنزُّهِهِ عَنِ الشَّريكِ ، وَلَقَدْ صُدِّرَتْ هذهِ الآيةُ باسْتِفْهامِ تَوْبيخٍ لِلْكافِرينَ ، لِتَقْصيرِهِمْ في التَّدبُّرِ في الآياتِ الكَوْنِيَّةِ الدَّالَّةِ على انْفِرادِهِ سُبْحانَهُ بالألوهيَّةِ . والرُّؤيةُ هنا قَلْبيَّةٌ ، وَمِنْ هَذهِ الآياتِ الكَوْنِيَّةِ الدَّالةِ على عَظَمَةِ اللهِ : أنَّ السَّماواتِ والأرضَ كانَتا رَتْقًا أيْ مُتَّصِلَتَيْنِ ، فَفُصِلتا عَنْ بَعْضِهما ، وَتَكَوَّنَتْ نَتيجَةَ ذَلكَ الفَصْلِ الشَّمْسُ والنُّجومُ والكَواكِبُ ، وأدَّى ذَلكَ إلى أنْ تَبْتَعِدَ الأَرْضُ عَنْ غَيْرِها بالمِقْدارِ الّذي أرادَهُ اللهُ ، وَتَبْرُدَ قِشْرَتُها ، وتَظْهَرَ فيها البحارُ والأنْهارُ .

وَمِنَ الآياتِ الدَّالَّةِ عَلى عَظَمَةِ اللهِ وَوَحْدانيَّتِهِ ، ما ذَكَرَتْهُ الآيةُ مِنْ أنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ جَعَلَ مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ، فالماءُ أَصْلُ الحيواناتِ ، وَمُهِمٌّ جِدّاً لِحَياةِ النَّباتِ ، وَلا يُمْكِنُ أنْ تَسْتَمِرَّ الحَياةُ مِنْ دونِهُ ، كما أنَّهُ أكْثَرُ العناصِرِ وُجوداً في الحَيوانِ والنَّباتِ . أفَلا يُؤمِنُ هؤلاءِ الكافِرونَ بَعْدَ رُؤْيَتِهِمْ هذهِ الآياتِ الباهِرَةَ الظَّاهِرَةَ الدَّالَّةَ على الخالِقِ الحكيمِ .

﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

وَمِنَ الآياتِ الدَّالَّةِ على اللهِ تعالى : أنَّهُ جَعَلَ في الأَرْضِ جِبالاً ثابِتَةً راسِخَةً ، حتَّى لا تَتَحَرَّكَ الأَرْضُ وتَضْطَرِبَ ، وَقَدْ ثَبَتَ لَدى العُلَماءِ حَديثاً ما تَقومُ بِهِ الجِبالُ مِنْ دَوْرٍ كَبيرٍ في تَثْبيتِ قِشْرَةِ الأَرْضِ الظَّاهِريةِ ، فَهِيَ بِمَثابةِ الأَوْتادِ ، وَلَوْلاها لَتَشقَّقَتِ القِشْرَةُ الأَرْضيَّةُ ، وَطَغَتِ المِياهُ على سَطْحِ الأَرْضِ ، واسْتَحالَتِ الحَياةُ .

وَرَحْمَةً مِنَ اللهِ بِعِبادِهِ جَعَلَ بَيْنَ هذهِ الجِبالِ مَسالِكَ وَطُرُقاً واسِعَةً كَيْ يَسْتَخْدِمَها النَّاسُ في تَنَقُّلِهِمْ ، وَجَعَلَ في الأَرْضِ مَنافِذَ مُتَعَدِّدَةً ، لَعَلَّهُمْ بِذَلكَ يَهْتَدونَ وَيَصِلونَ إلى الأَماكِنِ الّتي يُريدونَ الوُصولَ إلَيْها ، وَهَذا مِنْ تَذْليلِ الأرْضِ لِلنَّاسِ وَتَسْخيرِها لَهُمْ .

﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

وَمِنَ الآياتِ الدَّالَّةِ على عَظَمَةِ اللهِ ، وَبَديعِ خَلْقِهِ هَذهِ السَّماءُ الّتي جَعَلَها ـ سُبْحانَهُ ـ على هَيْئَةِ السَّقْفِ لِلأَرْضِ ، وَحَفِظَها مِنَ الوُقوعِ والسُّقوطِ أَوِ التَّشَقُّقِ والانْفِطارِ ، مَعَ ما في جَوِّها مِنْ كَواكِبَ وَنُجومٍ وبُروجٍ تُزَيِّنُها وتَحْفَظُها ، وَلكنَّ المُشْرِكينَ مُعْرِضونَ عَنِ التَّفَكُّرِ في هذهِ الآياتِ العظيمةِ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

ومِنَ الآياتِ الدّالّةِ على وَحْدانيّةِ اللهِ وَقُدْرَتِه ، خَلْقُ اللّيلِ والنّهار وجَعْلُهما مَبْنيّين على حَرَكَةِ الشَّمْسِ والقَمَرِ ، وفي اختلافِ اللّيلِ والنَّهارِ آيةٌ عَظيمةٌ ، وَدَلائِلُ باهِرَةٌ على الخالِقِ المُدَبِّرِ ، كما أنَّ الشَمْسَ والقَمَرَ وسائِرَ النُّجوم تَدورُ في هذا الكَوْنِ الواسِعِ في أَفْلاكِها المُقَدَّرَةِ لَها ، لا تَتقدَّمُ عَنْ مَسارِها ولا تَتَأَخَّرُ عَنْهُ ، في نِظامٍ بَديعٍ مُتْقَنٍ مُحْكَمٍ غايةَ الإِحْكام .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ دَعْوَةُ الرُّسُلِ واحِدَةٌ وهِيَ تَوْحيدُ اللهِ وَعِبادَتُهُ .

٢ـ تَحْذيرُ الطَّائِعينَ مِنَ الانْحِرافِ والمَيْلِ عَنِ الحَقِّ فَيَحْبَطُ عَمَلُهُمْ وَيَخْسَروا ما قَدَّموا .

٣ـ كَثْرَةُ الآياتِ الكَوْنيَّةِ المُشاهَدةِ الدَّالَّةِ عَلى عَظَمَةِ اللهِ وَتَفرُّدِهِ بالخَلْقِ والإِبْداعِ .

٤ـ العِلْمُ الحَديثُ يَكْشِفُ ما بيَّنَهُ كِتابُ اللهِ تَعالى مِنْ أَسْرارِ هَذا الكَوْنِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِماذا وَصَفَ اللهُ المَلائِكَةَ والأَنْبياءَ في هَذهِ الآياتِ ؟

٢ـ بِماذا تَوَعَّدَ اللهُ مَنْ يَخْرُجُ على طاعَتِهِ والْتِزامِ أَمْرِهِ ؟ وما فائِدَةُ ذَلِكَ ؟

٣ـ عَدِّدِ الآياتِ الكَوْنِيَّةَ المَذْكورَةَ في هذا الدَّرْسِ ، وَبَيِّنْ دَلالَةَ كُلٍّ مِنْها على اللهِ سُبْحانَهُ .

٤ـ ما مَعْنى كُلٍّ ممّا يلي :

أـ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما .

ب ـ رَواسيَ أنْ تَميدَ بِهِمْ .

ج ـ كُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحون .

٥ـ اكْتُبْ في كُلِّ فَراغٍ ما يُناسِبُهُ مِنْ آياتِ الدّرْسِ ، ثُمَّ بَيِّنِ المَعْنى :

أـ وقالوا اتّخَذَ الرَّحْمنُ . . . . سُبْحانَهُ .

ب ـ لا يَسْبِقونَهُ بالقَوْلِ وَهُمْ بأَمْرِهِ . . . .

ج ـ وَهُمْ مِنْ . . . . مُشْفِقونَ .

د ـ وَجَعَلْنا السَّماءَ . . . . مَحْفوظاً .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ مِنْ سورَةِ مَرْيَمَ الَّتي تُبَيِّنُ شَناعَةَ ادّعاءِ الكافِرينَ بِنِسْبَةِ الوَلَدِ للهِ سُبْحانَهُ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ وَظائِفَ الجِبالِ كَما أَرادَها اللهُ تَعالى .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آياتُ سورَةِ الغاشِيَةِ الدّالَّةُ على قُدْرَةِ اللهِ تَعالى .

٤ـ اخْتَرْ إحدى الآياتِ الكَوْنيَّةِ المَذْكورَةِ في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ ، وبَيِّنْ ما فيها مِنَ الدَّلالَةِ على عَظَمَةِ الخالِقِ ، مُسْتَعيناً بالكُتُبِ المُتَخَصِّصَةِ ، والرُّسوماتِ والصُّوَرِ التَّوضيحيَّةِ ، وَضَعْ ما تَتَوَصَّلُ إلَيهِ في مجلَّةِ المَدْرَسَةِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والأَرْبعونَ

سورةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الخامِسُ

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الخُلْدَ	: البَقاءَ في الدُّنْيا .
نَبْلُوكُمْ	: نَخْتَبِرُكُمْ .
خُلِقَ الإنْسانُ مِنْ عَجَلٍ	: خُلِقَ الإنْسانُ مُتَّصِفاً بِصِفَةِ الاسْتِعجالِ .
لا يَكُفُّونَ	: لا يَمْنَعونَ .
بَغْتَةً	: فَجْأَةً .
فَتَبْهَتُهُمْ	: تُحَيِّرُهُمْ وتُدْهِشُهُمْ .

التفسيرُ :

ذَكَرَتْ آياتُ الدَّرْسِ السَّابِقِ بَعْضَ الأدِلَّةِ الكَوْنِيَّةِ المُشاهَدَةِ الدَّالَّةِ على وَحْدانِيَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ . وفي هَذهِ الآياتِ بَيانٌ لِبَعْضِ صِفاتِ البَشَرِ ، قالَ اللهُ تَعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

اقتضَتْ سُنَّةُ اللهِ في هذهِ الحياةِ أنْ لا يُخَلَّدَ أَحَدٌ فيها ، وَفي هَذهِ الآيةِ يُخْبِرُ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ أنَّهُ لَمْ يُخالِفْ هَذهِ القاعِدَةَ أَحَدٌ قَبْلَهُ ، وأَنَّها سَتَجْري عَلَيْهِ ، وَعَلى أَعْدائِهِ مِنَ المُشْرِكينَ ، فَكُلُّ واحِدٍ سَيموتُ في الوَقْتِ الذَّي حَدَّدَهُ اللهُ لَهُ ، فَلَمْ يُخَلَّدْ في هذهِ الدُّنْيا أَحَدٌ قَبْلَكَ ، وَلَنْ يُخَلَّدَ فيها أَحَدٌ بَعْدَكَ ، لأنَّ المَوْتَ مَصيرُ كُلِّ مَخْلوقٍ في هَذهِ الدُّنْيا .

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

هذهِ الآيةُ تَأْكيدٌ لِما سَبَقَ تَقْريرُهُ في الآيةِ السَّابِقَةِ ؛ فالمَوْتُ واقِعٌ على كُلِّ نَفْسٍ في هَذهِ الآيةِ ، وَلَهُ وَقْتٌ مُحَدَّدٌ في عِلْمِ اللهِ .

ثُمَّ أَخْبَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ أنَّ هذهِ الحَياةَ إنَّما هِيَ للابْتِلاءِ والاخْتِبارِ ، وَقَدْ يَكونُ الابْتِلاءُ بأنواعٍ مِنَ الشَّرِ والخَيْرِ ، كالمَرَضِ والصِّحَّةِ ، والفقْرِ والغِنى ، فالابْتِلاءُ بالنِّعَمِ لِيَظْهَرَ الشَّاكِرُ عِنْدَ النِّعْمَةِ ، والابْتِلاءُ بالمِحَنِ لِيَظْهَرَ الصَّابِرُ عِنْدَنا ﴿وإلينا تُرْجَعونَ﴾ بَعْدَ المَوْتِ لِلحِسابِ والجَزاءِ .

وفي الآيةِ التَّالِيَةِ إحْدى صُوَرِ الابْتِلاءِ ؛ فَقَدِ ابْتَلى اللهُ تَعالى الكُفَّارَ بِبِعثَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ .

﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

وإذا أبْصَرَكَ المُشْرِكونَ أيُّها الرَّسولُ الكريمُ سَخِروا مِنْكَ واستَخَفُّوا بكَ ، وَقالوا عَلى سَبيلِ الانْتِقاصِ مِنْكَ : أَهذا الَّذي يَعيبُ آلِهَتَكُمْ ، والحالُ أنَّهُمْ كافِرونَ بالقُرْآنِ ، وَبما جِئْتَ بِهِ مِنْ أَسْماءِ اللهِ الحُسْنى كالرَّحْمنِ وَغَيْرِهِ ، عاكِفونَ على عِبادَةِ آلِهَتِهِمُ المَزْعومَةِ ، فَهُمْ أَحَقُّ بأنْ يُتَّخَذوا هُزُواً ، فإنَّكَ مُحِقٌّ وَهُمْ مُبْطِلونَ ، وَهُمْ يَسْتَكْثِرونَ على الرَّسولِ ﷺ أنْ يَذُمَّ آلِهَتَهُمْ ، ولَمْ يَسْتَكْثِروا على أَنْفسِهِمْ أنْ يَكْفُروا بِخالِقِهِمْ وَبما أنْزَلَهُ على نَبيِّهِ ﷺ .

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾

في هذهِ الآيةِ الكَريمةِ بَيانٌ لِصفَةٍ جُبِلَ عَلَيْها البَشَرُ ؛ أيْ أنَّ الإنْسانَ خُلِقَ مَطْبوعاً وَمَجْبولاً على العَجَلَةِ والتَّسَرُّعِ ، فَتَراهُ يَسْتَعْجِلُ حُدوثَ الأَشْياءِ قَبْلَ وَقْتِها المُحَدَّدِ لَها ، حتَّى لَكَأَنَّهُ مَخْلوقٌ مِنْ نَفْسِ التَّعَجُّلِ . وَهَذا خِطابٌ لِلْمُشْرِكينَ الَّذينَ كانوا يَطْلُبونَ مِنَ النَّبيِّ ﷺ تَعْجيلَ العَذابِ ، فَيَقولُ لَهُمْ إنّهُ آتٍ لا رَيْبَ فيهِ وسَيَرَوْنَهُ فلا داعِيَ لاسْتِعْجالِهِ. وَمِن اسْتِعْجالِ المُشْرِكينَ ما ذكَرَتْهُ الآيةُ التاليةُ :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

فَهُمْ يَسْأَلونَ عَنِ العَذابِ الَّذي يُوعَدونَهُ ، وَيَتَرَقَّبونَهُ ، ويَسْتَعْجِلونَ حُصولَهُ ، قائِلينَ

للرَّسولِ ﷺ والمُؤْمنينَ مَعَهُ : إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ في وَعْدِكُمْ فَأَنْزِلوا بنا العَذابَ أَوِ ادْعوا رَبَّكُمْ أنْ يُنْزِلَهُ بنا وَهُمْ يَقولونَ هَذا على سَبيلِ التَّهَكُّمِ والاسْتِهْزاءِ ، فإنَّهُمْ لَوْ عَلِموا ما يَنْتَظِرُهُمْ ، وأَيْقَنوا بِهِ لَما قالوا هَذا الكَلامَ .

﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

أي : لَوْ يَعْرِفُ الكافِرونَ حَقّاً ما سَيَحْصَلُ بِهِمْ حينَ يَقَعُ بِهِمُ العذابُ ، وما فيهِ مِنْ فَظائِعَ تَجْعَلُهُمْ عاجِزينَ عَنْ دَفْعِ النَّارِ عَنْ وُجوهِهِم وَعَنْ ظُهورِهِمْ ، ولا يَجِدونَ مَنْ يُنْقِذُهُمْ مِنْ هذا العَذابِ الرَّهيبِ ؛ لَوْ عَرَفوا ذلكَ لَما اسْتَعْجَلوا العَذابَ ، وَلَما اسْتَخَفُّوا بالنَّبيِّ ﷺ وبأَصْحابِهِ .

﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

لكنَّهُمْ أَصَرّوا على باطِلِهِمْ ، فَسَوْفَ يَكونُ حُصولُ السَّاعَةِ فَجْأَةً وَهُمْ غَيْرُ مُسْتَعِدّينَ لها فَتَدَعُهُمْ مَدْهوشينَ مُتَحَيِّرينَ ، لا يَقْدِرونَ على صَرْفِها عَنْهُم ، ولا يُؤَخَّرونَ ، ولا يُمْهَلونَ لِتَوْبَةٍ أَوْ مَعْذِرَةٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ المَوْتُ حَقٌّ على الجَميعِ ، وَلَوْ نَجا مِنْهُ أَحَدٌ لَكانَ أَوْلى النَّاسِ بذلكَ رَسولُ اللهِ ﷺ .

٢ـ الابْتِلاءُ يَكونُ بالخَيْرِ كَما يَكونُ بالشَّرِّ ، فالسَّعَةُ والرّاحَةُ والصِّحَّةُ والنَّصْرُ ، مِنْ صُوَرِ الابْتِلاءِ المُتَعَدِّدَةِ .

٣ـ المُشْرِكونَ أَحَقُّ بأَنْ يُسْخَرَ مِنْهُم ؛ لِتَقْديسِهِمْ ما لا يَسْتَحِقُّ التَّقْديسَ ، ولِضَآلَةِ عُقولِهِمْ وسَطْحِيَّةِ تَفْكيرِهِمْ .

٤ـ الإنْسانُ مَطْبوعٌ على العَجَلَةِ ، ومَطْلوبٌ مِنْهُ أنْ يُهَذِّبَ هذا الطَّبْعَ بالصَّبْرِ والتَّرْبِيَةِ .

٥ـ تَقْريرُ عَجْزِ الكافِرينَ عَنْ تَأْخيرِ العَذابِ أَوْ دَفْعِهِ ، أَوِ العُثورِ على مَنْ يُعينُهُمْ على ذَلكَ .



التَّقويمُ :

أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما أَهَميَّةُ ثُبوتِ عَقيدةِ حَتْميَّةِ المَوْتِ عِنْدَ المُسْلِمِ ؟

٢ـ اذْكُرْ خَمْساً مِنْ صُوَرِ الابْتِلاءِ بالنِّعْمَةِ ، وخَمْساً مِنْ صُوَرِ الابْتِلاءِ بالمِحْنَةِ .

٣ـ لِماذا كانَ المُشْرِكونَ يَسْخَرونَ مِنَ النَّبيِّ ﷺ ؟ وَبِماذا رَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ ؟

٤ـ اذْكُرْ ثلاثةً مِنْ مَظاهِرِ العَجَلَةِ عِنْدَ الإنْسانِ ، وَبيِّنْ كَيْفَ يُمْكِنُ تَهْذيبُ هَذا الطَّبْعِ المَذْمومِ ؟

٥ـ هَلْ كانَ اسْتِعْجالُ المُشْرِكينَ لِلْعَذابِ حَقيقَةً أَمْ سُخْرِيَّةً ؟

٦ـ بيِّنْ كَيْفَ سَيَكونُ حالُ المُكَذِّبينَ بالآخِرَةِ عِنْدَ نُزولِ العَذابِ بِهِمْ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ الثَّانِيَةَ مِنْ سورَةِ المُلْكِ وَبيِّنْ عَلاقَتَها بالآيَةِ (٣٥) .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما يُؤَكِّدُ سُرْعَةَ وُقوعِ عَذابِ يَوْمِ القِيامَةِ مِنْ آياتِ سورَةِ يس .

* * *

الدَّرْسُ الخَمْسونَ

سورةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ السّادِسُ

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

حاقَ : أحاطَ .

يَكْلَؤُكُمْ : يَحْفَظُكُمْ .

يُصْحَبونَ : يُمْنَعونَ .

نَأْتي الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها : نَفْتَحُها لِلْمُسْلِمينَ ، ونَجْعَلُها خاضِعَةً لِسُلْطانِ المُسْلِمينَ ، وفي هذا نَقْصٌ لأَرْضِ المُشْرِكينَ .

نَفْحَةٌ : شيْءٌ قليلٌ .

مِثْقالَ : وَزْنَ .

خَرْدَلٍ : حَبَّةُ الخَرْدَلِ مَثَلٌ في صِغَرِ الشَّيْءِ ، والخَرْدَلُ نَباتٌ لَهُ بُذورٌ صَغيرةٌ جدّاً .



تمضي الآيات الكريمة في بيان ما كان عليه المشركون ، وفيه تثبيت للرسول ﷺ وللمؤمنين ،
قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

هذه تسلية للرسول ﷺ أمام استهزاء المشركين به ، واللام للقسم ، أي : والله لقد استُهزئ برسل كرام ذوي عدد كثير من قبلك ، فأحاط ونزل بالذين سخروا من أولئك الرسل الكرام ، جزاء استهزائهم ، الهلاك في الدنيا ، والعذاب في الآخرة ، فكذلك حال هؤلاء المستهزئين الذين يستهزئون بك ؛ سيصيبهم ما أصاب من قبلهم .

﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

قل أيها الرسول لهؤلاء المستهزئين بك ، وبما جئت به من عند ربك : من الذي يحرسكم ويحفظكم حال نومكم ويقظتكم من عذاب الرحمن وبأسه إذا أراد أن يهلككم بسبب كفركم واستهزائكم ؟ وهم بعد هذا التنبيه والإنذار معرضون عن ذكر ربهم ؛ لا يحاولون الانتفاع بتوجيهاته وإرشاداته . وتقديم الليل على النهار في الآية لأن المصائب فيه أعظم ، والأخذ فيه أشد ، واختار ـ سبحانه ـ لفظ (الرحمن) للإشعار بأنهم يعيشون في خيره ورحمته ، ومع ذلك لا يشكرونه .

﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

هذا استفهام إنكاري أي : أيوجد لهؤلاء المستهزئين آلهة تحميهم من عذاب الله ؟ والجواب واضح ؛ أنه لا توجد لهم آلهة تستطيع حمايتهم من عذاب الله إن أراد إنزاله بهم ، فإن آلهتهم لا تستطيع نصر نفسها فضلا عن نصر غيرها ، ولا تستطيع منع ما ينزل بها من سوء .

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

يبين ـ سبحانه ـ أن الذي حمل المشركين على الاغترار والطغيان ، إملاء الله لهم وتركهم يتمتعون في النعيم والجاه ، وقدر لهم الآجال الطويلة ابتلاء فظنوا أنها لا تزول عنهم ، وأنهم على حق . فأخذتهم العزة بالإثم ، ولم يعتبروا بما يشاهدونه بأعينهم من اضمحلال الكفر وانتقاصه تدريجيا ، وانتشار الاسلام مكانه . فهل من كان هذا حاله في نقص وتراجع هو الغالب ، أم من كان

حالُهُ في نُمُوٍّ وازْدِيادٍ ؟ وفي هَذهِ الآيةِ بِشارةٌ عَظيمَةٌ لِلْمُسْلمينَ الَّذينَ كانوا يُعانونَ مِنَ الضِّيقِ والإيذاءِ ، بأنَّ الغَلَبَةَ لَهُمْ وأنَّ الكُفْرَ في انْتِقاصٍ وَتَراجُعٍ أَمامَ انْتِشارِ الإسْلامِ وغَلَبَتِهِ .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

أَمَرَ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ ﷺ في هَذهِ الآيةِ الكَريمَةِ أنْ يُبَلِّغَ المُشْرِكينَ أَنَّهُ إنّما يُخَوِّفُهُمْ وَيُنْذِرُهُمْ بِوَحيٍ مِنَ اللهِ تَعالى ، وأنَّ مَهَمَّتَهُ هِيَ الوَحْيُ الَّذي جاءَ بِهِ ، وَلكِنَّكُمْ أيُّها المُشْرِكونَ لِشِدَّةِ جَهْلِكُمْ وَعِنادِكُمْ كالصُّمِّ الَّذينَ لا يَسْمَعونَ الكَلامَ والإنْذارَ ، وَلا يَنْتَفِعونَ بِهِ .

﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

وَلَئِنْ أَصابَ هَؤلاءِ المُشْرِكينَ شَيْءٌ قَليلٌ وَيَسيرٌ مِنَ العَذابِ فإنَّهُمْ سَيَعْتَرِفونَ بِظُلْمِهِمْ ، وَيَدْعونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ بالهَلاكِ .

وَفي هَذهِ الآيةِ الكَريمَةِ عِدّةُ أَلفاظٍ تُشيرُ إلى قِلَّةِ هذا العَذابِ ، فـ(إنْ) تُفيدُ التَّقْليلَ .

والمَسُّ : هو الإصابَةُ اليَسيرَةُ ، والنَّفْحَةُ هِيَ الشيْءُ القليلُ ، وَصيغَتُهُ تَدُلُّ على الإفرادِ ، أيْ نَفْحَةٌ واحِدَةٌ ، والتَّنْكيرُ فيها للتَّقليلِ ، و(مِنْ) لِلتَّبْعيضِ ، وَلَفْظُ (عَذابِ) أَخَفُّ مِنْ لَفظ (نكالٍ) أَوْ (عِقابٍ) ، وإضافَتُهُ إلى لَفْظِ (ربِّكَ) بَدَلاً مِنَ الجَبَّارِ أَوِ القَهَّارِ يوحي بالإحْساسِ بِقِلَّةِ العَذابِ ، وَكَذلِكَ إضافَتُهُ إلى ضَميرِ النَّبيِّ ﷺ فَهي تَخْفيفٌ وَتَلْطيفٌ ، وَمَعَ كُلِّ هَذهِ الأُمورِ الَّتي تُشيرُ إلى خِفَّةِ هذا العَذابِ الَّذي يُصيبُهُمْ فإنَّهُمْ سَيَدْعونَ على أَنْفُسِهِمْ بالوَيْلِ وَيَعْتَرِفونَ بِظُلْمِهِمْ ، فَكَيْفَ يَكونُ حالُهُمْ مَعَ العَذابِ الشَّديدِ والعِقابِ الأَليمِ ؟

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

في هَذهِ الآيةِ الكَريمَةِ تَبْيينُ عَدْلِ اللهِ تَعالى بَيْنَ الخَلْقِ ؛ فَيُخْبِرُ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ سَيُقيمُ المَوازينَ العادِلَةَ لِمُحاسَبَةِ النَّاسِ على أَعْمالِهِم يَوْمَ القيامَةِ ، وَلإعْطاءِ كُلٍّ مِنْهُمْ ما يَسْتَحِقُّهُ مِنْ ثَوابٍ أَوْ عِقابٍ ، مِنْ دونَ أَنْ يُنْقِصَ مِنْ إحْسانِ المُحْسِنِ شَيْئاً ، وَلا مِنْ إساءَةِ المُسيءِ شَيْئاً ، حَتَّى وإنْ كانتِ الأَعْمالُ في غايةِ الصِّغَرِ والدِّقَّةِ فإنَّها تُوزَنُ ضِمْنَ سائِرِ العَمَلِ ، لأنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ صاحِبُ العِلْمِ المُطْلَقِ المُحيطِ بِخَلْقِهِ ، وَلا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمالِهِم ، فَلَوْ كانَ العَمَلُ صَغيراً لا يَزِنُ إلاّ حَبَّةَ خَرْدَلٍ يَأْتي بِهِ اللهُ سُبْحانَهُ ، ولا يُهْمِلُهُ ، وَكَفاكُم أيُّها النَّاسُ أَنْ يَكونَ الَّذي يُحْصي لَكُمْ أَعْمالَكُمْ هُوَ رَبُّكُمُ الكريمُ الرحيمُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ رعايَةُ اللهِ تَعالى تَشْمَلُ الخَلْقَ جَميعاً ، وَلا تَخْتَصُّ بالمُؤْمنينَ مِنْ دونَ غَيْرِهِمْ .

٢ـ سُخْفُ عُقولِ المُشْرِكينَ الَّذينَ يَعْبُدونَ مالا ينفَعُهُمْ ولا يَضُرُّهُم .

٣ـ يَغْتَرُّ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ بِطولِ العُمُرِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ ، وَلَكِنَّهُ امْتِحانٌ واخْتِبارٌ .

٤ـ عَدْلُ اللهِ تَعالى في الحِسابِ بَيْنَ الخَلْقِ ، وَضَبْطِ أَعْمالِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما جَزاءُ الاسْتِهْزاءِ بالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ؟

٢ـ بِماذا وُصِفَت الآلِهَةُ المَعْبودَةُ في الآيةِ ؟

٣ـ ما الَّذي حَمَلَ المُشْرِكينَ على الاغْتِرارِ بأنْفُسِهِمْ ؟

٤ـ لِماذا نَفى اللهُ السَّمْعَ عَنِ المُشْرِكينَ ؟

٥ـ دَلَّتِ الآيةُ على أنَّ العَذابَ الَّذي سَيُصيبُ المُشْرِكينَ ، وَيُؤَدّي إلى دُعائِهِمْ على أَنْفُسِهِمْ بالوَيْلِ عَذابٌ قَليلٌ ، وَضِّحْ ذَلِكَ .

٦ـ هاتِ مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ دَليلاً على كُلٍّ مِمّا يلي :

أـ عَدْلِ اللهِ تَعالى يَوْمَ الحِسابِ .

ب ـ اعْتِرافِ الكافِرينَ بِكُفْرِهِمْ يَوْمَ القِيامَةِ .

ج ـ مَتاعِ الدُّنْيا يَغْتَرُّ بِهِ كَثيرٌ مِنَ النّاسِ .



ذَهَبَ أَكْثَرُ المُفَسِّرِينَ في تَفْسيرِ قَوْلِ اللهِ تَعالى : ﴿نَأْتي الأَرْضَ نَنْقُصُها مِنْ أَطْرافِها﴾ أَيْ نَفْتَحُها لِلْمُسْلمينَ ، ونَجْعَلُها خاضِعةَ لِسُلْطانِهِمْ وفي هذا نَقْصٌ لأَرْضِ المُشْرِكينَ .

والصَّوابُ أَنَّ الآيةَ تَتحدَّثُ عَنْ حَقيقةٍ عِلْمِيَّةٍ لا نَعْرِفُ كَيْفَ تَجْري واللهُ أَعْلَمُ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآياتِ التّي تُبيِّنُ ضَعْفَ آلِهَةِ المُشْرِكينَ ، وعَدَمَ قُدْرَتِها على نَصْرِ مَنْ يَعْتَمِدونَ عَلَيْها ، مِمَّا جاءَ في سورةِ يس .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الحادي والخَمْسونَ

سورَةُ الأَنْبِياءِ ـ القِسْمُ السّابِعُ

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الفُرْقانَ : التَّوْراةَ ، لأنَّها تَفْرُقُ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ .

مُشْفِقونَ : خائِفونَ .

ذِكْرٌ : القُرْآنُ الكَريمُ .

التَّماثيلُ : الأَصْنامُ .

عاكِفونَ : مُقيمون على عِبادَتِها .

فَطَرَهُنَّ : خَلَقَهُنَّ .

لأَكيدَنَّ أَصْنامَكُمْ : لأَجْتَهِدَنَ كَي أُحطِّمَها .

جُذاذاً : قِطَعاً .



التفسيرُ :

انْتقلتِ الآياتُ الكريمَةُ إلى ذِكْرِ عَدَدٍ مِنْ قصصِ الأنبياءِ الكرامِ . وفي هذهِ الاياتِ حديثٌ عن موسى وإبْراهيمَ عَلَيْهِما السَّلامُ ، قالَ اللهُ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ أَنَّهُ أَعْطى موسى وَهارون عَلَيْهِما السَّلامُ - التَّوْراة - كِتاباً جامِعاً فارِقاً بيْنَ الحَقِّ والباطِلِ ، وَضِياءً يُسْتَضاءُ بِهِ في ظُلُماتِ الجَهْلِ ، وَذِكْراً يَتَّعِظُ بِهِ المُتَّقونَ .

﴿ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

هَؤلاءِ المُتَّقونَ المُنْتَفِعونَ بِكَلامِ اللهِ تَعالىٰ مِنْ صِفاتِهِمْ : أَنَّهُمْ يَخافون رَبَّهُمْ دون أَنْ يَرَوْهُ ، لأَنَّهُمْ عَرَفوا أَنَّ لَهُمْ رَبّاً عَظيماً يُجازي على الأَعْمالِ فَهُمْ يَخْشَوْنَهُ ، وَيخافون يَوْمَ القِيامَةِ وما فيه مِنْ أَهْوالٍ وَشَدائِدَ ، فَيَعْمَلونَ الأَعْمالَ الصّالِحَةَ .

﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

وكما أَنَّ التَّوْراةَ ذِكْرٌ وَضِياءٌ فَهَذا القُرْآنُ الَّذي أَنْزَلْناهُ على عَبْدِنا مُحَمَّدٍ - ﷺ - كِتابٌ عظيمُ الشأنِ فيهِ ذِكْرٌ لِمَنْ تَذَكَّرَ ، كَثيرُ الخَيْرِ والبَرَكَةِ لِمَنِ اتَّبَعَ تَوْجيهاتِهِ ، أَفَأَنْتُم أَيُّها المُشْرِكون تُنْكِرون كَوْنَهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، بَعْدَ أَنْ عَلِمْتُمْ عَظيمَ شَأْنِهِ وَبَلاغَةَ عِباراتِهِ ، مَعَ أَنَّكُمْ تَعْتَرِفون بِنُزول التَّوْراةِ على موسىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ . إنَّ هذا لَهُوَ الجُحودُ العَظيمُ لِلْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ .

وَهَذا التَّوْبيخُ لِلْمُشْرِكينَ على عَدَمِ إيمانِهِمْ بِالقُرْآنِ ، يَخُصُّ العَرَبَ من غَيْرِهِمْ فَهُمْ أَهْلُ اللِّسانِ العَرَبِيِّ ، وَهُمُ الَّذينَ يُدْرِكونَ مِن فَصاحَةِ القُرْآنِ وَبلاغَتِهِ ما لا يُدْرِكُهُ غَيْرُهُمْ ، مَعَ أَنَّ فيهِ شَرَفَهُمْ وَصيتَهُمْ ، وَيَخُصُّ اليهودَ كَذلِكَ ، فَهُمْ يَعْلَمونَ في كُتُبِهِمْ عَنْ هذا النَّبِيِّ ، وما يُنَزِّلُهُ اللهُ عَلَيْهِ .

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

هذهِ القِصَّةُ الثّانِيَةُ قِصَّةُ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَ قَوْمِهِ ، بَيَّنَ سُبْحانَهُ فيها أَنَّهُ آتى نَبِيَّهُ إبْراهيم - عَلَيْهِ السَّلامُ - الرُّشْدَ ، وَهَداهُ إلى الحَقِّ مِنْ صِغَرِهِ ، قَبْلَ نُبُوَّةِ موسى وهارونَ ، واللهُ - سُبْحانَهُ - على عِلْمٍ مُطْلَقٍ بِأَحْوالِهِ ، وَبِأَنَّهُ أَهْلٌ لِلْوَحْيِ والفَضْلِ ، وَما قَصَّهُ - سُبْحانَهُ - علَيْنا في هذه السُّورَةِ مِنْ قِصَّتِهِ بَيانٌ لِلرُّشْدِ الَّذي أُوتِيهِ إبْراهيمُ .

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

وَذلِكَ حِينَ قالَ لأَبيهِ وَقَوْمِهِ على سَبيلِ الإرْشادِ لَهُمْ والإنْكارِ عَلَيْهِمْ ، ما هَذهِ التَّماثيلُ والأَصْنامُ

الَّتي تُقيمونَ عِنْدَها تَعْظيماً لَها ، وتَعْبدونَها ؟ وَعَبَّرَ عَنْها بأنَّها تماثيلُ ، وَلَمْ يَقُلْ آلِهَةً حَسَبَ اعْتِقادِهِمْ ، تَحْقيراً لأمْرِها ، وَلِيوقِظَ في نُفوسِهِمْ أنَّها مَصْنوعةٌ بِأَيْديهِمْ فكَيْفَ يَعْبدونَها . ؟

﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾

أَجابَ القَوْمُ جَوابَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حُجَّةٌ بَيِّنَةٌ ، أَجابوا بِهذا الجَوابِ الَّذي يَدُلُّ عَلى تَحَجُّرِ عُقولِهِمْ ، حَيْثُ قَلَّدوا آباءَهُمْ مِنْ دونِ تَدَبُّرٍ أَوْ تَفَكُّرٍ ، قالوا هكذا وَجَدْنا آباءَنا فَعَبَدْنا ماكانوا يَعْبُدونَ .

﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

بَيَّنَ لَهُمْ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَسادَ ما هُمْ عَلَيْهِ ، وما كانَ عَلَيْهِ أَسْلافُهُمْ ، لأنَّ كُلَّ عاقِلٍ يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الأَصْنامَ لا تَسْتَحِقُّ العِبادَةَ أَوِ التَّقْديسَ أَوِ العُكوفَ عَلَيْها . فَإنَّكُمْ وَآباؤكُمُ الَّذينَ قَلَّدْتموهُمْ في ضَلالٍ ظاهِرٍ واضِحٍ .

﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

لمَّا سَمِعَ قَوْمُ إبراهيمَ مَقالَتَهُ ، اسْتَبْعَدوا أَنْ يكونوا هُمْ وآباؤُهُمْ على باطِلٍ وَتَعَجَّبوا حُكْمَ إبْراهيمَ عَلَيْهِمْ بالضَّلالِ ، وظَنُّوا أَنَّ ما قالَهُ كانَ على وَجْهِ المُزاحِ ، والهَزْلِ لا عَنْ طَريقِ الجِدّ فَسألوهُ : هَلْ هذا الَّذي جِئْتَ بِهِ جِدٌّ أَمْ لَعِبٌ ؟

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

رَدَّ عَلَيْهِمْ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بما يُفيدُ بأنَّ كَلامَهُ جِدٌّ وَحَقٌّ ، فَهُوَ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ الَّذي هُوَ رَبُّ النَّاسِ وَخالِقُهُمْ ، وَهُوَ خالِقُ السَّماواتِ والأَرْضِ وما فيهِما وهُوَ الجَديرُ بالعِبادَةِ لا هَذِهِ الأَصْنامُ ، وأَنا على ما ذَكَرْتُهُ لَكُمْ مِنَ العالِمينَ بهِ حَقّاً ، إلى دَرَجَةِ أَنْ أَكونَ شاهِداً عَلَيْهِ .

﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾

وأَقْسَمَ باللهِ أَنْ يَفْعَلَ بِأَصْنامِهِمْ ما يَضيرُهُمْ بها ، وَلَمْ يُفْصِحْ لِقَوْمِهِ عَنِ الفِعْلِ الَّذي سَيَكيدُها بِهِ بَعْدَأَنْ يَنصَرِفوا عَنْها ، والظَّاهِرُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلامُ قالَ هَذِهِ العِبارَةَ سِرّاً ، أَوْ بِصَوْتٍ خافِتٍ سَمِعَهُ أَحَدُهُمْ أَوْ بَعْضُهُمْ ، إذْ لَوْ سَمِعوهُ جَميعاً لَما سَأَلوا بَعْدَ رُجوعِهِمْ عَمَّن حَطَّمَ الأصنامَ .

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

فَجَعَلَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ الأَصْنامَ قِطَعاً مُكَسَّرَةً ، إلاَّ الصَّنَمَ الأَكْبَرَ مِنْها فَلَمْ يُحَطِّمْهُ ، بَلْ تَرَكَهُ لِيَسْأَلوهُ حينَ يَعودونَ عَمَّنْ حَطَّمَ الأَصْنامَ الأُخْرىٰ ، وَكَيْفَ حَصَلَ ذَلِكَ دونَ أَنْ يُدافِعَ عَنْهُمْ ،

وَهذا التَّصرُّفُ منْهُ ـ علَيْهِ السَّلامُ ـ لإقامَةِ الحُجَّةِ على قَوْمِهِ أَنَّ هَذهِ الأَصْنامَ لا تَسْتَحِقُّ أَنْ تُعْبَدَ لأنَّها لَمْ تُدافِعْ عَنْ نَفْسِها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الكُتُبُ السَّماويَّةُ جَميعاً تَتَّصِفُ بأنَّها نورٌ ، وهُدىً ، وَذِكْرٌ .

٢ـ المُتَّقونَ هُمُ الَّذينَ يَنْتَفِعونَ بِما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ .

٣ـ ثُبوتُ تَحْريفِ التَّوْراةِ الَّتي بِأَيْدي النَّاسِ اليَوْمَ ، لِمُخالَفَتِها ما وَصَفَ اللهُ تَعالىٰ بِهِ التَّوْراةَ المُنَزَّلَةَ .

٤ـ عِبادَةُ الأَصْنامِ عَبْرَ التَّاريخِ مِنْ أَعْظَمِ ما صَدَّ النَّاسَ عَنْ عِبادَةِ اللهِ .

٥ـ رِعايَةُ اللهِ تَعالىٰ وإنْعامُهُ لِمَن اصْطفىٰ مِنْ عِبادِهِ .

٦ـ جَوازُ اسْتِخْدامِ الحيلَةِ مَعَ المَدعوِّينَ لاسْتِمالَتِهِم إلى إبْصارِ الحَقِّ واتِّباعِهِ .

٧ـ وجوبُ تَغْييرِ المُنْكَرِ باليَدَيْنِ لِمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بماذا وَصَفَ اللهُ تَعالى التَّوْراةَ المُنَزَّلَةَ على موسىٰ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٢ـ ما صفاتُ المُتقِّينَ المَذْكورَةُ في هذهِ الآياتِ ؟

٣ـ لماذا سَمَّى إبْراهيمُ ما يَعْبُدُ قَوْمَهُ (تَماثيلَ) ؟

٤ـ هَلْ يُغْتَفَرُ لأَحَدٍ تَقْليدُ السَّابقينَ دونَ تَرَوٍّ أَوْ تَفْكيرٍ ؟

٥ـ ما قَصْدُ إبْراهيمَ مِنْ تَحْطيمِ الأَصْنامِ كُلِّها دونَ الصَّنَمِ الكَبيرِ ؟

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ سَبَبَ كُفْرِ كُلٍّ مِنْ مُشْرِكي العَرَبِ واليَهودِ بالقُرْآنِ الكَريمِ .

الدَّرْسُ الثَّاني والخَمْسونَ

سورةُ الأَنْبياءِ ـ القِسْمُ الثّامِنُ

قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

على أَعْيُنِ النَّاسِ : عَلى مَرْأًى مِنَ النَّاسِ .

نُكِسوا : انْقَلَبوا .

أُفٍّ : كَلِمَةٌ تُقالُ للتَّضَجُّرِ والكراهيّةِ .

أَرادوا بِهِ كَيْداً : أَرادوا حَرْقَهُ في النَّارِ .

التفسيرُ :

تَسْتَمِرُّ الآياتُ الكَريمةُ في بَيانِ أَحْداثِ قِصَّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَلَمَّا رَجعَ قَوْمُ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، ووَجَدوا آلِهَتَهُمْ مُحَطَّمَةً ، اسْتَنْكَروا الأَمْرَ ، وتَساءلوا عَنِ الفاعِلِ :

﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

ثُمَّ انْقَلبوا وعادوا إلى المُجادَلَةِ بالباطِلِ ، وَدافَعوا عَنْ آلِهَتِهِمْ ، وَقالوا لإبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ : تَعْلَمُ أنَّ هذهِ الأَصْنامَ لا تَنْطِقُ ، فَكَيْفَ تَطْلُبُ مِنّا سُؤالَها ؟

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ ﴾

فَرَدَّ عَلَيْهِمْ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بما يُظْهِرُ سُخْفَهُم وَقِلّةَ عُقولِهِمْ : أيَليقُ بِكُمْ أنْ تَتْركوا عِبادَةَ اللهِ ، وتَعْبدوا مِنْ دونِهِ هَذه الآلِهَةَ الَّتي لا تَنْفَعُكُمْ بِشَيءٍ مِنَ النَّفْعِ ، وَلا تَضُرُّكُمْ بشيءٍ مِنَ الضَّرِّ .

﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

إنَّ فِعْلَكُمْ هذا أدّىٰ إلى أنْ أتَضَجَّرَ مِنْكُمْ ، وَأُعْلِنَ كراهيَتي لِحالِكُمْ ، فَأَنْتُمْ تَعْبُدونَ جماداتٍ لا تَسْتَحِقُّ العِبادَةَ ولا التَّعْظيمَ ، أيْنَ عُقولُكُمُ الَّتي تَدُلُّكُمْ على الخالِقِ الحَكيم ؟ وَهذهِ حُجَّةٌ قَويَّةٌ مِنْ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، عَجِزوا عَنِ الإجابَةِ عَنْها بِحُجَّةٍ مِثْلِها ، فاتَّجَهوا إلى مُعاقَبَتِهِ .

﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

قالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مُقْتَرِحاً العُقوبَةَ المُناسِبَةَ لَهُ : حَرِّقوهُ بالنَّار فإنَّها أَشَدُّ عُقوبةً ، حتَّى يَكونَ عِبْرَةً لِغَيْرِهِ ، وفي هذا الفِعْلِ ثأرٌ لِلآلِهَةِ الَّتي حَطَّمَها ، إنْ كُنْتُمْ تُريدونَ نَصْرَها ، والانْتِقامَ لها . فَأَوْقَدوا ناراً عَظيمَةً هائِلَةً وأَلْقوا بإبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فيها ، ظَنّاً مِنْهُمْ أنَّها سَتُحْرِقُهُ وَتُهْلِكُهُ وَلَكِنَّ اللهَ تَعالى صاحِبَ الأمْرِ في هذا الكَوْنِ لَمْ يُرِدْ ذَلِكَ .

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾

فَتَحَوَّلَتِ النَّارُ بِأَمْرِ اللهِ تَعالىٰ وَقُدْرَتِهِ إلى بَرْدٍ غَيْرِ ضارٍّ ، فَلَمْ يَلحَقْهُ مِنْها أَذَىً ، إكْراماً مِنَ اللهِ تَعالىٰ لِخَليلِهِ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ الَّذي نَصَرَ دينَ اللهِ وَبَلَّغَهُ دونَ خَوْفٍ وَلا تَرَدُّدٍ ، فاسْتَحَقَّ مِنَ اللهِ تَعالى الرِّعايَةَ الخاصَّةَ بِهِ ، وخَرْقَ العادةِ الطَّبيعيّةِ بقَلْبِ النارِ الحارِقَةِ إلى مكانِ بَرْدٍ آمنٍ وسلامٍ .

﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

رادَ قَوْمُ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إيذاءَهُ وإهْلاكَهُ ، فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِم ، وَجَعَلَهُمُ المُغْلوبينَ المَخْذولينَ .

﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

قالَ قَوْمُ إبْراهيمَ : مَنِ الَّذي تَجرَّأَ على آلِهَتِنا فحَطَّمَها ؟ ، إنَّهُ مُتَجاوِزٌ لِحَدِّهِ مُعَرِّضٌ نَفْسَهُ لِسَخَطِ الآلِهَةِ وَغَضَبِها .

﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾

قالَ جَماعةٌ مِنْهُمْ : سَمِعْنا شابًّا يَذْكُرُ الآلِهَةَ بِسوءٍ وَيَذُمُّها ، يُسَمَّى إبْراهيمَ فَلَعَلَّهُ هُوَ الَّذي اجْتَرأَ عَلَيْها فَحَطَّمَها . وكانَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَدْ عابَ الآلِهَةَ أَمامَ المَلأ حينَ قالَ : ﴿**ماهذِهِ التَّماثيلُ الّتي أَنْتُم لَها عاكِفونَ**﴾ ، كَما يُحْتَمَلُ أنَّ بَعْضَهُم سَمِعَهُ يقولُ : ﴿**تاللهِ لأَكيدَنَّ أَصْنامَكُمْ**﴾ .

﴿ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

قالَ سادَةُ القَوْمِ : إذا كانَ الأَمْرُ كَذلكَ فَأَحْضِروهُ أَمامَ النَّاسِ لِيَتَمَكَّنوا مِنْ رُؤْيَتِهِ على أَتَمِّ وَجْهٍ ، وَيَشْهَدوا مُحاكَمَتَهُ ، ويَشْهَدوا عَلَيْهِ أنَّهُ هُوَ الَّذي حَطَّمَ الأَصْنامَ ، وَيَشْهدوا عِقابَهُ على فِعْلِهِ .

﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾

فَلَمَّا أَتَوْا بِهِ قالوا لَهُ : هَلْ أَنْتَ الَّذي حَطَّمْتَ آلِهَتَنا التي نَعْبُدُها يا إبْراهيمُ .

﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

رَدَّ عَلَيْهِمْ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بِجَوابِهِ الَّذي يَحْمِلُ التَّهَكُّمَ بِهِمْ وَيَدْعوهُمْ إلى إعْمالِ عُقولِهِمْ : فَقالَ لَهُمْ : بَلْ حَطَّمَهُمْ كَبيرُهُمْ هذا ، وَها هُمْ أمامَكُمْ فاسْأَلوهُمْ مَنْ حَطَّمَهُمْ إنْ كانوا مِمَّنْ يَتَمَكَّنُ مِنَ النُّطقِ . ؟

وَهذا الجوابُ مِنْ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لا كَذِبَ فيهِ . فَقَدْ عَلَّقَ إسْنادَ تَحْطيمِ الأَصْنام إلى كَبيرِهِمْ على تَقْديرِ نُطْقِ الأَصْنام ، وَهِيَ لا تَسْتَطيعُ النُّطْقَ ، فَكَأَنَّهُ قالَ لَهُمْ إنْ كانتِ الأَصْنامُ تَنْطِقُ فَقَدْ حَطَّمَها الصَّنَمُ الكَبيرُ ، أَما وأنَّها لا تَنْطِقُ فَلَمْ يُحَطِّمْها الصَّنَمُ الكبيرُ ، فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ أنْ يَكونَ الفاعِلُ إبْراهيمُ : عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَهُوَ الوَحيدُ الَّذي ذَكَرَها بِسوءٍ وتَوَعَّدَ بِتَحْطيمِها ، وَكانَ هذا الجَوابُ مِنْهُ مُؤَثِّراً فيهِمْ مُلْزِماً إيَّاهُمُ الحُجَّةَ الدَّامِغَةَ .

﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

وَقَدْ أدَّى هذا الجَوابُ مِنْ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَهُمْ أنْ يُراجِعوا أَنْفُسَهُمْ ، وَيُفَكِّروا في حالِهِمْ ، وَيَلوموا أَنْفُسَهُمْ ، حَيْثُ عَبَدوا ما لا يَسْتَطيعُ الدِّفاعَ عَنْ نفسِهِ ، إلاَّ أنَّ هذا النَّدَمَ واللَّوْمَ لأَنْفُسِهِمْ سُرْعانَ ما تَبَدَّدَ بِسَبَبِ اسْتيلاءِ العِنادِ والجُحودِ عَلَيْهِمْ ، فَكانَ حالُهُمْ كَما أَخْبَرَ سُبْحانَهُ :

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ جَوازُ التَّوْرِيَةِ لِتَحقيقِ المَصْلَحَةِ .

٢ـ قُوَّةُ حُجَّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

٣ـ مَشْروعيَّةُ تَوْبيخِ أَهْلِ الباطِلِ .

٤ـ الكُفَّارُ يُجادِلونَ بِالباطِلِ .

٥ـ رِعايَةُ اللهِ تَعالىٰ لأَنبيائِهِ والدُّعاةِ إلى دينِهِ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا فَعَلَ قَوْمُ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ حينَ وَجَدوا الأَصْنامَ مُحَطَّمَةً ؟

٢ـ ما فائِدَةُ حُضورِ النَّاسِ مُحاكَمَةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٣ـ بِماذا أَجابَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ عَنْ سُؤالِهِمْ ؟

٤ـ ما فائِدَةُ هذا الجَوابِ مِنْ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟ وما أَثَرُهُ فِيهِمْ ؟

٥ـ هلِ اسْتَجابَ قَوْمُ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لِنداءِ العَقْلِ أَمْ عادوا إلى ضَلالِهِمْ ؟

٦ـ بِماذا أَمَرَ اللهُ تَعالى النَّارَ ؟

٧ـ ما الحِكْمَةُ برأيكَ مِنْ إنْجاءِ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أنْ أُلْقِيَ فيها بَدَلاً مِنْ إنْجائِهِ مِنْها قَبْلَ ذلكَ ؟

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حادِثَةً تَدُلُّ عَلى سُخْفِ عُقولِ المُشْرِكين الَّذين كَذَّبوا رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَكَفَروا بِرِسالَتِهِ .

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والخَمْسونَ

سورَةُ الأَنْبِياءِ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

نافِلَةً : زِيادَةً على ما سَأَلَ .

الخَبائِثَ : المُنْكَراتِ والفُجورِ .

قَوْمَ سَوْءٍ : فَسادٍ .

الكَرْبِ : الشِّدَّةِ والضِّيقِ .

التَّفسيرُ :

تَبْدَأُ هذهِ الآياتُ بِذِكْرِ ما حَصَلَ مَعَ إبْراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بَعْدَ أَنْ نَجّاهُ اللهُ مِنَ النّارِ ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ .

كانَ إبْراهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ قَدْ دَعا رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ الذُّرِّيَّةَ بقولِهِ : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٠] فاسْتَجابَ اللهُ دُعاءَهُ وَرَزَقَهُ إسْحاقَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَزادَهُ عَلى ما سَأَلَ أَنْ رَزَقَ ابْنَهُ إسْحاقَ وَلَداً هُوَ يَعْقوبُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَرَأى ابنَ ابنِهِ في حياتِهِ . وَقَدْ جَعَلَ اللهُ كُلّاً مِنْ إبْراهيمَ وإسْحاقَ وَيَعْقوبَ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ والصَّلاحِ ، وَجَعَلَهُمْ أَنْبياءَ مُرْسَلينَ . وَذَكَرَ اللهُ في مَواضِعَ أُخْرى أَنَّهُ رَزَقَهُ بإسْماعيل قَبْلَ إسْحٰق .

﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

وَجَعَلْناهُمْ قُدْوَةً وَرُؤَساءَ لِغَيرِهِمْ يُرْشِدونَهُمْ إلى الدِّينِ الحَقِّ . وَلَقَدْ أَمَرَهُمُ اللهُ بِذلكَ وَكَلَّفَهُمْ بِتَبْليغِ الرِّسالَةِ إلى النَّاسِ ، وَأَوْحى اللهُ إليْهِمْ أَنْ يَفْعَلوا الخَيْراتِ ، وَيَأْمُروا النَّاسَ بِفِعْلِها ، وأَنْ يُقيموا الصَّلاةَ ويُؤْتوا الزَّكاةَ ، وَعَطْفُ الصَّلاةِ والزَّكاةِ على فِعْلِ الخَيْرِ مِنْ عَطْفِ الخاصِّ على العامِّ للاهْتِمامِ بِهِ ، وَكانوا مُخْلِصينَ للهِ تَعالى في العِبادَةِ ، يَقْصِدونَهُ وَحْدَهُ بها دونَ سِواهُ .

﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

وَآتينا لوطاً ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ النُّبُوَّةَ والحِكْمَةَ والعِلْمَ لِما يَنْبَغي عِلْمُهُ وَفَهْمُهُ ، ونَجَّيناهُ بِرَحْمَتِنا مِنَ العَذابِ الَّذي نَزَلَ بِأَهْلِ قَرْيَتِهِ ، حَيْثُ كانوا يَعْملونَ الأَعْمالَ الخَبيثَةَ ، وَكانوا قَوْماً خارِجينَ عَنْ طاعَةِ اللهِ مُنْتَهِكينَ حُرُماتِهِ ، مُسْرِفينَ في فِعْلِ المُنْكَراتِ والقَبائِحِ الخَبيثَةِ .

﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

وأَدْخَلْنا لُوطاً في أَهْلِ رَحْمَتِنا بأَنْ نَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ إلاَّ إمرأَتَهُ ، لأَنَّهُ كانَ مِنَ المُتَّقينَ الطَّائعينَ .

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾

في هذهِ الآيَةِ والَّتي بَعْدَها جانِبٌ مِنْ قِصَّةِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، أَيْ : واذْكُرْ أَيُّها الرَّسولُ عَبْدَنا نوحاً حَيْثُ نادانا وَدعانا مِنْ قَبْلِ زَمَنِ إبراهيمَ ولوطٍ ، والدّعاءُ الَّذي دَعا بِهِ نوحٌ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بَيَّنَتْهُ آياتٌ أُخْرى مِنْها قَوْلُهُ تعالىٰ : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] فاسْتَجَبْنا دُعاءَهُ فَنَجَّيْناهُ وأَهْلَهُ الَّذينَ آمَنوا بِهِ وَصَدَّقوهُ مِنَ الطُّوفانِ العَظيمِ الَّذي أَغْرَقَ الكافرينَ .

﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

وَنَصَرْناهُ بِفَضْلِنا بأنْ أنْجَيْناهُ مِنْ قَوْمِهِ المُكَذِّبينَ بآياتِنا فلَمْ يَمَسّوهُ بِسوءٍ ، وأَغْرقناهُمْ بِسَبَبِ إصْرارِهِمْ على الكُفْرِ والعِصْيانِ ، وإنْهِماكِهِم في الشَّرِّ والفَسادِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ بَيْتُ المَقْدِسِ وما حَوْلَها أَرْضٌ مُبارَكَةٌ لِلنَّاسِ جَميعاً .

٢ـ الهِجْرَةُ لإعلاءِ كَلِمَةِ اللهِ مِفتاحٌ لِلْخَيْرِ والبَرَكَةِ والذُّرِّيَّةِ الصّالِحَةِ .

٣ـ سَنَّ إبْراهيمُ عَلَيْهِ السَّلامُ الهِجْرَةَ مِنْ ديارِهِ إلى أَرْضٍ أُخْرى يَتَمَكَّنُ فيها مِنْ عِبادَةِ رَبِّهِ .

٤ـ الذُّريَّةُ الصَّالِحَةُ مِنْ نِعَمِ اللهِ على عِبادِهِ .

٥ـ الفَضْلُ الَّذي حازَهُ إبْراهيمُ وذُرِيَّته إسْحاقَ ويعقوبَ مِنَ اللهِ تَعالىٰ .

٦ـ فَضْلُ إقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ .

٧ـ الانْحِرافُ عَنِ الفِطْرَةِ ، واتِّباعُ الهَوَىٰ مَدْعاةٌ لِلْهَلاكِ .

٨ـ تَقْريرُ أنَّ الأَهْلَ هُمْ إخوةُ الدِّينِ لا النَّسَبِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى (نافِلَةً) ؟ وَما المُرادُ بِها في الآيَةِ ؟

٢ـ ما فائِدَةُ عَطْفِ الصَّلاةِ والصِّيامِ على فِعْلِ الخَيْراتِ ، وَهُما مِنَ الخَيْراتِ ؟

٣ـ اذْكُرْ مُلَخَّصَ قِصَّةِ لوطٍ عَلَيْهِ السَّلامُ مَعَ قَوْمِهِ .

٤ـ ما الشَّيْءُ الَّذي دعا بِهِ نُوحٌ رَبَّهُ ؟

٥ـ ماالمَقْصودُ بالكَرْبِ العَظيمِ ؟



١ـ اقْرَأ الآيَةَ التّاسِعَةَ والعِشْرينَ مِنْ سورَةِ (العَنْكبوت) ، واسْتَخْرِجْ مِنْها الأَفْعالَ الخَبيثَةَ الَّتي كانَ قَوْمُ لوطٍ يَفْعلونَها] .

٢ـ اقْرأ سورَةَ (القَمَر) ، وَتَدَبَّرِ الآياتِ الَّتي ذَكَرَتْ كَيْفِيَّةَ إهْلاكِ قَوْمِ نوحٍ ولوطٍ عَلَيْهِما السَّلامُ ، ودَوِّنْها في دَفْتَرِكَ بِأُسلوبِكَ الخاصِّ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والخَمْسونَ

سورةُ الأنبياءِ - القِسْمُ العاشِرُ

وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

الحَرْثِ : الزَّرْع .

نَفَشَتْ فيهِ : رَعَتْهُ لَيْلاً فَأَفْسَدَتْهُ .

صَنْعَةَ لَبوسٍ : عَمَلَ الدُّروعِ .

لِتُحْصِنَكُمْ : لِتَحْفَظَكُمْ .

بأسِكُمْ : حَرْبِكُمْ .

عاصفةً : شَديدةَ الهُبوبِ .

يَغوصونَ : يَنْزِلونَ إلى قاعِ البَحْرِ لاسْتِخْراجِ الحُليِّ .

التفسيرُ :

في هذهِ الآياتِ الكَريمةِ جُزْءٌ مِنْ قِصَّةِ النَّبيِّ الكَريمِ داودَ وابنهِ سُلَيْمانَ عَلَيْهِما السَّلامُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

واذْكُرْ أيُّها الرَّسولُ قِصَّةَ داودَ وَسُلَيْمانَ وَقْتَ أنْ حَكَما في الزَّرْعِ الَّذي رَعَتْهُ الغَنَمُ لَيْلاً دونَ أنْ يَكونَ مَعَها راعٍ ، فَلَمَّا اشْتَكى صاحِبُ الزَّرْعِ إلى داودَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ حَكَمَ لَهُ أنْ يأخُذَ غَنَمَ خَصْمِهِ في مُقابِلِ إتْلافِها لِزَرْعِهِ ، نظراً لِتَساوي أوْ لِتَقارُبِ قيمَتَيْهِما . وَبَعْدَ انْتِهاءِ داودَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ حُكْمِهِ أظْهَرَ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ ـ السَّلامُ رأيَهُ فيها ، بأنْ تُسَلَّمَ بها ، وَيُصْلِحَ صاحِبُ الغَنَمِ الزَّرْعَ حتَّى يَعودَ كما كانَ ، ثُمَّ يُعيدَ كُلُّ واحِدٍ لِلآخَرِ ما تَحْتَ يَدَيْهِ ، فَيأْخُذَ صاحِبُ الزَّرْعِ زَرْعَهُ ، وَصاحِبُ الغَنَمِ غَنَمَهُ ، فَسُرَّ داودُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ مِنْ هذا الحُكْمِ وَرَجَعَ إليهِ ، واللهُ ـ سُبْحانَهُ ـ عالِمٌ بما حَكَمَ بِهِ كُلٌّ مِنْهُما ، فَعِلْمُ اللهُ تعالى مُحيطٌ بِكُلِّ خَلْقِهِ لا يَغيبُ عَنْهُ مِنْ أحْوالِهِم شَيْءٌ .

﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

امْتَدَحَ اللهُ تَعالى الحُكْمَ الَّذي قَضى بِهِ سُلَيْمانُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وبَيَّنَ أنَّهُ ـ سُبْحانَهُ ـ ألْهَمَهُ الحُكْمَ الأَصْوبَ في هذهِ القَضِيَّةِ ، ثُمَّ أَثْنىٰ ـ سُبْحانَهُ ـ على داودَ وَسُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِما السَّلامُ ـ بأنَّهُ أعطىٰ كُلاًّ مِنْهُما الحِكْمَةَ والعِلْمَ الرّاسِخَ مَعَ النُّبُوَّةِ . وَقَدْ حَكَمَ داودُ وَسُلَيْمانُ في هذه القَضِيَّةِ باجْتِهادِهِما لا بِنَصِّ الوَحْيِ . والمُجْتَهِدُ مأْجور دائماً ، إنْ أصابَ فَلَهُ أجْرانِ كما هُوَ ـ حالُ نَبِيِّ اللهِ سُلَيْمان في هذهِ المَسْأَلَةِ ، وَإنْ أخْطأَ فَلَهُ أجْرٌ ، ولا يُتَوَجَّهُ إليهِ اللَّوْمَ كما كانَ حالُ داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

ثُمَّ ذَكَرَ ـ سُبْحانَهُ بَعْضَ النِّعَمِ التي أنْعَمَ بها على داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَمِنْها جَعْلُ الجِبالِ والطَّيْرِ تُسَبِّحُ مَعَهُ إذا سَبَّحَ ، وَتُرَدِّدُ كلامَهُ إذا ذَكَرَ رَبَّهُ ، تَكْريماً لَهُ وتأْييداً لِنُبُوَّتِهِ ، وَأكَّدَ سُبْحانَهُ حُصولَ ذلِكَ بِقَوْلِهِ ﴿**وَكُنّا فاعلينَ**﴾ إذْ إنَّ قُدْرَةَ اللهِ لا يَحدُّها شَيْءٌ .

وَتَقْديمُ الجبالِ على الطَّيْرِ لأنَّ تَسْخيرَها وتَسْبيحَها أعْجَبُ وَأدلُّ على القُدْرَةِ لأَنَّها جَمادٌ .

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

ومِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالىٰ على داودَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنْ عَلَّمَهُ ـ سُبْحانَهُ ـ صِناعَةَ الدُّروعِ حتَّىٰ حَذِقَها وَأتْقَنَها لِتَكونَ واقِيَةً لِلابِسِها مِنْ ضَرَباتِ السُّيوفِ ، وَطَعَناتِ الرِّماحِ في الحَرْبِ . والاسْتِفْهامُ في قولِهِ ﴿**فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرونَ**﴾ يُرادُ بِهِ الأَمْرُ ، أي : اشْكُروا اللهَ على ما أنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ .

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

وَمِنْ نِعَمِ اللهِ تَعالىٰ على نَبِيِّهِ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ أنْ سَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ شديدةَ الهُبوبِ تأْتَمِرُ بأَمْرِهِ

ـ وتَحمِلُهُ إلى حَيْثُ يَشاءُ مِنْ بِقاعِ الأَرْضِ ، وتُعيدُهُ إلى الأرْضِ المُباركَةِ ، وَهِيَ أَرْضُ الشَّامِ ، كَمَا سبَقَ أَنْ وُصِفَتْ بذلكَ في قِصَّةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَهِي مَقَرُّ مُلْكِهِ ، وَمَكانُ إقامَتِهِ .

وَكانَتِ الرِّيحُ تَنْقُلُ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَجَيْشَهُ مَسيرَةَ شَهْرٍ في وَقتٍ لا يَتجاوزُ أوَّلَ النَّهار ، وَتُعيدُهُ المَسافَةَ نَفْسَها في وَقْتٍ يَسيرٍ ، وَقَدْ أَشارَ إلى هذا قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبأ: ١٢] وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرادَ بِتَسْخيرِ الرّيحِ لَهُ : تَسْييرُ السُّفُنِ وإنْزالُ المَطَرِ بِأَمْرِهِ حَيْثُ يشاءُ .

ثُمَّ أَخْبَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ عَنْ شُمولِ عِلْمِهِ لِكُلِّ ما يَجْري في هذا الكَوْنِ ، لِبيانِ إحاطَةِ عِلْمِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ وَلِلتَّنْبيهِ على أنَّ حُصولَ هذهِ الخَوارِقِ بِعِلْمِهِ وإرادَتِهِ سُبْحانَهُ .

﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

وَمِنْ نِعَمِ اللهِ تعالىٰ على سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ تَسْخيرُ الشَّياطينِ ، فَهُمْ يَغوصونَ في أَعْماقِ البحارِ لِيَسْتَخْرِجوا مِنْها الجَواهِرَ النَّفيسةَ كاللؤلؤِ والمَرْجانِ ، طائِعينَ لأَمْرِ سُلَيْمانَ لَهُمْ بهذا الفِعْلِ ، وَكانوا يَقومونَ بِكُلِّ ما يُكَلِّفُهُمْ بِهِ مِنْ عَمَلٍ ، كبناءِ القُصورِ ، وَصُنْعِ التَّماثيلِ والمَحاريبِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يُقَصِّرُ في طاعَتِهِ أَوْ يَتَمَرَّدُ على أَمْرِهِ ، فَهُمْ في خدمَتِهِ بِأَمْرِ اللهِ لَهُمْ ، وَحِفْظِهِ إيَّاهُم .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ شَرَفُ القَضاءِ بَيْنَ النَّاسِ حَيْثُ قامَ بِهِ الأَنْبياءُ يَجِبُ أَنْ يَجْتَهِدَ الحاكِمُ بالحُكْمِ بالحَقِّ ، وَلا حَرَجَ عَلَيْهِ إنْ لَمْ يُصِبْ في ذَلِكَ ما دامَ قَدِ اجْتَهَدَ .

٢ـ وجوبُ تَعْيينِ القُضاةِ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ .

٣ـ أَفْضَلِيَّةُ الرُّجوعِ إلى الحُكْمِ الأَصْوَبِ .

٤ـ كُلُّ المَخْلوقاتِ تتجاوَبُ مَعَ ذِكْرِ اللهِ وَتَسْبيحِهِ .

٥ـ وُجوبُ البَحْثِ في تَطْويرِ أَساليبِ الدِّفاعِ والبَحْثِ عَنِ القُوَّةِ .

٦ـ كلُّ ما يَحْصُلُ في هذا الكَوْنِ مِنْ أُمورٍ مَأْلوفةٍ أَوْ خارِقَةٍ فَهُوَ بِعِلْمِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ .



التَّقْويمُ :

أجبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما الحُكْمُ الَّذي أَصْدَرَهُ داودُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ في مَسْأَلَةِ الغَنَمِ الَّتي رَعَتْ لَيْلاً في أرْضٍ مَمْلوكَةٍ لِلآخَرينَ ؟

٢ـ ماالحُكْمُ الَّذي قَضَىٰ بِهِ سُلَيْمانُ ـ عَلَيْه السَّلامُ في المَسْأَلَةِ ؟

٣ـ اذْكُرْ ما امْتَنَّ اللهُ بِهِ على كُلٍّ مِنْ داودَ وَسُلَيْمانَ عَلَيْهِما السَّلامُ ، كما جاءَ في هذهِ الآياتِ .

٤ـ بَيِّنْ وَجْهَ مُناسَبَةِ خَتْمِ عَدَدٍ مِنَ الآياتِ الكريمةِ بالعباراتِ التّاليةِ :

أـ وكنّا لِحُكمِهِمْ شاهِدينَ .

ب ـ وَكُنَّا فاعِلينَ .

ج ـ وكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عالِمينَ .

د ـ وكُنَّا لَهُمْ حافِظينَ .

فائِدَةٌ :

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ قالَ : « بَيْنَما امْرَأَتانِ مَعَهُما ابناهُما ، جاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بابنِ إحْداهُما ، فَقالَتْ لها صاحِبَتُها : إنَّما ذَهَبَ بابنِك ، وقالَتِ الأُخْرى إنّما ذَهَبَ بابنِك ، فتحاكَمَتا إلى داودَ ، فَقَضىٰ بِهِ لِلْكُبْرى ، فَخَرَجَتا بِهِ إلى سُلَيْمانَ بنِ داودَ فأخْبَرَتاهُ فَقالَ : ائْتوني بالسِّكّينِ أَشُقَّهُ بَيْنَهما ، فَقالَتِ الصُّغرىٰ : لا تَفْعَلْ ـ يَرْحَمُكَ اللهُ ـ هُوَ لَها فَقَضىٰ بِهِ لِلْصُّغْرىٰ »[١] .

نَشاطٌ :

ـ تَدَبَّرْ هذا الحَديثَ ، وبَيِّنْ سَبَبَ قَضاءِ سُلَيْمانَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ بالوَلَدِ لِلصُّغْرىٰ .

---

(١) رواهُ البخاريُّ في كتابِ الأنبياءِ ، باب ٤١ ، رقم الحديث ٣٢٤٤ رواهُ مُسْلِمٌ في كتاب الأَقْضِيَةِ باب بيانِ اختلاف المُجْتهدينَ ، رقم الحديث ٤٤٧٠ .

الدَّرْسُ الخامِسُ والخَمْسونَ

سورَةُ الأَنْبِياءِ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۢ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **الضُّرُّ** : البَلاءُ والشِّدَّةُ .
- **ذا النُّونِ** : يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلامُ .
- **النُّونِ** : الحوتِ .
- **مُغاضِباً** : غَضْبانَ على قَوْمِهِ لِكُفْرِهِمْ .
- **نَقْدِرَ عَلَيْهِ** : نُضَيِّقَ عَلَيْهِ .

التفسيرُ :

تبدأُ آياتُ هذا الدَّرْسِ بِذِكْرِ جانبٍ مِنْ قِصَّةِ أَيّوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

واذْكُرْ أيُّها الرَّسُولُ عَبْدَنا أَيّوبَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَقْتَ أَنْ نادىٰ رَبَّهُ وَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ قائِلاً : يا ربِّ

أَصابَني البَلاءُ والكَرْبُ والشِّدَّةُ ، وأَنْتَ أَرْحَمُ الرّاحِمينَ ، ولَمْ يُصَرِّحِ النَّبِيُّ الكَريمُ ـ عليهِ السَّلامُ ـ بِمَطْلَبِهِ ، ولٰكِنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بالعَجْزِ والضَّعْفِ ، وَوَصَفَ رَبَّهُ بغايةِ الرَّحْمَةِ ، وهذا مِنْ أَدبِ الأَنبياءِ مَعَ رَبِّهِمْ .

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

فاسْتَجابَ اللهُ دُعاءَهُ وَتَضَرُّعَهُ ، وأَزالَ ما نَزَلَ بِهِ مِنْ بَلاءٍ في جسدِهِ ، وعَوَّضَهُ عَمَّنْ فَقَدَ مِنْ أَوْلادِهِ ، وَرَزَقَهُ ضِعْفَ عَدَدِهِمْ ، رَحْمَةً مِنَ اللهِ تَعالىٰ بِهِ ولِيَكونَ ذٰلِكَ عِبْرَةً وعِظَةً لِغَيْرِهِ مِنَ العابدينَ لِيَقْتَدوا بِهِ في صَبْرِهِ على البَلاءِ ، وَفي المُداوَمَةِ على الشُّكْرِ في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ .

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

تَذْكُرُ الآيَةُ الكَريمةُ هٰؤلاءِ الأَنْبياءَ الثَّلاثَةَ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ دونَ أَيِّ تَفْضيلٍ في قِصَصِهِمْ ، واكْتَفَتِ الآيَةُ بِوَصْفِهِمْ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ بالصَّبْرِ على مَشاقِّ التَّكاليفِ وَشَدائِدِ تَبْليغِ الرِّسالَةِ .

أَمَّا إسْماعيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فَهُوَ ابنُ إبْراهيمَ عَلَيهِ السَّلامُ ـ وَقَدْ ذُكِرَتْ قِصَّتُهُ في سُوَرٍ أُخْرى . وإدْريسُ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ أَحَدُ الأَنْبياءِ قَبْلَ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وذُكِرَ في سُورَةِ (مَرْيم) ، وذو الكِفْلِ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ لَمْ تَذْكُرِ الآيَةُ عَنْهُ شَيْئاً ، وَوَرَدَ ذِكْرُ اسْمِهِ في سورةِ (ص) ، وكُلُّ ما يُجْزَمُ بِهِ مِنْ أَمْرِهِ أَنَّهُ كانَ مِنَ الصّابِرينَ عَلى تَبْليغِ دَعْوَةِ اللهِ .

﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

وَمِنْ فَضْلِ اللهِ على هٰؤلاءِ الأَنْبياءِ المَذْكورينَ أَنَّهُ أَدْخَلَهُمْ في رَحْمَتِهِ الَّتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، لأَنَّهُمْ حَمَلوا الرِّسالَةَ وبَلَّغوها وأَطاعوا رَبَّهُم ، وَحَفِظوا دينَهُ .

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

هذه قِصَّةٌ أُخْرىٰ مِنْ قَصَصِ الأَنْبياءِ ـ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ـ في هذِهِ السُّورَةِ ؛ قِصَّةُ ذي النُّونِ يُونسَ عليهِ السَّلامُ . والنونُ : الحوتُ ، وذو النُّونِ : يونُس عليهِ السَّلامُ ، سُمِّيَ بذلكَ لابْتلاعِ الحوتِ لَهُ ، ذٰلِكَ أَنَّهُ فارَقَ قَوْمَهُ ، وهُوَ غَضْبانُ عليهِم ، لأَنَّهم لَمْ يُؤْمِنوا بِهِ ، وَوَصَلَ إلى ساحِلِ البَحْرِ وَرَكِبَ سَفينَةً ، وَخِلالَ سَيْرِها في البَحْرِ ضاقَتْ بِرُكّابِها ، وكانَ لا بُدَّ وأَنْ يُلْقىٰ أَحَدُ الرُّكابِ لِيَنْجُوَ الجَميعُ فاقْتَرَعوا فَجاءَتِ القُرْعَةُ على يونُسَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَأَلقىٰ بِنَفْسِهِ في البَحْرِ فالتَقَمَهُ الحوتُ ، وَظَنَّ يونُسُ أَنَّ اللهَ لَنْ يُضَيِّقَ عَلَيْهِ ، عِقاباً لَهُ على مُفارَقَتِهِ قَوْمَهُ دونَ أَمْرٍ بِذٰلِكَ ، فَلَمّا سَقَطَ في البَحْرِ ابْتَلَعَهُ الحوتُ ، وفي هذا ابْتِلاءٌ مِنَ اللهِ لَهُ وتَضْييقٌ عَلَيْهِ ، فَنادى ، وهُوَ في بَطْنِ الحوتِ وظُلْمَتِهِ ، مُتَضَرِّعاً

إلى رَبِّهِ أنْ يُنْجيَهُ مِمّا هُوَ فيهِ ، وَكانَ نداؤهُ إقْراراً واعْتِرافاً بوَحْدانيَّةِ اللهِ تعالىٰ ، وتَنْزيهِ اللهِ عَنِ الشِّرْكِ والنَّقْصِ فلا مَعْبودَ بحَقٍّ إلاَّ اللهُ ، ولا يَسْتَحِقُّ العِبادةَ أَحَدٌ سِواهُ ، وَقَدِ اعْتَرَفَ يُونُسُ في نِدائِهِ بظُلْمِهِ لِنَفْسِهِ حينَ فارَقَ قَوْمَهُ تارِكاً دَعْوَةَ رَبِّهِ ، وَقَدْ تابَ وأَنابَ وَرَجَعَ إلى اللهِ .

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

فاسْتَجابَ اللهُ دُعاءَ يُونُسَ ، ونَجّاهُ مِمّا كانَ فيهِ مِنْ غَمٍّ وَحُزْنٍ وَهُوَ في بَطْنِ الحُوتِ ، ومِثلَ هذا الإنجاءِ البديعِ يُنَجّي اللهُ المُؤْمنينَ مِنَ الكُروبِ إنْ دَعَوْا واسْتَغاثوا بِرَبِّهِم وأَخْلَصوا في دُعائِهِم .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ الصَّبْرُ على البَلاءِ وَعَدمُ الشَّكْوىٰ لِغَيْرِ اللهِ مِنْ صِفاتِ المُؤْمِنينَ الصَّادِقينَ .

٢ـ اسْتِحْبابُ الدُّعاءِ لِكَشْفِ الضُّرِّ ، لأنَّ اللهَ يُحِبُّ مَنْ تَضَرَّعَ إليهِ وَدَعاهُ .

٣ـ عَدَمُ التَّصَرُّفِ بأَمْرٍ قَبْلَ مَعْرِفَةِ حُكْمِ اللهِ تَعالىٰ فيهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ماذا كانَتْ نَتيجةُ دُعاءِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلامُ ؟

٢ـ ماذا تَعْرِفُ عَنْ : إسْماعيلَ وإدْريسَ وَذي الكِفْلِ ؟ وَبِماذا امْتَدَحَهُمُ اللهُ ؟

٣ـ لِماذا خَرَجَ ذو النُّونِ مِنْ عِنْدِ قَوْمِهِ ؟

٤ـ ماذا حَصَلَ مَعَ ذي النُّونِ وَهُوَ في البَحْرِ ؟ وبِماذا دَعا ؟

٥ـ اذْكُرْ أَدَبَ الدُّعاءِ الَّذي تَعَلَّمْتَهُ مِنْ نبيِّ اللهِ أَيّوبَ ونَبيِّ اللهِ يُونُسَ عَلَيْهِما السَّلامُ .



عَنْ سَعْدِ بنِ أَبي وَقّاصٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قالَ سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يَقولُ : « دَعْوَةُ ذي النُّونِ إذْ هُوَ في بَطْنِ الحوتِ : لا إلهَ إلاّ أَنْتَ سُبْحانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمينَ ، لَمْ يَدْعُ بها مُسْلِمٌ رَبَّهُ في شَيْءٍ قَطُّ إلاّ اسْتَجابَ لَهُ »[١] .

وَعَنْهُ سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ يَقولُ : « اسْمُ اللهِ الَّذي إذا دُعِيَ بِهِ أجابَ وإذا سُئِلَ بِهِ أَعْطىٰ ، دَعْوَةُ يُونُسَ بنِ مَتّىٰ ، قُلْتُ يا رَسولَ اللهِ ، هَلْ لِيونُسَ خاصةً أَمْ لِجَماعةِ المُسْلِمينَ ؟ قالَ : هِيَ لِيونُسَ خاصَّةً وَلِلْمُؤْمِنينَ عامَّةً إذا دَعوْا بِهِ ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللهِ ﴿وَكَذلِكَ نُنْجي المُؤْمِنينَ﴾ فَهُوَ شَرْطُ اللهِ لِمَنْ دَعاهُ بِها »[٢] .

نَشاطٌ :

١ـ ماذا تُفيدُ مِنْ عَدَمِ ذِكْرِ يُونسَ لِحاجَتِهِ وَهُوَ في بَطْنِ الحوتِ ، واكْتِفائِهِ بالذِّكْرِ والاعْتِرافِ بالذَّنْبِ ؟ اكْتُبْ ذَلِكَ في دَفْتَرِكَ .

٢ـ اقْرَأْ قِصَّةَ أَيّوبَ في سورةِ (ص) ، واكْتُبْ بِلُغَتِكَ مَوْضوعاً عَنْ هذا النَّبيِّ عَلَيْهِ السَّلامُ وَضَعْهُ في مَجَلَّةِ المَدْرَسَةِ .

* * *

---

(١) رواهُ التِّرْمِذيّ ، في كتابِ الدَّعَواتِ بابُ ما جاءَ في عقدِ التَّسْبيحِ باليَدِ . رقم الحديثِ ٣٥٠٥ ، ورواهُ الحاكمُ ١/ ٦٨٤ رقم ١٨٦٢ ، ورواهُ أحمد في المسند برقم ١٣٨٣ .

(٢) الطبريّ ، التفسير ، ١٧/ ٨٢ .

الدَّرْسُ السَّادِسُ والخَمْسونَ

سورَةُ الأَنْبياءِ - القِسْمُ الثّاني عَشَرَ

وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

رَغَباً وَرَهَباً : طَمَعاً وَخَوْفاً .

أَحْصَنَتْ : حَفِظَتْ .

أُمَّتُكُمْ : دينُكُمْ وَمِلَّتُكُمْ .

وَتَقَطَّعوا أَمْرَهُمْ : تفرَّقوا في دينِهِمْ .

التفسيرُ :

تَبْدَأُ هَذهِ الآياتُ بِذِكْرِ طَرَفٍ مِنْ قِصَّةِ زَكَرِيّا عَلَيْهِ السَّلامُ ، قالَ اللهُ تَعالَىٰ :

﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

واذْكُرْ حالَ زَكَرِيّا - عَلَيْهِ السَّلامُ وَقْتَ أَنْ نادى رَبَّهُ ، وتَضَرَّعَ إِلَيْهِ قائِلاً : يا رَبِّ لا تَتْرُكْني وَحيداً دونَ ذُرِّيَّةٍ ، وأَنْتَ خَيْرُ باقٍ بَعْدَ كُلِّ مَنْ يَموتُ .

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

فاسْتَجابَ اللهُ دُعاءَ زَكَرِيّا ، وَرَزَقَهُ ابْناً بَعْدَ أَنْ جَعَلَ زَوْجَتَهُ العَقيمَ صالِحَةً لِلْحَمْلِ والإنْجابِ ، واسْتِجابَةُ اللهِ تَعالى لِلأَنْبِياءِ ، وَمِنْهُم زَكَرِيّا ، عَلَيْهِ السَّلامُ ، لأَنَّهُمْ كانوا يُبادِرونَ إلى فِعْلِ الخَيْراتِ الَّتي تُرْضي اللهَ ، وَيَجْتَهِدونَ في أَداءِ كُلِّ ما أُمِروا بِهِ ، راغِبينَ في نِعْمَةِ اللهِ ، وَخائِفينَ مِنْ عَذابِهِ ، وَكانا دائِمَي الخُشوعِ والخُضوعِ للهِ مُتَضَرِّعينَ مُتَذَلِّلينَ لَهُ .

﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

واذْكُرْ خَبَرَ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرانَ الَّتي أَعَفَّتْ نَفْسَها وَحَفِظَتْها ، وَكانَتْ مِثالاً في العِفَّةِ والاسْتِقامَةِ ، فَأَرْسَلَ اللهُ تَعالىٰ إلَيْها جِبْريلَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، فَنَفَخَ فيها بِأَمْرِ اللهِ تَعالىٰ فَحَمَلَتْ بِعيسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وَكانَتْ هذهِ الحادِثَةُ الخارِقَةُ لِلْعادَةِ مُعْجِزَةً واضِحَةً دالَّةً على عَظيمِ قُدْرَةِ اللهِ ، وآيَةً كُبْرى لِلْخَلْقِ أَجْمعينَ .

وذِكْرُ مَرْيَمَ في هذهِ الآيَةِ بالاسْمِ المَوْصولِ لِتَفْخيمِ شَأْنِها وَتَنْزيهِها عَنِ السُّوءِ .

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾

بَعْدَ هذا الحَديثِ المُتَنَوِّعِ عَنْ قِصَصِ عَدَدٍ مِنَ الأنبياءِ ، عَقَّبَ سُبْحانَهُ على ذَلِكَ بِبَيانِ أَنَّهُمْ جَميعاً مُتَقَدِّمُهُمْ ومُتَأَخِّرُهُمْ يُشَكِّلونَ أُمَّةً واحِدَةً ، لأَنَّ دينَهُمْ واحِدٌ ، وَهُوَ الإسْلامُ ، وإلَهُهُمُ الَّذي يَعْبدونَهُ واحِدٌ ، وَهُوَ اللهُ ،

وَجاءوا بِعَقيدَةٍ واحِدَةٍ هِيَ تَوْحيدُ اللهِ وإخْلاصُ العِبادَةِ لَهُ ، وَهذا خِطابٌ مُوَجَّهٌ لِلنّاسِ أَجْمعينَ : إنَّ مِلَّةَ التَّوْحيدِ الَّتي جاءَ بِها الأَنْبِياءُ جَميعُهُمْ هِيَ مِلَّتُكُمْ وَدينُكُمْ ، فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُخْلِصوا العِبادَةَ والطّاعَةَ للهِ وَحْدَهُ رَبِّكُم وَرَبِّ كلِّ شَيْءٍ .

فماذا كانَ مَوْقِفُ النّاسِ مِنْ هذا الدِّينِ ؟ قالَ اللهُ تَعالىٰ مُبيِّناً ذَلِكَ :

﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

أَيْ أَنَّ النّاسَ لَمْ يَلْتزموا طاعَةَ الرُّسُلِ واتِّباعَهُم ، بل تَفَرَّقوا واخْتَلَفوا في الدِّينِ ، وَتَنازَعوا وانْقَسَموا إلى أَحْزابٍ وفِرَقٍ ، كُلُّ هَؤلاءِ مَرْجِعُهُمْ إلى اللهِ فَيُجازِيهِمْ بِأَعْمالِهِمْ .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

يُبَيِّنُ اللهُ تَعالىٰ في هذهِ الآيَةِ جَزاءَ المُؤْمِنِ ، فَمَنْ يَعْمَلْ شَيْئاً مِنْ أَعْمالِ البِرِّ والخَيْرِ بِشَرْطِ الإيمانِ

باللهِ وَرَسولِهِ فلا بُطْلانَ لِثوابِ عَمَلِهِ ، ولا يَضيعُ شَيْءٌ مِنْ جَزائِهِ ، إذْ تُكْتَبُ أَعْمالُهُ وتُثَبَّتُ في صَحيفَتِهِ ، وَيُعطيهِ اللهُ تَعالىٰ أَجْرَ هذا العَمَلِ كامِلاً يَوْمَ القيامَةِ .

أَمَّا الكافِرونَ والمُكَذِّبونَ فَقالَ اللهُ تَعالىٰ فيهِم :

﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

فما مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ أَهْلَكَهُمُ اللهُ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ إلاَّ حُرِّمَ عَلَيْهِمُ الرُّجوعُ إلى الدُّنيا ، فَهُمْ لا يَرْجعونَ إلى هذهِ الدُّنيا ، ولكِنَّهُمْ يَرْجِعونَ إلى اللهِ في الآخِرَةِ ، وَهذا أَمْرٌ مُحَقَّقٌ مُؤَكَّدٌ لِيُحاسِبَهُمُ اللهُ على أَعْمالِهِمْ وَيُجازِيَهِمْ بها .

وَتَخْصيصُ هؤلاءِ المُهْلَكينَ بالذِّكْرِ مَعَ أَنَّ كُلَّ الخَلْقِ سَيُبْعثونَ ويُحاسَبونَ ، لأَنَّهُمْ المُنْكِرونَ لِلْبَعْثِ والحساب .

دُروسٌ وَعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ اسْتِجابَةُ اللهِ لِدُعاءِ أَنْبيائِهِ وَصالِحي عِبادِهِ .

٢ـ اسْتِحْبابُ المُسارَعَةِ في الخَيْراتِ والدُّعاءِ بِرَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ . والخُشوعُ في العِبادَةِ .

٣ـ فَضيلَةُ العِفَّةِ وَحِفْظِ النَّفْسِ ، وإحْصانِ الفَرْجِ .

٤ـ الأَنْبياءُ وَأَتْباعُهُمْ أُمَّةً واحِدَةً ، وَدَعْوَتُهُمْ واحِدَةٌ . وَهِيَ تَوْحيدُ اللهِ وإفْرادُهُ بالعِبادَةِ .

٥ـ ذَمُّ الَّذينَ تَفَرَّقوا في دينِهِمْ وَعَبَدوا مِنْ دونِ اللهِ آلِهَةً شَتَّىٰ .

٦ـ إثْباتُ البَعْثِ والجَزاءِ في الآخِرَةِ لِجَميعِ الخَلْقِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ بِماذا دَعا زَكَريّا رَبَّهُ ؟

٢ـ مامَعْنىٰ ﴿وأَنْتَ خَيْرُ الوارِثينَ﴾ ؟

٣ـ بِماذا امْتَدَحَ اللهُ زَكَريّا عَلَيْهِ السَّلامُ وأَهْلَهُ ؟

٤ـ أ ـ بماذا امْتَدحَ اللهُ مَرْيمَ عَلَيْها السَّلامُ ؟

ب ـ لِماذا لَمْ يَذْكُرْها باسْمِها ؟

٥ـ ما مَعْنى ﴿إِنَّ هَذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً﴾ ؟

٦ـ هَلْ يُغني العَذابُ الدُّنْيويُّ عَنِ العذابِ في الآخِرَةِ ؟ اذْكُرْ آيةً تُؤَيِّدُ إجابَتَكَ ؟

٧ـ اكْتُبْ في الفَراغِ الكَلِمَةَ القُرْآنيَّةَ ، وَبَيِّنِ المَعْنى بإيجازٍ :

أ ـ « وأَنْتَ خَيْرُ. . . » .

ب ـ « ويَدْعونَنا رَغَباً. . . . . . . وَكانوا لَنا. . . . . . » .

ج ـ « إنَّ هَذهِ. . . . . . أُمةً واحِدَةً » .

د ـ « فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالحاتِ. . . . . . . فلا كُفْرانَ لِسَعْيِه » .

هـ ـ « وحَرامٌ. . . . . أَهْلَكْناها » .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما جاءَ في سورَةِ (مَرْيَمَ) مِنْ وَصْفٍ لِحالِ زَكريَّا ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ وزَوْجِه .

٢ـ اذْكُرْ ، في دَفْتَرِكَ ، بماذا يُشْبِهُ خَلْقُ عيسىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ خَلْقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، واكْتُبِ الآيةَ الدّالَّةَ على ذَلِكَ .

٣ـ وازِنْ بَيْنَ دُعاءِ كُلٍّ مِنْ أَيوبَ ويونُسَ وزَكَريّا عَلَيْهِمُ السَّلامُ . واكْتُبِ الآياتِ الدّالَّةَ على ذَلِكَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّابِعُ والخَمْسونَ

سورَةُ الأَنْبِياءِ - القِسْمُ الثَّالِثَ عَشَرَ

حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **يَأْجوجُ ومَأْجوجُ** : اسْما قَبيلتينِ اتّصَفَتا بالإِفْسادِ في الأَرْضِ .
- **حَدَبٍ** : مُرتفَعٍ مِنَ الأَرْضِ .
- **يَنْسِلون** : يُسْرِعونَ .
- **شاخِصَةً** : مُرْتَفِعَةَ الأَجْفانِ لا تَكادُ تَطرِفُ .
- **حَصَبُ جَهَنَّمَ** : وَقودُها .
- **زَفيرٌ** : تَنَفُّسٌ شَديدٌ .
- **حَسيسَها** : صَوتَ حَرَكَةِ اللَّهَبِ .
- **الفَزَعُ الأَكْبَرُ** : أَهْوالُ يَوْمِ القيامَةِ .



التفسيرُ :

انْتَقَلَتِ الآياتُ إلى الحَديثِ عَنْ يَوْمِ القيامَةِ وبَعْضِ ما يَكونُ فيهِ مِنْ أَحْداثٍ ، وبَدَأَتْ بإحْدى عَلاماتِ السَّاعَةِ الكُبْرىٰ وهِيَ :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

أيْ يَسْتَمِرُّ النَّاسُ على ما هُمْ عَلَيْهِ حتَّى إذا أذِنَ اللهُ بخُروجِ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ انْطَلَقوا مُسْرِعينَ مِنْ كُلِّ مُرْتَفَعٍ مِنَ الأَرْضِ ، وهذا مِنْ عَلاماتِ السَّاعَةِ الكُبْرى ، كما وَرَدَ في الحَديثِ عَنْ رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ أَنَّهُ قالَ : « لَنْ تَقومَ السَّاعَةُ حتَّى تَرَوْا عَشْرَ آياتٍ : طُلوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها ، والدُّخانُ ، الدَّابَةُ ، وخُروجُ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ ، ونُزولُ عيسىٰ بنِ مَرْيَمَ ، والدَّجَّالُ ، وثَلاثَةُ خُسوفٍ ، خَسْفَ بالمَشْرِقِ وخَسْفٌ بالمَغْرِبِ وخَسْفٌ بِجَزيرةِ العَرَبِ ونارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تَسوقُ النَّاسَ ، تَبيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ باتوا ، وتَقيلُ مَعَهُمْ حيثُ قالوا »[1] . فإذا كانَتْ هذهِ العَلامَةُ فإنَّ السَّاعَةَ تكونُ قَدِ اقْتَرَبَتْ ، قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

أيْ أَنَّ خُروجَ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ مِنْ عَلاماتِ اقْتِرابِ يَوْمِ القِيامَةِ ، فإذا قامَتِ السَّاعَةُ ، ورَأى المُشْرِكونَ أَهْوالَها ، بَقِيَتْ عُيونُهم مُرْتَفِعَةَ الأَجْفانِ لا تَكادُ تَطْرِفُ مِنْ شِدَّةِ الفَزَعِ والخَوْفِ ، يَدْعونَ على أَنْفُسِهم بالوَيْلِ والهَلاكِ لِغَفْلَتِهِمْ عَنْ هَذا اليَوْمِ ، ولِظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُم بعَدَمِ الإيمانِ بِهِ ، وظُلْمِهِمْ رُسُلَهُمْ لأَنَهُمْ لَمْ يُطيعوهُمْ فيما أَخْبَروهُمْ بِهِ عَنْ هذا اليَوْمِ . فَماذا تَكونُ عاقِبَةُ هؤلاءِ الكافِرينَ ؟ قالَ اللهُ تعالىٰ :

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾

إنَّكُمْ أَيُّها الكافِرونَ وأَصْنامَكُمُ الَّتي تَعْبُدونَها وَقودُ جَهَنَّمَ الَّتي سَتَكونُ مَقَرَّكُمْ ومَكانَ إقامَتِكُمْ وَسَتَرِدونَ عَلَيْها ، ولا تَخْرجونَ مِنْها .

وفي إلْقاءِ أَصْنامِهِمْ مَعَهُم في النَّارِ أَنَّها لا تَعْقِلُ ، زِيادَةٌ في حَسْرَتِهِمْ وَعَذابِهِمْ ، ولِيَتَيَقَّنوا عَدَمَ صَلاحيةِ هَذهِ الأَصْنامِ لأَنْ تُعْبَدَ .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن ، باب ما جاء في الآيات التي تكون قبل الساعة ، رقم الحديث ٧٢١٤ .

﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

لَوْ كانَ هَؤلاءِ المَعْبودونَ مِنْ دونِ اللهِ آلِهَةً حَقّاً ـ كما زَعَمَ المُشْرِكونَ ـ لَما قُذِفوا في النَّارِ كَما يُقْذَفُ الحَطَبُ ، وَبِهذا يَتَبَيَّنُ بُطْلانُ عِبادَتِهِمْ لَها ، وَسَيَكونُ جَزاءُ المُشْرِكينَ وآلِهَتِهِمُ المَزْعومَةِ الخلودَ في النَّارِ .

﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

أَمَّا حالُهُمْ في هَذِهِ النّارِ فَلَهُمْ زَفيرٌ ، وَهُوَ صَوْتُ النَّفَسِ الَّذي يَخْرُجُ مِنْ صَدْرِ المَغْموم ، لِما يُعانيهِ مِنْ أَلَمٍ وشِدَّةٍ ، لا يَسْمَعُ بَعْضُهُمْ زَفيرَ بَعْضٍ لِشدَّةِ الهَوْلِ والعَذابِ ، لأنَّ سَماعَ صَوْتِ الآخَرينَ ، وَلَوْ كانَ صوتَ أَنينٍ وَزَفيرٍ ، فيهِ أُنْسٌ لِلسَّامعِ فَلَمْ يُعْطَوْهُ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

هذا شُروعٌ في بَيانِ حالِ المُؤْمنينَ ، بَعْدَ بَيانِ حالِ المُشرِكينَ ، وَما يَسْتَحِقُّونَهُ مِنْ عَذابٍ . وَوَصَفَ ـ سُبْحانَهُ ـ أَهْلَ الجَنَّةِ بِأَنَّهُ قَدْ سَبَقَتِ لَهُمُ البِشارةُ بالدَّرجاتِ العُلىٰ والمَنْزِلَةِ الحُسْنى بِسَبَبِ إيمانِهِمْ وطاعَتِهِمْ ، وَهؤلاءِ سَيكونونَ يَوْمَ القيامةِ بَعيدينَ عَنِ النَّارِ بُعْداً تامّاً ، لأنَّهُمْ في الجَنَّةِ .

وفي الآيةِ إشارَةٌ إلى الأَنْبياءِ والمَلائِكَةِ والصَّالِحينَ الَّذين عُبِدوا مِنْ دونِ اللهِ : كالمَسيحِ بنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وعُزَيرٍ ، أَنَّهُمْ لَنْ يَكونوا في النَّارِ مَعَ مَعْبوديهِمْ ، كما سَبَقَ في الآيةِ الكَريمةِ ، بلْ هُمْ مُبْعدونَ عَنِ النّارِ وَعَذابِها ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يُعْبَدوا باخْتِيارِهِمْ ورِضاهُمْ .

﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

تَأْكيدٌ لِبُعْدِهِمْ عَنِ النَّارِ ، فَهُمْ بَعيدونَ عَنْها ، لا يَسْمَعونَ صَوْتَ اشْتِعالِ اللَّهَبِ وحَرَكَتِهِ ، لأَنَّهُمْ قَدِ اسْتَقَرُّوا في الجَنّةِ ، وَصاروا في أَمانٍ واطْمِئْنانٍ ، وَهُمْ فيما تَتَمنَّاهُ أَنْفُسُهُمْ ، وَتَشْتَهيهِ قُلوبُهُمْ ، وَتَنْشَرِحُ لَهُ صُدورُهُمْ خالِدونَ خُلوداً أَبَدِيّاً لا يُنَغِّصُهُ حُزْنٌ ولا انقطاعٌ .

﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

وَمِنْ رَحْمَتِنا بهؤلاءِ الَّذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنى أَنَّهُمْ لا يَحْزُنُهُمْ ما يَحْزُنُ غَيْرَهُمْ مِن أهوالِ يَوْمِ القيامَةِ ، وتَسْتَقْبِلُهُمُ المَلائِكَةُ مَهَنِّئَةً مُبَشِّرَةً إِيَّاهُمْ بِحُصولِ ما كانوا يُوعَدونَ بِهِ في الدُّنْيا مِنْ نَعيمٍ مُقيمٍ وَجنَّاتٍ تَجْري مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كَثيرَةٍ ، منها :

١ـ يَسْبِقُ قيامُ السَّاعَةِ عَلاماتٌ وأَشْراطٌ تُؤْذِنُ بِقُرْبِ وُقوعِها .

٢ـ مِنْ عَلاماتِ يَوْمِ القيامَةِ خُروجُ يَأْجوجَ وَمَأْجوجَ .

٣ـ شِدَّةُ أَهْوالِ يَوْمِ القيامَةِ تَجْعَلُ البَصَرَ شاخِصاً .

٣ـ مَنْ عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ بِرِضاهُ دَخَلَ النَّارَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ ، وَمَنْ عُبِدَ مِنْ دونِ اللهِ بغيرِ رِضاهُ فلا يَدْخُلُها .

٤ـ لا يَشْعُرُ أَهْلُ الجَنَّةِ بِشَيْءٍ مِنْ حالِ أَهْلِ النَّارِ تَكْريماً لَهُمْ وَحِفْظاً لِمَشاعِرِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى أَنَّ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسلونَ ؟

٢ـ ما سَبَبُ شُخوصِ أَبْصارِ الكافِرينَ يَوْمَ القيامَةِ ؟

٣ـ ما عِلَّةُ دُخولِ الأَصْنامِ الَّتي لا تَعْقِلُ النَّارَ ؟

٤ـ ما سَبَبُ حُصولِ الزَّفيرِ لأَهْلِ النَّارِ . ؟ وماعِلَّةُ عَدَمِ سَماعِ بَعْضِهِمْ زَفيرَ بَعْضٍ ؟

٥ـ مَنِ الَّذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ الحُسْنىٰ ؟

٦ـ بِماذا أَكَّدَتِ الآيةُ بُعْدَ أَهْلِ الجَنَّةِ عَنِ النَّارِ ؟

٧ـ ما الشَّيْءُ الَّذي كانَ يُوعَدُ بِهِ المُؤْمنونَ في الآخِرَةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَةً مِنْ مَعْبوداتِ الكافِرينَ الَّذينَ يُلْقَوْنَ مَعَهُمْ في النَّارِ .

٢ـ اكْتُبْ مُلَخَّصَ قِصَّةِ أَحَدِ الأَنْبياءِ الَّذين ذُكِروا في هَذهِ السُّورَةِ ، وَضَعْهُ في مَجَلَّةِ المَدْرسةِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والخَمْسونَ

سورةُ الأنبياءِ ـ القِسْمُ الرّابعَ عشَرَ

يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

السِّجِلّ : الصَحيفَةِ .

لِلْكُتُبِ : على مايُكْتَبُ فيهِ .

الزَّبورِ : الكِتابُ الّذي أُنْزِلَ على داودَ عَلَيْه السَّلامُ .

الذِّكْرُ : اللوْح المَحْفوظ .

لَبلاغاً : مُوصِلاً إلى الهَدَفِ والغايةِ .

آذَنْتُكُمْ : أَعْلَمْتُكُمْ .

على سَواءٍ : مُسْتَوينَ في العِلْمِ .

فِتنةٌ : امْتِحانٌ واخْتِبارٌ .



التفسيرُ :

تَبْدَأُ آياتُ هذا الدَّرْسِ بِذِكْرِ بَعْضِ أَحْداثِ يَوْمِ القيامَةِ ، قالَ اللهُ تَعالىٰ :

﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

أيْ واذْكُرْ يَوْمَ نَطْوي السَّماءَ طَيّاً مِثْلَ طَيِّ الصَّحيفةِ على ما كُتِبَ فيها . وفي هذا التَّعْبيرِ إشْعارٌ بأَنَّ هَذا الطَّيَّ في مُنْتَهى السُّهولةِ واليُسْرِ ، حَيْثُ شَبَّهَ طَيَّ السَّماءِ بطيِّ الصَّحيفةِ على ما فيها .

وَفي قَوْلِهِ تعالىٰ : ﴿كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ﴾ بيانٌ لِصِحَّةِ الإعادةِ قياساً على البَدْءِ ، فَأَخْبَرَ ـ سُبْحانَهُ ـ أَنَّهُ قادِرٌ على أنْ يُعيدَ الخَلْقَ كَما بدأَهَمُ أَوّلَ مَرَّةٍ دونَ تَعَبٍ ، وَفي الحَديثِ قالَ ﷺ : « أَيُّها النَّاسُ إنَّكُمْ مَحْشورونَ إلى اللهِ حُفاةً عُراةً غُرْلاً[1] ﴿كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ﴾ »[2] . وَهَذا وَعْدٌ الْتَزَم بِهِ ـ سُبْحانَهُ ـ لا يُخْلَفُ ولا يُبَدَّلُ ، وَسَيكونُ لا مَحالَةَ ولا بُدَّ مِنْ تَحَقُّقِهِ ، وَفيهِ إِثْباتُ البَعْثِ .

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

يُخْبِرُ سُبْحانَهُ ـ بِشَيْءٍ مِمّا كانَ في كِتابِ داودَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَهُوَ الزَّبُورُ ، فَقَدْ جاءَ فيهِ بَعْدَ تَمْجيدِ اللهِ والثَّناءِ عَلَيْهِ أَنَّ وِراثَةَ الأَرْضِ سَتكونُ لِلصَّالحين مِنَ العِبادِ الطَّائِعينَ لَهُ ـ سُبْحانَهُ ـ المُلْتَزمينَ بِأَمْرِهِ ، في الدُّنْيا والآخِرَة ، أمَّا أَرْضُ الدُّنْيا فَستَكونُ لِلصَّالِحينَ ، وَهَذهِ بُشْرىٰ مِنَ اللهِ بانْتِصارِ الإسْلامِ وَشُمولِهِ الأَرْضَ كُلَّها ، وفي الحَديثِ أَنَّ رَسولَ اللهِ ـ ﷺ ـ قالَ : « إنَّ اللهَ زَوىٰ لِيَ الأَرْضَ ، فَرَأَيْتُ مَشارِقَها وَمَغارِبَها ، وإنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ[3] لِي مِنْها »[4] . وأمَّا الآخِرَةُ ، فَتكونُ بِالجنَّةِ .

﴿ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

إنّ في ما ذُكِرَ في السُّورَةِ الكَريمةِ مِنْ أَخْبارٍ وَمَواعِظَ وَوَعْدٍ وبَراهينَ عَلى التَّوْحيدِ فيهِ الكِفايةُ والمَوْعِظَةُ لِلْعابِدينَ الطَّائِعينَ .

---

(١) غرلاً : أي غير مختونين ، كما وُلِدتُّمْ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الأنبياء ، بابَ وكنتُ عليهِمْ شهيداً ما دمتُ فيهم ، ورواهُ مسلمٌ في كتاب الجنَّةِ ، باب فَناءِ الدُّنيا وبيانِ الحَشْرِ يومَ القيامةِ .

(٣) زوى : جَمعَ وضَمَّ .

(٤) رواهُ مسلمٌ في كتابِ الفِتَنِ وأشْراطِ السَّاعَةِ ، باب هلاكِ هذهِ الأمّةِ بَعضِهِمْ بِبَعْضٍ .

وَخَصَّ العابِدينَ بالذِّكْرِ لأنَّهُمُ المُنتَفِعونَ بتَوْجيهاتِ القُرْآنِ الكَريمِ .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

وما أَرْسَلْناكَ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ بهَذا الدِّينِ القَويمِ إلاَّ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَكونَ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ أَجْمَعينَ ، ذَلِكَ أنَّا أَرْسلناكَ بِما يُسْعِدُهُمْ في دُنْياهُمْ وآخِرَتِهِمْ ، فَإِنِ اسْتَجابوا وَأَطاعوكَ حَصَلتْ لَهُمُ الرَّحْمَةُ وانْتَفَعوا بِها .

﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

يَأْمُرُ اللهُ تعالىٰ نَبيَّهُ ـ ﷺ ـ أَنْ يُبَلِّغَ النَّاسِ أنَّ ما أُوحيَ إليْهِ مِنْ تَكاليفَ وَعِباداتٍ كلِها لِتَحْقيقِ الوَحْدانيةِ للهِ الواحِدِ الأَحَدِ سُبْحانَهُ وَتَحْقيقِ إخْلاصِ العبادَةِ لَهُ وَحْدَهُ . فَأَسْلِموا للهِ وانْقادوا لِحُكْمِهِ . فالاسْتِفْهام في قَوْلِه ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمونَ﴾ لِلْحَثِّ وَمَعْناه الأَمْرُ .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

فإنْ أَعْرَضوا عَنْ دَعْوَتِكَ فَقُلْ لَهُمْ : لَقَدْ أَعْلَمْتُكُمْ وأَخْبَرْتُكُمْ بِما أَمَرَني بِهِ رَبِّي أنْ أُخْبِرَكُمْ إيّاهُ ، وَلَمْ أَخُصَّ أَحَداً مِنْكُمْ بِهذا الإِعْلامَ فَأَنْتُمْ مُتساوونَ في الدَّعْوَةِ والإِعْلامِ ، وإنّي بَعْدَ هذا التَبْليغِ والتَّحْذيرِ لا أَعْلَمُ أَقَريبٌ أَمْ بَعيدٌ ما تُوعَدونَ بِهِ مِنْ نُزولِ العَذابِ بِكُمْ ، أَوِ انْتِصارِ المُسْلِمينَ عَلَيْكُمْ ، أَوْ قيامِ السَّاعةِ ، فإنَّ عِلْمَ ذَلِكَ وَغَيْرَهُ عِنْدَ اللهِ وَحْدَهُ .

﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

وَهُوَ ـ سُبْحانَهُ ـ يَعْلَمُ ما تَجْهَرونَ بِهِ مِنْ قَوْلٍ في مُحارَبَةِ الإسْلامِ وَتَكْذيبِ رَسولِهِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ ما تَكْتُمونَ مِنْ حِقْدٍ عَلى المُسْلِمينَ ، وَسَيُعاقِبُكُمْ على ذَلِكَ بِما تَسْتَحِقُّونَ .

﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ ﴾

وَلا أَدْري إنْ كانَ تَأْخيرُ عِقابِكُمْ بَعْدَ أَنْ أَعْرَضْتُمْ عَنْ دَعْوَتي امْتِحاناً واخْتِباراً لَكُمْ ، أَوِ اسْتِدْراجاً إلى أَجلٍ مُقَدَّرٍ عِنْدَهُ سُبْحانَهُ . وفي هذا تَخْويفٌ لَهُمْ بإخْفاءِ مَوْعِدِ العَذابِ عَنْهُمْ .

﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

أيْ قالَ الرَّسولُ ـ ﷺ ـ بَعْدَ أنْ بَلَّغَ الرِّسالَةَ ، وأَدَّى الأَمانَةَ وَهُوَ يَتَضَرَّعُ إلى رَبِّهِ : رَبِّ احْكُمْ بَيْني وَبَيْنَ هَؤلاءِ الّذينَ بَلَّغْتُهُمُ الدَّعْوَةَ بالحَقِّ ، وَرَبُّنا الرَّحْمنُ نَسْتَعينُ بِهِ ، وَنَطْلُبُ مِنْهُ وَحْدَهُ العَوْنَ على ما تَصِفونَهُ أَيُّها المُشْرِكونَ مِنْ أَنْواعِ الكَذِبِ والزُّورِ والبُهْتانِ والضَّلالِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمَةُ إلى دُروسٍ وَعِبَرٍ كثيرَةٍ ، منها :

١ـ الَّذي بَدَأَ الخَلْقَ قادرٌ على إعادَتِهِ .

٢ـ البُشْرى لِلْمُسْلِمينَ بِوَصولِ الدِّينِ إلى جَميعِ أرْجاءِ الأَرْضِ .

٣ـ الرَّسولُ ﷺ رَحْمَةٌ لِلْعالَمينَ .

٤ـ وُجوبُ المُفاضَلَةِ بَيْنَ أَهْلِ الشِّرْكِ وأهلِ التَّوْحيدِ .

٥ـ وُجوبُ الاسْتِعانَةِ باللهِ عَلى كُلِّ ما يُواجِهُ العَبْدُ مِنْ صِعابٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عنِ الأَسئلةِ التاليةِ :

١ـ ما مَعْنى ﴿يَوْمَ نَطْوي السَّماءَ كَطيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ ؟

٢ـ ماالمَقْصودُ بالزَّبورِ ، وبالذِّكْرِ ، وبالأَرْضِ في الآية الخامِسَةِ بَعْدَ المِئَةِ ؟

٣ـ كَيْفَ يَكونُ الرَّسول ـ ﷺ رَحْمَةً لِلْعالَمينَ ؟

٤ـ أَمَرَ اللهُ تعالىٰ رَسُولَهُ ـ ﷺ في هذهِ الآياتِ أنْ يُبَلِّغَ النَّاسَ أُموراً . ما هِيَ ؟

٥ـ بَيِّنْ مَعنى ما تَحتَهُ خَطٌّ فيما يَلي :

أـ إنَّ في هذا لَبَلاغاً .

ب ـ فإنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ على سَواءٍ .

ج ـ وإنْ أَدْري لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتاعٌ إلى حينٍ .

نَشاطٌ :

اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ثَلاثَ عَلاماتٍ مِنْ عَلاماتِ الرَّحْمَةِ الَّتي حَلَّتْ بالنَّاسِ بَعْدَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

* * *

